

خطبة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسْرٍ وَأَعْنِ . باسم الله يكون الابتداء ، وبعونه تتم الأشياء ، وبشيئته تتصرف الدهور ، وعلى ارادته تتقلب الأمور ، ومنه التوفيق والتأييد ، وبيده الاعانة والتسديد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وبتوفيقه ارشاده .
قال أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الموشى ، المؤلف لهذا الكتاب ، وهو الكتاب الموشى (نقول) ونستعين بالله على السداد ونستهديه ، ونستفتح له استفتاح الالاجىء اليه ونستكفيه : **يَجِبُ عَلَى الْمُتَأَدِّبِ اللَّيْبُ ، وَالْمُتَظَرِّفِ الْأَرِيْبُ ،** المتخلق بأخلاق الأدباء ، والمتعلمى بحلية الظرفاء : أن يعرف قبل هجومه على ما لا يعلمه ، وقبل تعاطيه ما لا يفهمه ، تبين الظرف ، وشرائع المروءة^(١) ، وحدود الأدب ، فانه لا أدب لمن لا مروءة له ، ولا مروءة لمن لا ظرف له ، ولا ظرف لمن لا أدب له .

وقد وصفنا فى كتابنا هذا ، على قدر ما بلغه علمنا ، واحتوى عليه فكرنا ، وجعلناه حدودا محدودة ، ومعالم مقصورة ، وشرائع بينة ، وأبوابا نيرة ، وشريطتنا على قارىء كتابنا : الاقصار عن طلب عيوب خطائنا ، والصفح عن ما يقف عليه من إغفالننا ، والتجاوز^(٢) عن ما ينتهى اليه من اهمالننا ، وإن أداه التصفح الى صواب نشره ، أو الى خطأ ستره ، لأنه قد تقدمنا بالاقرار ، ولا بد للإنسان من زلل^(٣) وعثار^(٤) ، وليس كل الأدب عرفناه ، ولا كل

(١) تروى : المروءة ، وهما بمعنى : النخوة وكمال الرجولة .

(٢) تجاوز عنه : أغضى وعفا

(٣) زل : زلق وسقط ، وعن الحق : انحرف

(٤) عثر : سقط

العلم رويناه ؛ وعلينا في ذلك الاجتهاد ، والى الله الارشاد .

وقل مانجا مؤلف لكتاب من راصد بمكيدة ، أو باحث عن خطيئة ، وقد كان يقال : من ألف كتابا فقد استشرف^(١) ، وإذا ما أصاب فقد استهدف^(٢) ، وإذا أخطأ فقد استقذف^(٣) ؛ وكان يقال : لا يزال الرجل في فسحة^(٤) من عقله مالم يقل شعرا أو يضع كتاباً ، وقال الشاعر في ذلك :

لا تَعْرِضَنَّ للشَّعْرِ مَالٌ يَكُنْ عَلَيْكَ فِي أَبْحَرِهِ جِسْرًا
فَلَنْ يَزَالَ المرءُ فِي فَسْحَةٍ مِنْ عَقْلِهِ مَالٌ يَقُلُّ شِعْرًا

وأنشد في ذلك :

الشَّعْرُ عَقْلُ المرءِ يَعْرِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
مِنْهَا الْمُقَصَّرُ عَنْ رَمِيَّتِهِ وَنَوَازِدُهُ يَذْهَبُ بِالْخَصْلِ^(٥)

وكان يقال : اختيار الرجل وافد عقله .

وقيل : دل على عاقل اختياره .

وقيل لبعض العلماء : اختيار الرجل قطعة من عقله ، فقال : لا ، بل مبلغ عقله

وقال الخليل بن أحمد : لا يحسن الاختيار إلا من يعلم ما لا يحتاج اليه

من الكلام .

وقال الشعبي : العلم كثير ، والعمر قصير ، نخدوا من العلم أرواحه ،

ودعوا ظروفه .

وقال ابن عباس : العلم أكثر من أن يحصى ، نخدوا من كل شيء أحسنه .

(١) استشرف : انتصب .

(٢) استهدف الشيء : ارتفع واستقبل ، ومنه قولهم : من صنف فقد استهدف .

أى انتصب كالغرض يرى بالأفاويل . (٣) استقذف الرجل : رماه واتهمه بريية .

(٤) فسحة : سعة . (٥) الخصل : إصابة الغرض .

قال الشاعر :

مَا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَى سَنَةً
إِنَّمَا الْعِلْمُ كَرَوْضٍ مُزْهِرٍ فَتَخْرُجُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ

(ونحن) نستعين الله، ونودع كتابنا هذا جملة من حدود الأدب والمروءة والظرف، ونجعل ذلك أبواباً مختصرة، وفصولاً مجبرة، على غير نقص منّا، لما في كل باب، لثلاثا يطول به تأليف الكتاب، ولأن غرضنا في الاختصار، لما عليه النفوس من ملل الاكثار، ولنتجوا من مقالة حاسد، أو اعتراض معاند. مطلب في الحسد :

على أنه لا بدّ للحاسد، وان لم يجد سبيلا إلى وَهْنٍ^(١)، ولا سبيلًا إلى طعن، أن يَحْتَمِلَ لذلك بحسب ما رُكِبَ عليه طبعه، وتضمنه صدره، حتى يخلص إلى غفلة، أو يصل إلى زَلَّةٍ، فيتشَبَّثَ بالمعنى الحقير، ويتسبَّبُ بالحرف الصغير، إلى ذكر المثالب^(٢)، وتغطية المناقب^(٣)، ولأن^(٤) من طبع أهل الحسد، وأرباب المعاندة والتكذِّب، تغطية محاسن من حسدوه، واطهار مساوئ من عاندوه. وقد أخبر أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح، وبشر بن موسى بن صالح الأسدی، قالوا: حدثنا الأصمعي قال العلاء بن أسلم قال رُوِّبَ بن العجاج قال: قال لي فلان: قصرتُ وعرفتُ، ثم قال لي: يا رُوِّبَ عساک مثل أقوامٍ إن سكت لم يسألوني وإن تكلمت لم يعوا عني، قلت: أرجو أن أكون كذلك، قال: فما أعداء المروءة، قلت: تخبرني، قال بنو عم السوء^(٥) إن رأوا خيرا استروه، وإن رأوا شرا أذاعوه.

أنشدني أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :

(١) الوهن: الضعف

(٢) المثالب (جمع مثابة): العيب

(٣) المناقب (جمع منقبة): المفخرة، والفضل الكريم

(٤) السوء: الفساد

(٥) ويروى: إذ

عَيْنُ الْحَسودِ عَلَيْكَ الدَّهْرَ حَارِسَةً تَبْدَى الْمَسَاوِي وَالْإِحْسَانَ تُخْفِيهِ
يَلْقَاكَ بِالْبَشْرِ يُبْدِيهِ مَكَاشِرَةً وَالْقَلْبُ مُضْطَغَنٌ ^(١) فِيهِ الَّذِي فِيهِ
إِنَّ الْحَسودَ بَلَاءٌ جُرْمٌ عِدَاوَتُهُ فَلَيْسَ يَقْبَلُ عُدْرًا فِي تَجْنِيئِهِ

وَأُنشِدُنِي أَبُو جَعْفَرٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخْفَوهُ ، وَإِنْ يَعْلَمُوا شَرًّا أُذْبِعَ ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا

وَأُنشِدُنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَارِيءُ :

وَتَرَى اللَّيْبَ حَسَدًا لَمْ يَجْتَرْمِ شَمَّ الرِّجَالَ وَعَرَضَهُ مَشْتَوْمٌ
حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ فَالْقَوْمَ أَعْدَاءَ لَهُ وَخُصُومٌ
كَضَرَّائِرِ الْحَسَنَاءِ قَلْنَ لَوَجْهَيْهَا حَسَدًا وَبَغِيًّا إِنَّهُ لَذَمِيمٌ

وَقَالَ عِمَارَةُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ :

مَا ضَرَّتْني حَسَدُ اللَّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسَدُهُ ذُو النُّقْصَانِ
يَا بُؤْسَ قَوْمٍ لَيْسَ جُرْمٌ عَدُوِّهِمْ إِلَّا تَطَاهَرَ نِعْمَةَ الرَّحْمَانِ
وَخَبِرْتُ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لِبَعْضِ وَلَدِ الْمَهْلَبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ : مَا أَسْرَعَ

النَّاسَ إِلَى قَوْمِكَ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

إِنَّ الْعِرَانِينَ ^(٢) تَلَقَّاهَا حَسَدَةً وَلَا تَرَى لِلئَامِ النَّاسَ حُسَادًا
كَمْ حَاسِدٍ لَهُمْ قَدْ رَامَ سَعِيَهُمْ مَا نَالَ مِثْلَ مَسَاعِيهِمْ وَلَا كَادًا
وَيُرْوَى أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

قَوْمٌ سِنَانُ آبُوهُمْ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وُلِدُوا
مَحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعْمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا
وَأُنشِدُنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، قَالَ : أَنْشَدْنَا الْعُتَيْبِيَّ عَنْ أَبِيهِ :

(١) مضطغن : متطوى على الختد (٢) العرانيين : جمع العرنيين وهو من كل شيء : أوله .

إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَّادِي ذُوو عَدَدٍ يَاذَا الْمَعَارِجِ لَا تَنْقُصْ لَهُمْ عَدَدًا
مَا زِلْتُ أَقْدِمُ أَفْرَاسِي مَكَلَّمَةً حَتَّى اتَّخَذْتُ عَلَى حُسَّادِهِنَّ يَدَا
وَأُنشِدْتُ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تَرَجَا إِمَاتَهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
وَبَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ : أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمَوَالِي يَحْسُدُونَ ، فَقَالَ :

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَأَنَّهُمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ غِيظًا بِهَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي صَدُورِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَعْدًا مِنْهَا وَلَا أَرُدُّ
وَقَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ : كُلُّ خِصْلَةٍ رَدِيئَةٍ فِيهِ دُونَ الْحَسَدِ ، لِأَنَّ
الْحَسُودَ يَسْعَى عَلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَيَبْغِي الْغَوَائِلَ ^(١) لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا ذَكَرَ بَعْضَ الْحُسَّادِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ
ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمُظْلُومٍ مِنَ الْحَاسِدِ : حُزْنٌ لَازِمٌ ، وَنَفْسٌ دَائِمٌ ، وَعَقْلٌ هَائِمٌ .
وَقَالَ حَاتِمُ طَبِي :

يَا كَعْبُ مَا إِنْ تَرَى مِنْ بَيْتِ مَكْرُمَةٍ إِلَّا لَهُ مِنْ بِيوتِ الشَّرِّ حُسَّادَا
وَالْتَحَرَّزُ مِنَ الْحُسَّادِ مَا لِالسَّبِيلِ لَنَا إِلَيْهِ : وَالتَّحْفِظُ مِنَ أَلْسِنَتِهِمْ مَا لِالنَّقْدِ
عَلَيْهِ ، لَكِنْ أَقُولُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا يَضُرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غَلَامٌ بِحَجَرٍ
(وَأُصَدِّرُ) كِتَابِي هَذَا ، مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ ، رَاغِبًا إِلَيْهِ ، بِذِكْرِ الْأَدَبِ وَصِفَتِهِ ،
وَمَا يَحْتَاجُ الْأَدْبَاءَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَأَشْفَعُهُ بِأَشْيَاءَ يَسْتَحْسِنُهَا الْأَدِيبُ ، وَيُرْغَبُ
فِي دِرَاسَتِهَا الْأَرِيبُ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

(١) الْغَوَائِلُ : جَمْعُ الْغَائِثَةِ : الشَّرُّ

١ - باب البيان عن همدرد الأرب

وما يجب على الأدباء من الفحص والطلب

اعلم أن أول ما يجب على العاقل ، المنفصل بصفته عن الجاهل ، أن يتبعه ويميل إليه ، ويستعمله ويحرص عليه : مجالسة الرجال ذوى الألباب ، والنظر في أفانين الآداب ، وقراءة الكتب والآثار ، ورواية الأخبار والأشعار ؛ وأن يحسن في السؤال ، ويتثبت في المقال ؛ ولا يكثر الكلام والخطاب ، إن سئل عما يعملُه أجاب ، وإن لم يُسأل صمت للاستماع ، ولم يتعرض لمكروه الانقطاع ، فقد روى في الخبر المأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **أغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتَهلك** ^(١) . والصمت أحسن بالرجل من الهدر ^(٢) في منطقه ، والكلام فيما لا يعنيه ، والتسرّع إلى ما يكون على وجل ^(٣) منه ، وقد قال بعض الشعراء :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسُ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ
وقال أبو العتاهية :

إذا ^(٤) كُنْتَ عَنْ أَنْ تَحْسِنَ الصَّمْتَ عَاجِزًا
فَأَنْتَ عَنِ الْإِبْلَاحِ فِي الْقَوْلِ أَعْجَزُ
يَخْوَضُ أَنْاسٌ فِي الْمَقَالِ ^(٥) لِيُوجِزُوا وَلِلصَّمْتِ عَنْ بَعْضِ الْمَقَالَاتِ أَوْجِزُ ^(٦)
وقال أيضا ^(٧) :

(١) روى بالجامع الصغير للحافظ : « أغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو مجاباً ولا تكن الخامسة فتَهلك » (٢) الهدر: سقط الكلام الذي لا يعبأ به (٣) الوجل: الخوف (٤) في ديوانه : فأن ، وقد روى البيتان الثاني وأولاً ثم الأول ثانياً (٥) في ديوانه : الكلام (٦) في ديوانه : وللصمت في بعض الأحايين أوجز (٧) ينسب هذان البيتان في ديوان أبي العتاهية لابنه محمد ، وكان شاعراً ، وبعدهما :
يا عجباً لا مرى بظلوم مستيقن أنه يموت

قَدْ أَفْلَحَ السَّائِئُ^(١) الصَّمُوتُ كَلَامُ رَاعِي الْكَلَامِ قَوْتُ
مَا كُلُّ نَظْقٍ لَهُ جَوَابٌ جَوَابُ مَا تَكَرَّهُ^(٢) السُّكُوتُ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل
خييراً أو ليسكت ، وقال : من صمت نجأ .

وكان أعرابي يجالس الشَّعْبِيَّ يطيل الصمت ، فقال له يوماً : لم لا تتكلم ؟
فقال : أسمع لأعلم وأسكت فأسلم .

وقال أبو هريرة : ثمرة القلب اللسان .

وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام : ما مبدى علم القلب وجهله ؟ قال :
اللسان ، قال : فأين يلزم الصمت ؟ قال : عند من هو أعلم منكم ، وعند الجاهل
إذا جالسكم .

وقال بعض الشعراء :

تَعَاهَدُ لِسَانَكَ إِنْ اللَّسَا نَ سَرِيعٌ إِلَى الْمَرْءِ فِي قَتْلِهِ
وَهَذَا اللَّسَانُ بَرِيدُ الْفَوَا دِ يَدُلُّ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

وقال آخر :

اسْتَرِ النَّفْسَ مَا اسْتَطَعْتَ بِصَمْتٍ
وَاجْعَلِ الصَّمْتَ إِنْ عَمِيتَ جَوَابًا
وقال أبو العتاهية^(٣) :

لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَامِ مِ إِذَا اهْتَدَيْتَ عَلَى عَيْنِهِ
وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ

وقال لقمان لابنه : يَا بُنَيَّ إِنْ غُلِبْتَ عَلَى الْكَلَامِ فَلَا تُغْلَبْ عَلَى الصَّمْتِ ،

(١) تروى : السالم (٢) تروى : ما يكره

(٣) ترتيب البيتين في ديوانه : الثاني فالأول

فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، إني ندمت على الكلام مرارا ، ولم أندم على الصمت مرة واحدة .

وقال ابراهيم بن المهدي في هذا المعنى فأحسن :

إن كان يُعجبك السكوتُ فإنه قد كان يُعجبُ قبلك الأخيَّارُ
ولئن ندمت على سكوتك مرَّةً فلقد ندمت على الكلام مرارا
إنَّ السكوتَ سلامةٌ ولربَّما زرعَ الكلامُ عداوةً وضرارا

فحقيق على الأديب أن يخزن لسانه عن نطقه ، ولا يرسله في غير حقه ، وأن ينطق بعلم ، وينصت بحلم ، ولا يعجل في الجواب ، ولا يهجم على الخطاب ، وإن رأى أحداً هو أعلم منه ، نصت لاستماع الفائدة عنه ، وتحذّر من الزلل والسقط ، وتحفظ من العيوب والغلط ، ولم يتكلم فيما لا يعلم ، ولم يناظر فيما لا يفهم ، فإنه ربّما أخرجَه ذلك الى الانقطاع والاضطراب ، وكان فيه نقصه عند ذوى الألباب ، وقد قال الأعور الشَّيْءُ فأجاد :

ألم ترَّ مِفْتَاحَ الفؤادِ لِسَانَهُ إذا هوَ أبدي ما يقولُ منَ الفمِّ
وكأنَّ ترى من صامت لك مُعجِبُ زبَادتهُ ونقصه في التكلّمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونِصفُ فؤاده فلم يَبقَ إلا صورةُ اللحمِ والدمِ
ومثله قول الأخطل أيضا :

إن الكلامَ من الفؤادِ وإِنَّمَا جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاً
وأخبرني أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال كان بكر بن عبد الله المزني
يُقلُّ الكلامَ ، فقليل له في ذلك ، فقال : لسانى سَبَعٌ إن تركته أكلنى ، وأنشد :
لسانُ الفتى سَبَعٌ عليه شذاتهُ فَإِلا يَزَعُ من غَرَبه فهو آكله
وما العيُّ إلا منطقٌ متبرِّعٌ سواءٌ عليه حقٌّ أمرٌ وباطله

قال أبو الطيب : قوله - شذاته - أي حدّه .

وقال بعض الحكماء : إلزم الصمت بعد حكيمًا كنت أم عليًا .

وقال الهيثم بن الأسود النخعي :

من يستعن بالصمت يوما فإنه يقال له لبُّ نهاه أصيلٌ

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصة^(١) على عوراته لدليلٌ

وكان يقال : الصمت صون اللسان وستر العي .

أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب للخطفي بن بدر :

عجبت لأزراء العي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

وفي الصمت ستر للعبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما

والعرب تقول : عي صامت خير من عي ناطق .

وكان ربيعة الرأي كثير الكلام ، فتكلم يوما وأكثر ، ثم قال لأعرابي

عنده : أتعرف ما العي ؟ قال : نعم ، ما أنت فيه منذ اليوم .

وقال أكرم بن صيفي ، حنف^(٢) الرجل بين لحيتيه .

وأنشدني أحمد بن عميد لأبي محمد الزبيدي :

حنف امرئ لسانه في جدّه أو لعبيه

بين اللها^(٣) مقتله ركب في مركبه

وربّ ذي مزج أميتت نفسه في سببه

ليس الفتي كلّ الفتي إلا الفتي في أدبه

وبعض أخلاق الفتي أولى به من نسبه

(١) الحصة : العقل والرأي

(٢) الحنف : الموت

(٣) اللها : جمع اللبابة : اللحم المشرفة على الخلق في أقصى سقف الفم

وكان يقال : لسانك عبْدك ، فاذا تكلمت صرت عبده
وقال بعض الحكماء : أنا بالخيار ما لم أتكلّم ، فاذا تكلمت صار الكلام
عليّ بالخيار .

وقال آخر : لساني في حبس بدني ما لم أطلقه على نفسي ، فاذا أطلقته
صار بدني في حبس لساني .

وقال آخر : الكلمة أسيرة في وثاق^(١) الرجل ، فاذا تكلم بها صار في وثاقها
وقال الشعبي : أنا على اتباع ما لم أوقع أقدر منّي على ردّ ما أوقعت .
وتكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات ، خرجن كلّهن بمعنى ؛ فقال كسرى :
أنا على قول ما لم أقل ، أقدر منّي على ردّ ما قلت . وقال قيصر : لا أندم على
ما لم أقل ، فإنما أندم على ما قلت . وقال ملك الصين : إذا تكلمت بالكلمة
ملكنتني ولم أملكها . وقال ملك الهند : عجبت لمن يتكلم بالكلمة ، إن حكيت
عنه ضرته ، وإن لم تذكركم تنفعه .
وقال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
وقالت الفلاسفة : اللسان خادم القلب .

وقالت العلماء : اللسان كاتب القلب إذا أملى عليه شيئاً أتى به .
وأنشدني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

رأيت لسان المرء راعى نفسه وعاذره إن ليم أو زل سائره
فمن لزمته حجة من لسانه فقدمات راعيه وأفجم^(٢) عاذره
ولئن كان السكوت جميلاً لقد جعل الكلام جميلاً ، ما لم يتعد المتكلم في

(١) الوثاق : بفتح الواو وكسرهما ، : ما يشد به من قيد وحبل ونحوه

(٢) أفجم : أسكت بالحجة في خصومة أو غيرها ، ولم يستطع جواباً

كلامه ، ويتجاوز في الكلام حدَّ نظامه .

وقد أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

ما في الكلام على الأنام أثمٌ بل فيه عندي النقض والإبرامُ
لولا الكلامُ لما تبيَّننا الهدى وتعلت في ديننا الأحكامُ
فزين الكلام إذا أردت تكلماً ودع الفضول، ففي الفضول ملامُ
إن أنت لم ترشد أخاك إذا أتى فعليك منه هجئة^(١) وأثامُ
والنطق أفضل من صمات^(٢) متهم جاء الكتابُ بذلك والاسلامُ
هذا البيان فلا تكن متبارياً فالصمت عيٌّ والكلامُ نظامُ
وليس بعيب على الأديب ، وإن كان مستقلاً بما لديه ، استحدأوه^(٣)

المتقدم في العلم عليه ، ولا في سؤاله فيما غيبت معرفته عنه ، من هو أعلى
درجة في العلم منه .

وأنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

تمامُ العمى طولُ السكوت وإثما شفَاءُ العمى يوم أسؤالك من يدري
وروى أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن عبدالمطلب :
ماذا يزيد في العلم ؟ قال : التعلُّم . قال : فماذا يدل على العلم ؟ قال : السؤال .

أنشدني أحمد بن عبيد ، قال : أنشدني ابن الأعرابي لبشامة بن عمرو المري :
إذا ما يهتدى لبي هَداني وأسألُ ذا البيان إذا حَميتُ
وأجنبُ المقاذع^(٤) حيث كانت وأتركُ ما هويتُ لما خَشيتُ

(١) الهجئة من الكلام : العيب والقبح ، أو ما يعيبه الانسان ، وفي العلم : إضاعته ،
يقال : احفظ عليك من الهجئة

(٣) استحدأى : اقتدى

(٢) الصمات : السكوت

(٤) قدح في عرضه : طعن فيه وعابه وتنقصه ، ويروى : المقاذع ، أى الخنا والفحش

وكان يقال: من رقى وجهه عن السؤال دق عليه ، ومن أحسن السؤال علم .
وقال الشاعر :

إِذَا كُنْتَ فِي بَلَدٍ جَاهِلًا وَلِلْعِلْمِ مُلْتَمِسًا فَاسْأَلِ
فَإِنَّ السُّؤَالَ شِفَاءُ الْعَمَى كَمَا قِيلَ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ

ورؤينا عن يونس ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال :
لا يتعلم من استحميا وتكبر .

وقال رجل من بني العباس للمأمون : أيحسن بمثلي طلب العلم اليوم ؟
فقال : نعم ، والله لأن تموت طالبا للعلم أزين بك من أن تموت قانعا بالجهل .
فقال : إلى متى يحسن بي وقد جاوزت الستين ؟ قال : ما حسنت بك الحياة :
وقال الخليل : ذاكر بعلمك ، فتذكر ما عندك ، وتستفيد ما ليس عندك
وقال الخليل أيضا : كنت إذا لقيت عالما أخذت منه وأعطيته .

وأخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني ابن الأعرابي قال : أخبرنا أزهري
السهمان قال : قال الزهري : الأخبار ذكراً لا يحبها إلا ذكراً الرجال ،
ولا يكرهها إلا مؤنثوهم .
وقال الطرماح :

وَلَا أَدْعُ السُّؤَالَ إِذَا تَعَيَّتْ عَلَيَّ مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْكَلَاتُ
وَيَنْفَعُنِي إِذَا اسْتَيْقَنْتُ عِلْمِي وَأَقْوَى الشُّكِّ عِنْدِي الْبَيِّنَاتُ

فهذه جملة تحت الأدباء على الطلب ، وصدر يقنع به العقلاء من حدود الأدب ،
(ومنه أيضا) : ترك ممازحة الاخوان ، إذا كان مما يوغر صدور الخالان ،
وقد اختصرت لك من ذلك جملة مقنعة ، وألفاظها متمعة . فيها لك كفاية ،
ولذوى الألباب نهاية ، إن شاء الله تعالى .

٢ - باب النهي عن موازنة الأفعال،

والنهي عن مفاكحة الأوداء.

اعلم أن من زى الأدباء، وأهل المعرفة والعقلاء، وذوى المروءة والظرفاء :
قلّة الكلام في غير أرب، والتجاليل^{١١} عن المداعبة واللعب، وترك التبذل
بالسخافة، والصياح بالفكاهة، والمزاح لأن كثرة المزاح يُذل المرء، ويضع
القدر، ويُزيل المروءة، ويُفسد الأخوة. ويجترىء على الشريف الحر :
أهل الدناءة والشر.

وقد أخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني الأصمعي عن رجل من العرب
قال : خرجت في بعض ليالي الظلم، فإذا أنا بجارية كأنها صنم، فراودتها عن
نفسها. فقالت : يا هذا، أمالك زاجر من عقل، إذا لم يكن لك واعظ من
دين؟ قلت : والله ما يرانا إلا الكواكب ! قالت : يا هذا، فأين مكو كبتها؟
فقلت : إنما كنت أمزح، فقالت :

فَيَاكَ إِيَّاكَ الْمَزَاحَ فَإِنَّهُ يُجْرِي عَلَيْكَ الطُّفْلَ وَالدَّنْسَ النَّذْلًا
وَيَذْهَبُ مَاءَ الْوَجْهِ بَعْدَ وِضَاتِهِ وَيُورِثُ بَعْدَ الْعِزِّ صَاحِبَهُ ذُلًا
وقال سليمان بن داود عليهما السلام . المزاح يستخف فؤاد الحليم،
ويذهب ببهاء ذى القدرة.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكثر من شيء عرف به، ومن
مازح استخف به، ومن كثر ضحكه ذهب هيبته .

وكان يقال : لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : إمنعوا الناس من المزاح، فإنه

يُذهِبُ المَرْوَةَ ، وَيُوغِرُ^(١) الصِّدْرَ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَازِحٌ أَخَاكَ إِذَا أُرِدْتَ مَزَاحًا وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمَزَاحِ جَمَاحًا^(٢)

فَلَرَبَّمَا مُزِحَ الصِّدِيقُ بِمَزْحَةٍ كَانَتْ لِبَابِ عِدَاوَةٍ مِفْتَاحًا

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : اِمْتَنَعُوا مِنَ الْمَزَاحِ تَسْلِمَ لَكُمْ الْأَعْرَاضُ ،

وَقَالَ خَلْفُ بْنُ صَفْوَانَ : الْمَزَاحُ سَبَابُ النَّوْكَى^(٣) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

تَلَقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لِحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ

وَيَقُولُ كُنْتُ مِمَّا زَحًا وَمَلَاعِبًا هِيَهَاتَ نَارِكُ فِي الْحِشْيَا سَتْسَعْرُ

أَلْهَبَتْهَا وَطَفَقَتْ تَضْحَكُ لَاهِيًا عَمَّا بِهِ وَفَوَادُهُ يَتَفَطَّرُ

أَوْ مَا عَلِمْتَ وَمِثْلَ جَهْلِكَ غَالِبٌ أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْغَرُ

وَقَالَ بَعْضُ الْحِكَمَاءِ : الْخُصُومَةُ تُمْرِضُ الْقُلُوبَ ، وَتَثْبُتُ فِيهَا النِّفَاقُ ،

وَالْمَزَاحُ يُذْهِبُ بِبِهَاءِ الْعِزِّ .

وَحَدَّثَنِي الْبَاغَنْدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ

قَالَ : قَالَتْ لِي أُمِّي : يَا بُنَيَّ لَا تَمَازِحِ الصِّبْيَانَ فَتَهُونَ عَلَيْهِمْ . وَقَدْ كَانَتْ أَدْرَكَتُ

النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَوْصَى يَعْلَى بْنُ مُنَبِّهٍ بَنِيهِ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِيَّاكُمْ وَالْمَزَاحَ ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ

بِالْبِهَاءِ ، وَيُعْقِبُ النَّدَامَةَ ، وَيُزْرِي بِالْمَرْوَةِ .

(١) وَغَرَهُ عَلَيْهِ : أَغْرَاهُ بِالْحَقْدِ عَلَيْهِ

(٢) جَمَعَ الرَّجُلُ : رَكِبَ هَوَاهُ فَلَمْ يُمْكِنْ رَدُّهُ

(٣) النَّوْكَى : جَمَعَ الْأَنْوَكُ : الْأَحْقُ ، الْعَاجِزُ الْجَاهِلُ

وقال مسعر بن كدام الهلالي لابنه :

ولقد منحتك يا كدام نصيحتي فاسمع لقول أبِّ عليك شفيق
أما المزاحمة والمرء فدعهما خلجان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحدهما لمجاور مجاورته ورفيق
وكان سعيد بن العاص يقول : لا تمازحَنَّ الشريفَ فيحقد عليك .
ولا الدنيا فيجتريء عليك .

وقد تواترت بالنهي عن ذلك الأخبار، وتكاثفت فيه الأشعار، ولعمري
إن ترك ما نهى عنه ذوو الأدب، من المداعبة واللعب، أولى بذى النهية^(١)
والأرب؛ وقد يجب على العاقل الأديب أن ينتقى اخوانه، ويتخير أصدانه،
ويفتش عن الأصحاب، ويجالس ذوى الألباب، ويستخلص أهل الفضل،
وأهل المروآت والعقل، فأنها محنة الأدباء، وفراسة العلماء، وإنما يعرف
الرجل بأشكاله. ويقاس بأمثاله، ويوسم بأصدانه، وينسب إلى أقرانه .
وقد شرحت في ذلك جملة من الآثار، وما روى فيه من التنف
والأخبار، فتقف عليه يبين لك ما فيه إن شاء الله تعالى .

٣ - باب الأمر باختيار الأقران

وانتخاب الأقران والأخذان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اختبروا الناس باخوانهم ، فإن
الرجل يخادن من يُعجبه نحوه .

وقال مجاهد : إني لأنتقى الاخوان ، كما أنتقى أطايب الثمر .
وقال بعض الشعراء :

(١) النهية : العقل

إِنْحَضَ^(١) مَوَدَّتِكَ الْكَرِيمَ فَأَتَمَّا
وإِخَاءَ أَشْرَافِ الرَّجَالِ مَرُوءَةً
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْرِمٍ :

وَقَارَنُ إِذَا قَارَنَتْ حَرًّا فَأَتَمَّا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْتَرْ صَدِيقًا لِنَفْسِهِ
وَرَوَى أَنَّ سُليْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ : لَا تَحْكُمُوا لِلرَّجُلِ بِشَيْءٍ
حَتَّى تَنْظُرُوا مَنْ يَخَادُنُ .

وَقَالَ عَدَى بْنُ زَيْدِ الْعَبَادِيِّ :
عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّرَّ يَبِيعُ أَهْلَهُ
وَقَالَ عَتَمَةُ بْنُ هُبَيْرِ الْأَسَدِيِّ :

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ
فَاخْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَسْمَائِهَا
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَنْ ذَا الَّذِي يَخْفَى عَلَيْهِ
وَعَلَى الْفَتَى بِطِبَاعِهِ
وَأَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُمَيْدٍ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْبَزِيدِيِّ :

وَمَنْ يَصَاحِبُ صَاحِبًا يُنْسَبُ إِلَى مُسْتَصْحَبِهِ
بِزَائِنَاتٍ رَشْدِهِ أَوْ شَائِنَاتٍ رِيْبِهِ

(١) انْحَضَ فَلَانَا الْوَدَّ أَوْ النَّصِيحَ : أَخْلَصَهُ إِيَّاهُ

(٢) أَزْرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ : عَابَهُ عَلَيْهِ

(٣) السِّمَةُ : الْعَلَامَةُ

ورأسُ أمرٍ لا مَرِيَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَنْبِهِ
وَذُو النَّسَبِ لَيْسَتْ تَبَا عَاتٌ ^(١) الْهُوَى مِنْ أَرَبِهِ
وَقَالَ آخِرُ: وَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ وَإِيَّاهُ
فَكُنْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى ^(٢) حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
وَلِلشَّيْءِ مِنْ الشَّيْءِ مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

وأنشدني أبو العباس الشيباني لأبي أمينة جد النبي صلى الله عليه وسلم :
وإذا أتيت جماعة في مجلس فاحذر مجالسهم ولما تقعد
وذر الغواة الجاهلين وجهلهم وإلى الذين يذكرونك فاقعد
فليؤاخ الأديب أكفاهه ، وليصحب نظراءه ، ومن يأمن من غدرة ،
وغيب ^(٣) أمره ، وبوائق ^(٤) شره ؛ وأنى يكون ذلك ولن يجتمع إلا في أهل
الحياء ، فمنهم كرم الوفاء ، وإذا اجتمع الحياء والوفاء ، صح الإخاء .
وقد أخبرني مخبر عن عبد الله بن طاهر أنه قال : لادواء لمن لا حياء له ،
ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ولا إخاء لمن أراد أن يجمع
بين أهواء أخلائه ، حتى يحبوا ما أحب ، ويكرهوا ما كره ، وحتى لا يرى من
أحد ختلا ^(٥) ولا زلا ، ولا تفريطا ، ثم أنشد :

طلبتُ أمرًا محضًا ^(٦) صحيحًا مسلمًا نقيًا من الآفات في كلِّ موسمٍ

(١) التباعات : جمع التباعة : ما ترتب على الفعل من الخير أو الشر
(٢) أردى الرجل : أستطه
(٣) الغب : العاقبة
(٤) البوائق : جمع البائقة : الداهية ، أو الشر
(٥) ختله : خدعه
(٦) المحض : الخالص الصريح عموماً .

لَأَمْنِهِ وَدَى فَمِ أَدْرِكُ الَّذِي صَبَرْتُ وَمَنْ يَصْبِرُ يَجِدُ غَيْبَ صَبْرِهِ
طَلَبْتُ وَمَنْ لِي بِالصَّحِيحِ الْمُسْلِمِ أَلَّذِي وَأَشْبَهِي مِنْ جَنَى النَّحْلِ فِي الْقَمِ
وَمَنْ لَا يَطِبُ^(١) نَفْسًا وَيَسْتَبِقُ صَاحِبًا وَيَغْفِرُ لِأَهْلِ الْوُدِّ يَصْرَمُ وَيَصْرَمُ^(٢)
وَقَالَ جَمُودُ الْوَرَّاقِ :

إِلْبَسْ أَخَاكَ عَلَى تَصْنَعِهِ فَلَرُبَّ مَفْتَضِحٍ عَلَى النَّصِّ
مَا كِدْتُ أَحْفَصُ عَنْ أُخَى ثِقَةٍ إِلَّا ذَمْتُ عَوَاقِبَ الْفَحْصِ
وَلِيَصْحَبَ نَظْرَاءَهُ ، وَمَنْ يَأْمَنُ غَدْرَهُ ، وَغَبَّ أَمْرَهُ ، وَبَوَاتِقُ شَرِّهِ .

وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ لِلطَّبِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ :
وَلَيْنَ كُنْتُ لَا تَصَاحِبُ إِلَّا صَاحِبًا لَا تَزِلُّ مَا عَاشَ نَعْلُهُ
لَا تَجِدُهُ وَلَوْ حَرَصْتَ وَأَنْتَى لَكَ بِالْحِلِّ لَيْسَ يَوْجَدُ مِثْلَهُ
وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ : أَعْيَانِي شَيْئَانِ : أَخٌ فِي اللَّهِ ، وَدَرَاهِمٌ حَلَالٌ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحَكَمَاءِ : مَنْ أَبْعَدَ النَّاسَ سَفَرًا ؟ فَقَالَ : مَنْ كَانَ فِي طَلَبِ
صَدِيقٍ يَرْضَاهُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْفَضْلِ بْنِ عِيَّاضٍ : ابْغِي رَجُلًا أَحَدَّثَهُ سَرِّي ، وَآمَنَهُ عَلَيَّ
أَمْرِي . فَقَالَ : تِلْكَ ضَالَّةٌ^(٣) لَا تَوْجَدُ .
وَأَنْشَدَنِي الْمُهَلَّبِيُّ لِنَفْسِهِ :

إِلْبَسْ أَخَاكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ وَاحْفَظْ مَوَدَّتَهُ بِالْغَيْبِ مَا وَصَلَا
فَأَطْوَلُ النَّاسِ عَمًّا مَنْ يَرِيدُ أَخَا ذَا خَلَّةٍ^(٤) لَا يَرَى فِي وَدِّهِ خَلَلًا
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا :

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا يَنْفَاكَ مَغْتَفِرًا ذَنْبُ الصَّدِيقِ وَإِنْ عَقًّا وَإِنْ صَرَمًا

(٢) صرمة : هجره ، وقاطعه

(٤) الخلة : الصداقة

(١) طابت النفس : انشرفت

(٣) الضالة : الشيء المفقود الذي تسعى وراءه

والعمرُ يَقصرُ عن هَجْرٍ وعن صَلَةٍ وعن تَجَنُّبِ وَعْتَبِ يُورِثُ السَّقَمَا
فتركُ مصارمةَ الخُلَّانِ ، والتجاوزُ عن هفواتِ الإخوانِ ، والاستكثارُ
من الأخلاءِ ، ورفضُ معاندةِ الأعداءِ ، أولى بأهلِ الأدبِ ، وذوى المروءةِ
والأربِ ، وأهلِ الفضلِ والحسبِ .

وقد حكى الأصمعيُّ قال : سمعتُ أعرابياً يقولُ لأخٍ له : أى أخى ، إن
الصديقَ يحولُ بالجفاءِ ، وإنى أراك رَطَبَ اللسانِ من عيوبِ أصدقائكِ ،
فلا تَزِدْهُمْ فى أعدائكِ .

وقال عبد الله بن الحسن بن عليٍّ لابنه رضى الله عنه : إياك وعداوة
الرجالِ . فإنها لن تُعْدمَكَ مكرَ حلِيمٍ ، أو مفاجأةَ لئيمٍ
وروى أن سليمان بن داود قال لابنه : يا بُنَيَّ لا تستكثرُ أن يكونَ لك
ألفُ صديقٍ ، ولا تستقلَّ أن يكونَ لك عدوٌّ واحدٌ
وروى أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال :

وأكثرُ من الإخوانِ ما استطعتَ إنهم عمادٌ إذا استنجدتهم وظهورُ
وليس كثيراً ألفُ خلٍّ وصاحبٍ وإنَّ عدوًّا واحداً لكثيرُ
وليس شيءٌ أسرَّ إلى ذى اللبِّ ، ولا أحسنُ موقعاً فى القلبِ ، من محادثةِ
العقلاءِ ، ومجالسةِ الأدباءِ ، فإنَّ ذلكَ مما تفتقُّ به الأذهانُ . وينفسحُ به الجنانُ ،
ويزيدُ فى اللبِّ ، ويحيى به القلبُ . كما قال بعضُ الشعراءِ :

وما بقيتُ من اللذاتِ إلا محادثةُ الرجالِ ذوى العقولِ
وقد كُنَّا نعدُّهم قليلاً فقد صاروا أقلَّ من القليلِ

وقيلُ للحرقمةِ ابنةِ النعمانِ : ما كانت لذةُ أبيك ؟ فقالت : إدمانُ الشرابِ
ومجالسةُ الرجالِ .

وقال عمرو بن مرة الجهني ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وَصَحَّوتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَمَّدٍ حَسَنَ الْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمًا
وقال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص : ما بقي مما تستلذه ؟
فقال : مجالسة الرجال .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن عدة من الصحابة رضی
الله عنهم ، من الأحاديث في الحث على صحبة الاخوان ، والرغبة في الخلان ،
ما إن ذكرناه طال به الكتاب ، وكثر به الخطاب ؛ وسنذكر بعض ذلك
ونختصره ، ونأخذ من أحسنه ما يكون فيه بلاغ إن شاء الله تعالى .

٤ - باب الحث على صحبة الاخوان

والإغراء على مودة الخلان ، والرغبة في أهل الصلاح والإيمان
رُوي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المرء على دين
خليله ، فلينظر أحدكم من يُخال .
ورُوي عن أبي عمرو العوفي قال : كان يقال : اصحب من إن صحبته
زانك ، وإن خدمته صانك ، وإن أصابتك خصاصة^(١) مانك^(٢) ، وإن
رأى منك حسنة عدّها ، وإن رأى منك سقطّة سترها ، ومن إن قلت صدق
قولك ، وإن أصبت سدد صوابك ، ومن لا يأتيك بالبواثق ، ولا تختلف
عليك منه الطرائق .

وقال الفضل بن غسان البصري : كان يقال : اصحب من ينسى معرفه عندك
ورُوي عن معاوية بن قرة قال : نظرت في المودة والاخاء ، فلم أجد
أثبت مودة من ذى أصل .

(٢) مانه : قدم له مؤنته وقام بكفائته

(١) الخصاصة : الفقر

وأنشدونا لعمر بن عبد العزيز ، ولا يعرف له غير هذه الأبيات :

إني لأمنح من يواصلني متى صفاء ليس بالمدق^(١)
وإذا أخ لي حال عن خلق داويت منه ذلك بالرائق
والمرء يصنع نفسه ومتى ما تبله ينزع إلى العرق
ومثله قول زهير بن أبي سلمى :

ومايك من خير أتوه فأنما توأرته آباه آباهم قبل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه^(٢) وتغرس إلا في منابتها النخل
ومنه قول الآخر :

والابن ينشو على ما كان والده وقال المتوكل الكناني :

عندي لصاح قومي ما بقيت لهم حمد ، وذم لأهل الذم معدود
أجري على سنة من والدي سبقت وفي أرومته^(٣) ما ينبت العود

وأوصى بعض الحكماء أخاً له فقال : أي أخي ، أخ الكريم الأخوة ،
الكامل المروءة ، الذي إن غبت خلفك ، وإن حضرت كنفك^(٤) وإن لقي صديقك
استزاده ، وإن لقي عدوك كنفه ، وإن رأيت ابتهجت ، وإن نأيت استرحت .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا رزقك الله مودة امرئ مسلم فتشبت بها .
وكان سفیان الثوري كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين :

أبل الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسمن إخاءهم وتفقد

(٣) مذق الود : شابه بكدر ولم يخلصه

(٢) الخطي : الرخ ، نسبة إلى الخط ، وهي جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح .

الوشيج : شجر الرماح

(٤) كنف الشيء : صانه وحفظه

(٢) الأرومة : أصل الشجرة

فَإِذَا وَجَدْتَ أَخَا الْأَمَانَةِ وَالْتَمَقِي
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ فِي الرَّخَاءِ مُسَاعِدٍ

وَمِثْل ذَلِكَ قَوْلَ الْآخَرِ :

أَخٌ مِنْ آخِيَتٍ عَنْ خَبْرَتِهِ
لَا وَلَا الْأَجْسَامُ مَا لَمْ تَبْلُهُمْ
مِنْهُ مَا لَيْسَتْ لَهُ مَنظَرَةٌ
وَتَرَى مِنْهُ أُنَيْقًا نَبْتُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَنْ حَمَدَ النَّاسَ وَلَمْ يَبْلُهُمْ
وَصَارَ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا
ثُمَّ بَلَاهُمْ ذَمًّا مَنْ يَحْمَدُ
يُوحِشُهُ الْأَقْرَبُ وَالْأَبْعَدُ

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ لِابْنِهِ : أَيُّ بَنِي لَا تُؤَاخِ أَحَدًا
حَتَّى تَعْرِفَ مَوَارِدَ أُمُورِهِ وَمَصَادِرَهَا ، فَإِذَا اسْتَبَطَنْتَ الْخَيْرَ ، وَرَضَيْتَ مِنْهُ
الْعِشْرَةَ ، فَأَخِخْهُ عَلَى إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ ، وَالْمُوَاسَاةِ عِنْدَ الْعُسْرَةِ .

وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ :

وَكَانَتْ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غَيْظِي
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَكَظَّمْتُ غَيْظِي
عَلَى حَنْقٍ وَأَشْرَقِي بِرَيْبِي
مَخَافَةَ أَنْ أَكُونَ بِبِلَا صَدِيقٍ

وَأَنْشَدَنِي لِبِشَّارِ بْنِ بُرْدِ الْعُقَيْلِيِّ :

أَخُوكَ الَّذِي لَا يَنْقُضُ الدَّهْرُ عَهْدَهُ
تُخَذُّ مِنْ أَخِيكَ الْعَفْوُ وَاغْفِرْ ذُنُوبَهُ
وَإِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا
وَلَا عِنْدَ صَرْفِ الدَّهْرِ زُورٌ^(٣) جَانِبُهُ
وَلَا تَكُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تَجَانِبُهُ
صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تَعَاثِبُهُ

(١) الطَّرَرُ : جَمْعُ الطَّرَةِ ، الْجَبْهَةِ

(٢) الْخُورُ : الضَّعْفُ

(٣) أَزُورُ عَنْ كَذَا : عَدَلْتُ وَانْحَرَفْتُ

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ^(١) ظمئت وأى الناس تصفوا مشاربه
وقال آخر :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه
ومن يتتبع جاهداً كل عثرة
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب
وأنشدني أحمد بن يحيى لسعيد المساحق :

فخذ عفو من أحببت لا تبر منه
وقال أبو الأسود الدؤلى :

ولست مستبقياً أخاك لا
من ذا الذى هذبت خلائقه
تصفح عما يكون من زلله
فى ريشه ^(٢) إن أتى وفى عجله
لا أصحب الخائن اللئيم ولا
أجزيه بالعرف ما حيت ولا
ومثله قول النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه
وأجاد والله الذى يقول :

إذا ما أذانى مفصل فقطعته
ولكن أداويه فإن صح كانلى
بقيت ومالى للنهوض مفاصل
وأنشدت لرجل من طي :

وإن هو أدوى ^(٤) كان فيه تحامل ^(٥)
أرخ على الناس ثوب سترهم
أو اجن حلو الثمار من شجره

(١) القذى : ما يقع فى العين أو الشراب من تبن ونحوه

(٢) رنق الماء : اختلط فيه الطين فكدر .

(٣) الريث : مقدار المهلة من الزمن ، يقال : أمهله ريثاً فعل ذلك ، أى مقدار ما فعل ذلك .

(٤) أدواه : أمرضه . (٥) تحامل فى وبالامر : تكلفه على مشقة .

وَاسْتَبَقَ مَا لَمْ تَرِدْ قَطِيعَتَهُ بَسْتَرَهُ مَا اسْتَقَرَّ فِي سِتْرِهِ
فَرُبَّ بَادِي الْجَمِيلِ مِنْهُ إِذَا فَتَشَّ أَبْدَى التَّفْمِيشَ عَنْ عَوْرِهِ
وَاسْتَصْلَحَ النَّاسَ مَا اسْتَطَعَتْ وَلَا تُسْرِعْ إِلَى ضَرِّهِ بِنَبْغِي ضَرَرِهِ
وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَحَبُّ أَخْوَانِي إِلَى أَخٍ إِنْ
غَبِتَ عَنْهُ عَذْرَنِي ، وَإِنْ جَمَّتْهُ قَبْلَنِي

وَقِيلَ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : أَيُّ إِخْوَانِكَ أَوْجِبَ عَلَيْكَ حَقًّا ؟ فَقَالَ : الَّذِي
يَسُدُّ خَلْتِي ، وَيَغْفِرُ زَلَّتِي ، وَيَقِيلُ عَثْرَتِي

وَقَالَ مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ :

إِنَّمَا صَاحِبِي الَّذِي يَغْفِرُ الذَّنْبَ بَ وَيَكْفِيهِ مِنْ أَخِيهِ أَقْلَهُ

لَيْسَ مَنْ يُظْهِرُ الْمَلَالَةَ إِفْكًَا وَإِذَا قَالَ خَالَفَ الْقَوْلَ فِعْلُهُ

وَصَلُّهُ لِلصَّدِيقِ يَوْمَ وَيَوْمٍ يُضْمِرُ الْهَجْرَ ثُمَّ يَنْبِتُ حَبْلَهُ (١)

وَأَحَقُّ الرِّجَالِ أَنْ يَغْفَرَ الذَّنْبَ بَ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤْفَرُ عَقْلُهُ

وَفِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعِيدِ السَّاعِدِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَرْءُ كَثِيرُ بَأْخِيهِ

وَكَتَبَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَاذَا قَدِمَ عَلَيْكَ ، أَخٌ
مُؤَافِقٌ لَكَ ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ ، مَكَانَ سَمْعِكَ وَبَصْرِكَ ، فَإِنَّ الْأَخَّ الْمُؤَافِقَ ، أَفْضَلُ مِنَ
الْوَالِدِ الْمُخَالَفِ

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ قَصَّرَ فِي طَلْبِ الْإِخْوَانِ ،
وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مِنْ ظَفَرٍ بِهِ مِنْهُمْ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : عَلَيْكُمْ بِإِخْوَانِ الصَّدِيقِ فَالْكَتْسِبِيُّوهُمْ ، فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي
الرِّخَاءِ ، وَعُدَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ

(١) انبت : انقطع .

وسئل بعض الحكماء: أى الكنوز خير؟ فقال: أما بعد تقوى الله، فالأخ الصالح (واعلم) أن خير الإخوان من كانت إخوته ومحبيته في الله، ولم تكن خُلته^(١) ولا مؤاخاته لطمع قليل، ولا لغرض عاجل، وليس شيء بذوى العقول، وأهل الديانات والفضل: أفضل من إخلاص المودة في الله؛ ولعمري أن ذلك يحسن بجميع أهل الملل والأديان، وهو من أوثق عرى الإيمان، وقد روى فيه أحاديث كثيرة، اقتصرنا على بعضها، واختصرنا من أحسنها، وفي البعض كفاية إن شاء الله.

٥ - باب صفة المتحابين في الله عز وجل

روى عن البراء بن عازب أنه قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتدرون أى عرى الإيمان أوثق؟ قلنا: الصلاة. قال: إن الصلاة لحسنة، وماهى بها. قلنا: الزكاة. قال: وحسنة، وماهى بها. فذكروا شرائع الإسلام. فلما رآهم لا يصيبون. قال: إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله.

وأخبرني أبي رحمه الله بإسناد ذكره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة لعموداً من ذهبٍ عليه منابر من زبرجد تضيء لأهل الجنة كما يضيء الكوكب الدرّي في أفق السماء؛ قلنا: لمن هذا يا رسول الله؟ قال: للمتحابين في الله^(٢)

(١) الخلة: الصداقة.

(٢) الكوكب الدرّي (بتثنية الدال): الثاقب المضيء كالدر. وقد روى الحديث بالجامع الصغير للحافظ السيوطي: «إن في الجنة لعموداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدرّي يسكنها المتحابون في الله تعالى والمتجالسون في الله تعالى والمتلاقون في الله».

وَرَوَى أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تَحِبَّ
فِي اللَّهِ وَتَبْغِضَ فِي اللَّهِ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الْإِيمَانُ أَنْ يَحِبَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا
نَسَبٌ قَرِيبٌ، وَلَا مَالٌ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، لَا يَحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
وَرُوِينَا عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَاخِي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَطْوُلُ اللَّيْلَةُ عَلَى أَحَدِهِمَا حَتَّى
يَرَى أَخَاهُ

وَرُوِينَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ اسْمَلْتُ، وَلَا رَأَى إِلَّا تَبَسَّ فِي وَجْهِهِ
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لِقَاءُ الْأَخْوَانِ جِلَاءُ الْأَحْزَانِ
وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي: لِقَاءُ الْأَحِبَّةِ مَسْلَاةُ الْهَمِّ
وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَنْتُمْ جِلَاءُ حَزْنِي
وَرَوَى عَنْ أَبِي إِمَامَةَ قَالَ: مَنْ أَعْطَى اللَّهُ، وَمَنْعَ اللَّهُ، وَأَحَبَّ اللَّهُ،
وَأَبْغَضَ اللَّهُ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ

وَقَدْ كَانَتْ الْحِكْمَاءُ تَقُولُ: إِنَّ مَا يَحِبُّ لِلْأَخِ عَلَى أَخِيهِ مَوَدَّةٌ بِقَلْبِهِ،
وَتَزِينَةٌ بِلِسَانِهِ، وَرَفْدَةٌ^(١) بِمَالِهِ، وَتَقْوِيمَةٌ بِأَدَبِهِ، وَحَسَنُ الذَّبِّ^(٢) وَالْمُدَافَعَةُ
عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ.

وَأَنْشَدَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْصَفْ أَخَاهُ وَلَمْ يَكُنْ
فَلَا خَيْرَ فِيهِ فَالْتَمَسْ غَيْرَهُ أَخًا
فَإِنْ غَيْبَتْ يَوْمًا أَوْ شَهِدَتْ فَوَجْهَهُ
لَهُ غَائِبًا يَوْمًا كَمَا هُوَ شَاهِدُهُ
كَرِيمًا عَلَى وَصْلِ الْكَرِيمِ تَعَاهِدُهُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ أَيْنَمَا كُنْتَ وَاجِدُهُ

(٢) ذب عنه: دفع وحمى

(١) الرغد: العطاء والمعونة

أنشدني أحمد بن يحيى ، لكثير عزّة :
وليس خليلي بالملول ولا الذي إذا غبتُ عنه باعني بخليل
ولكن خليلي من يدوم وفاؤه ويحفظ سرّي عند كلّ دخيل
ولستُ براضٍ من خليلي بنائيلٍ قليلٍ ولا أرضى له بقليل
وأنشدني بعض الأدباء ، قال : أنشدني أعرابي ببلاد نجد :

وليس خليلي بالمزجج^(١) ولا الذي إذا غبتُ عنه كان عوناً مع الدهر
ولكن خليلي من يصون مودتي ويحفظني إن كان من دوني البحر
وأنشدني أبو العباس محمد بن يزيد النحوي :

تودُّ عدوى ثم تزعمُ أنني أودُّك ، إن الرأي عنك لعازب^(٢)
وليس أخي من ودّني رأى عينه ولكن أخي من ودّني وهو غائب
وأنشدني يوسف الأعرور قال : أنشدني يعقوب بن السكيت

الأوس بن حجر :
وليس أخوك الدائم العهد بالذي يدّمك إن ولى ويرضيك مقبلاً
ولكن أخوك النائي ما كنت آمناً وصاحبك الأذني إذا الأمر أعضلاً^(٣)

وأنشدني أبو العيناء ، قال أنشدني الجاحظ :
أخوك الذي إن سرك الأمر سره وإن غبت يوماً ظلّ وهو حزين
يقرب من قربت من ذي مودة ويقضي الذي أقصيته ويهين

وأنشدني أحمد بن يحيى :
إذا أنت رافقت الرجال فكن فقيّاً كأنك مملوك لكلّ رفيق

(١) المزجج : الضعيف .
(٢) عزب فهو عازب : بعد وغاب .
(٣) أعضل الأمر : اشتد واستغلق

وَكُنْ مِثْلَ طَعْمِ الْمَاءِ عَذْبًا وَبَارِدًا عَلَى السَّكِيدِ الْحَرِيِّ^(١) لِكُلِّ صَدِيقٍ
وَاعْلَمْ أَنَّ أَحْسَنَ مَا تَأَلَّفَ بِهِ النَّاسَ قُلُوبَ أَخْلَاءِهِمْ، وَنَفَوَابَهُ لِلضَّغْنِ^(٢)
عَنْ قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ، الْبِشْرُ بِهِمْ عِنْدَ حُضُورِهِمْ، وَالتَّفَقُّدُ لِأُمُورِهِمْ، وَحَسَنُ
الْبِشَاشَةِ، فَذَلِكَ يُثَبِّتُ الْمَحَبَّةَ وَالْإِخَاءَ؛ وَمِنْهُ أَحَادِيثٌ قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا،
وَقَصَدْنَا فِيهَا فِيهِ قِنَاعَهُ.

٦ - باب البشاشة بالامور

والصبر على تألف قلوب ذوى الأضغان

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: (إِدْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ حَظُّوا عَظِيمًا).

وقال تعالى: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ
عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

وقال عز وجل: (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)
وروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: رأس العقل
بعد الإيمان التودد إلى الناس^(٣)

وسئل الحسن عن حُسن الخلق فقال: الكرم والبذلة والتودد إلى الناس
وروينا عن جرير بن عبد الله البجلي فقال: ما حججني رسول الله منذ
أسلمت، ولا رأيتني إلا تبسم في وجهي.

(١) الحري: الشديد العطش. (٢) الضغن: الحقد.

(٣) روى بالجامع الصغير: رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس واصطناع
الخير إلى كل بر وفاجر.

وقال المنصور: اذا أحببت المحمّدة من الناس بلا مؤونة، فألقهم

ببشر حسن.

وروى عن كعب الأحبار قال: مكتوب في التوراة: ليكن وجهك سبّطاً،
تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة.

وأشدني أبو علي العنزي:

إِلْقَ بِالْبِشْرِ مَنْ لَقِيَتْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَلَا قِيمَ بِالطَّلَاقِ
تَجَنُّ مِنْهُمْ بِهِ جَنِيَّ ثَمَارٍ طَيِّبٍ طَعْمُهُ لِذَيْدِ الْمَدَاقِ
وَدَعِ التِّيَةَ وَالْعَبُوسَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّ الْعَبُوسَ رَأْسُ الْحَمَاقِ
كُلَّمَا شَتَّ أَنْ تُعَادِيَ عَادِيَتَ صَدِيقًا وَقَدْ تُعْزِ الصَّدَاقِ
أَشَدَّنِي لِبَعْضِ بَنِي طَيِّءٍ:

خَالِقِ النَّاسَ بِخَلْقٍ وَاسِعٍ لَا تَكُنْ كَلْبًا عَلَى النَّاسِ تَهْرُ
وَالْقَهْمُ مِنْكَ بِبِشْرٍ كُنْ لِلَّذِي تَسْمَعُ مِنْهُمْ مُغْتَفِرٌ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

وَأَلْنِ جَنَاحَكَ تَعْتَقِدُ فِي النَّاسِ مُحَمَّدَةَ بِلِينِهِ
فَلَرِّبَّمَا أَحْتَقَرَ الْفَقِيَّ مَنْ لَيْسَ فِي شَرَفٍ بِدُونِهِ

وكان يقال: أول المروة طلاقة الوجه، والثانية التودد إلى الناس،

والثالثة قضاء حوائج الناس.

وروى أن أعرابياً قال: يارسول الله، إننا من أهل البادية، فنحب أن
تعلينا عملاً لعل الله أن ينفعنا به. قال: لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن
تفرغ من دلوك في إناء المستقي، وأن تكلم أخاك ووجهك إليه منطلق.
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لن تسعوا الناس بأموالكم،
فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : تمام تحياتكم المصافحة .

وقال الحسن البصرى : المصافحة تزيد في المودة

وروى مجاهد عن معاذ قال : إن المسلمين إذا التقيا فضحك كل واحد

منهما في وجه صاحبه ، ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر ^(١)

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا صَلَحَتِ النَّيَّاتُ ، وَخَلَصَتِ السَّرِيرَاتُ ، صَلَحَتِ أَصْفِيَّةُ ^(٢)

المودة ، وثبتت المحبة ، واتفقت القلوب ، واغتفرت الذنوب ؛ وإذا فسدت

النِّيَّاتُ ، وَخَبِثَتِ السَّرِيرَاتُ ، بَطَلَ خَالِصُ الْإِخَاءِ ، وَانْحَلَّتْ عُرَى ^(٣) المودة

والصفاء ؛ وقد شرحت في ذلك باباً ، تقف عليه إن شاء الله تعالى

٧ - باب اتفان القلوب

على مودة الصديق ، وقلة الخلاف على الرفيق

روينا عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، وعن الوليد ، عن

أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأرواح جنود مجنّدة ،

فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر ^(٤) اختلف .

وقال بعض الشعراء :

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مَجْنَدَةٌ لَهِ فِي الْأَرْضِ بِالْأَهْوَاءِ نَعْتَرَفُ

فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُؤْتَلَفٌ وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلَفٌ

وقال طرفة :

وَإِنَّ امْرَأَةً لَمْ يَعْفُ يَوْمًا فُكَاهَةً لِمَنْ لَمْ يُرِدْ سُوءًا بِهَا الْجَهْلُ

(١) تحات الورق من الشجر : تناثر .

(٢) أصفى فلانا الود ، وأصفى له الود : أخلصه له .

(٣) العرى : جمع عروة : ما يوثق به .

(٤) تناكر القوم : تعادوا وأنكر بعضهم بعضا .

تَعَارَفَ أَرْوَاحُ الرِّجَالِ إِذَا التَّقَوُّوا فَمِنْهُمْ عَدُوٌّ يُتَّقَى وَخَلِيلٌ
وَكَانَ يُقَالُ : الْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ .

وقيل لخالد بن صفوان : أخوك أحب اليك ، أم صديقك ؟ فقال : إن
أخى إذا كان غير صديق لم أحبه .

وروينا عن واصل مولى ابن عيينة قال : كنت مع محمد بن واسع بمرو ،
فأتى عطاء بن مسلم ومعه ابنه عثمان فقال عطاء لمحمد : أى عمل فى الدنيا
أفضل ؟ قال صحبة الأصحاب ، ومحادثة الإخوان ، إذا اصطحبوا على الأمن
والتقوى ، فحينئذ يذهب الله بالخلف من بينهم ، فواصلوا وتواصلوا .

وروى عن بشر بن السرى قال : ليس من البر أن تبغض ما أحبه حبيبتك
وقال عبد الله بن صالح : اجتمعت أنا ومحمد بن نصر الحارثى ، وعبد الله
ابن المبارك . ونضيل بن عياض ، فصنعت لهم طعاما فلم يخالف محمد بن نصر
علمينا فى شىء أصلا . فقال له عبد الله : ما أقل خلافاك ! فقال محمد :

وَإِذَا صَاحِبَتُ فَاصْحَبْ مَا جَدًّا ذَا حَيَاءٍ وَعَفَافٍ وَكَرَمٍ

قَوْلُهُ لِلشَّيْءِ : لَا ، إِنْ قَلْتَ : لَا وَإِذَا قَلْتَ : نَعَمْ ، قَالَ : نَعَمْ

وقال آخر :

هُمُومٌ رِجَالٌ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَهَمٌّ مِنَ الدُّنْيَا خَلِيلٌ مُسَاعِدٌ
إِذَا غَبَّتْ عَنْهُ لَمْ أَغْبَ عَنْ ضَمِيرِهِ كَأَنِّي مُقِيمٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ شَاهِدٌ
تَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ فَرَّقَا فِجْسِمَاهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ
وَأَنْشَدَنِى آخَرَ :

وَالْفَيْنِ كَالْعُنَيْنِ ضَمَّمَا الْهَوَى فَرُوحَاهُمَا رُوحٌ وَقَلْبَاهُمَا قَلْبٌ
إِذَا غَابَ هَذَا سَاعَةً عَنْ خَلِيلِهِ تَجَلَّاهُ يَوْمًا عِنْدَ فُرْقَتِهِ كَرْبٌ
فِيَأْمَنُ رَأَى الْفَيْنِ صَانَا هَوَاهُمَا فِهَذَا بِنَا صَبٌّ وَهَذَا بِنَا صَبٌّ

وَأُنشِدْتُ لِلْحَكَمِيِّ :

رُوحُهَا رُوحِي وَرُوحِي رُوحُهَا وَلَهَا قَلْبٌ وَقَلْبِي قَلْبُهَا
فَلَنَا رُوحٌ وَقَلْبٌ وَاحِدٌ حَسْبُهَا حَسْبِي وَحَسْبِي حَسْبُهَا

ولعمري ان ذلك لحسن جميل ، والذي قيل في ذلك كثير طويل .
وقد نهى قومٌ عن استعمال الميل في المودة ، واعلم أن ذلك مع دوام المحبة ،
وصفاء المودة ، لحسن غير مدفوع ، غير أنه قد نهى عن استعمال الميل في المودة ،
وكثرة الإفراط في المحبة ، وإدمان الزيارة في كل يوم وساعة ، لموضع الملل
والسلوان ، الذي هو طبع الانسان ، وأمرنا بالقصد في كل الأمور ، بدوام
المحبة والسرور ، وقد ذكرتُ بعض ذلك وفيه مقنع .

٨ - باب النهي عن استعمال الإفراط في حب الصديق

رُوي عن بعض الحكماء أنه قال : لا يفرط الأديب في محبة الصديق ،
ولا يتجاوز في عداوة العدو ، فانه لا يدري متى تنتقل صداقة الصديق عداوة ،
ولا متى تنتقل عداوة العدو صداقة .

وحكى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال : أحبب حبيبك
هوناً ما^(١) عسى أن يكون بغضك يوماً ما ، وأبغض بغضك هوناً ما ، عسى
أن يكون حبيبك يوماً ما .

ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : لا يكن حبك كلفاً ،
ولا بغضك تلفاً .

ومن أمثال أكتهم بن صيفي : الانقباض من الناس مكسبة للعداوة ،
وإفراط الأنايس مكسبة للملال . قال أبو عبيدة : يريدان الاقتصاد أدنى إلى السلامة .

(١) أحب حبيبك هوناً ما . . . : أي حبا مقتصد لا إفراط فيه ، وإضافة ما
تفيد التقليل ، يعني لا تسرف في الحب والبغض فعسى أن يصير الحبيب بغيضاً والبغض
حبيباً ، فلا تكون قد أسرفت في الحب فتندم ولا في البغض فتستحي .

قال أبو زيد : من أمثالهم : لا تكن حُلُومًا قُتِصِرَطَ (١) ولا مرًّا فُتَعَقَى (٢)
أى تُلَفِظ من المرارة .

ومثله قول مُطَرِّف بن الشَّخِير : الحسنة بين السَّيِّئِينَ ، وخير
الأمور أوسطها .

وكان يقال : لا تهذر في منطقتك ، ولا تُخْبِر بذات نفسك ، ولا تغترَّ
بعُدوك ، ولا تفرط في حب صديقك ، ولا تفرغ إلى من لا يرحمك ، ولا
تألف من لا يرشدك ، ولا تبغض من لا ينصح لك ، فإن شرَّ الأخلاق ملالة
الصاحب ، وتقريب المتباعد .

وأُشْدِنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى لِلْمُقَنِّعِ الْكِنْدِيِّ :

وَكُنْ مَعْدَنًا لِلْجَلْمِ وَأَصْفَحْ عَنِ الْأَذَى فَإِنَّكَ رَأِي مَا عَلِمْتَ وَسَامِعُ
وَأَحِبُّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَاعِدٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

وأُشْدِنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى لِسَعِيدِ الْمَسَاحِقِيِّ :

فَهَوَّنَكَ فِي حُبِّ وَبَغْضٍ فَرُبَّمَا يَرِي جَانِبٌ مِنْ صَاحِبٍ بَعْدَ جَانِبِ
وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يَنْشُدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَأَحْسِبُهُمَا لَهُ :
إِذَا أَنَا أَكْرَمْتُ اللَّئِيمَ فَعَدَنِي مَهِينًا لَهُ حَقَّقْتُ بَاطِلًا مَا عَدَا
فَإِنَّ صَلَاحَ الْأَمْرِ يَرْجِعُ كُلَّهُ فَسَادًا إِذَا الْإِنْسَانُ جَزَتْ بِهِ الْحَدَا
وهذا طويل يُقْنَعُكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ .

وأما طول الزَّيَارَةِ ، فقد يجب على أهل الصَّدَاقَةِ تَرْكُ الْمُدَاوِمَةِ عَلَيْهَا ،
وَكثرة الجَنُوحِ (٣) إِلَيْهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَخْلُقُ الْحُبَّ ، وَيَذْهَلُ الصَّبُّ ، وَيَضْجُرُ

(١) سُرَطُ الشَّيْءِ : ابْتَلَعَهُ . (٢) عَقَى الْأَمْرُ : كَرِهَهُ . وَأَعَقَى : صَارَ مَرًّا .

(٣) جَنَحَ إِلَيْهِ : مَالَ .

المزور ، ويعدم السرور ، ويوقع البذل ، ويبدى الملل ؛ وقد شرحنا في ذلك باباً فاعرفه وقف عليه إن شاء الله تعالى

٩ - باب الأمر باعجاب زيارة الأعباب

والنهي عن مداومة غشيان الأصحاب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : زُرْ غَبًّا تَزِدُّ حُبًّا
وقال بعض الحكماء : من كثرت زيارته قلت بشاشته

وقال آخر : من أدمن زيارة الأصدقاء : عدم الاحتشاد عند اللقاء * وقال آخر :

أقليل زيارتك الصديق ق تكون كالثوب استجدده
إن الصديق يمله أن لا يزال يراك عنده

وقال آخر :

عليك باقلال الزيارة إنَّها تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا
فإن رأيت القطر يسأم دائبًا ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا^(١)

وأنشدت لأبي تمام ، حبيب بن أوس :

وطول مقام المرء في الحى مخلوق لذي حاجته فاعترب تتمجدد^(٢)
فإن رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد^(٣)

وأنشدني لأبراهيم بن المهدي :

إنني كثرت عليه في زيارته والشئ مستثقل جدا إذا كثرا
ورأيت منه أني لا أزال أرى في طرفه قصرًا عني إذا نظرًا^(٤)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

(١) القطر : المطر .

(٢) مخلوق : بال أو ممزق . الديقاجه : الخد .

(٣) السرمد : الدائم .

(٤) الطرف : العين .

لَا تَجْعَلُنْ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا أَحَبَبْتَهُ وَهُوَ يَتَهُ رَبًّا (١)
 وَصِلِ الصَّدِيقَ إِذَا كَلَفَتْ بِحَبِّهِ وَاطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غَيْبًا (٢)
 فَلَذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
 لَا بَلْ يَمْلِكُ عِنْدَ دَعْوَتِهِ فَيَقُولُ آهَ وَطَالَ مَا لَيْتِي (٣)
 وقال آخر :

أَغْبُ الزِّيَارَةَ لَمَّا بَدَأَ لَهُ الْهَجْرُ أَوْ بَعْضُ أَسْبَابِهِ
 وَمَا صَدَّ هَجْرًا وَلَكِنَّهُ طَرِيدٌ مَلَالَةٌ أَحْبَابِهِ

وكتب بعض الظرفاء رقعة وطرحتها في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر حيث حرم القيان :

عَزَمَاتُ الْأَمِيرِ أَصْلَحَهُ إِلَّا هُ بِحُسْنِ الْإِرْشَادِ وَالتَّوْفِيقِ
 بَاعَدَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُجَابٍ وَمُدِيلٍ وَمُنْصِفٍ وَصَدِيقٍ
 فَوَقَّعَ مُحَمَّدٌ فِي ظَهْرِ الرُّقْعَةِ
 حُسْنَ رَأَى الْأَمِيرَ فِي الْعُشَاقِ وَفَرَّ الْحِظَّ فِي بَعَادِ التَّلَاقِ
 خَافَ أَنْ يَحْدِثَ الْوِصَالَ مَلَالًا فَتَلَا فِي الْهَوَى بِيَعُضِ الْفِرَاقِ
 وَأَنْشَدَنِي بَعْضَ الْأَدْبَاءِ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ لِي مُحِبًّا وَإِلَى حِينٍ أَغِيبُ صَبًّا

(١) الرب . مقول ثان لتجعلن . ويطلق في اللغة على المالك والسيد والمدير والمرئ والقيم والمنعم .

(٢) كلف به : أحبه حباً شديداً وأولع به : وىروى : إذا سمعت به . واطو الزيادة : اقطعها . غب غيباً : جاء زائراً بعد أيام ، وغب عنه وعليه : أتاه يوماً وتركه آخر .

(٣) مل الشيء : ستمه وضجر منه ، آه : توجع . لبي : أجاب النداء وىروى :

لا بل يملك ثم تدعو باسمه فيقول هاه وطالما لبي

فهِجرتُ لا لملاة حَدَّثْتُ ولا استحدثتُ ذنباً
الا لقول نينياً زوروا على الأيام غيباً
ولقوله من زار غيباً ما منكم يزاد حُباً
وهجرتُ حين هجرتُ كني أزداد بالهجران قرباً
الله يعلم أنني لك أخلص الثقلين قلباً^(١)
أرعى لك الودَّ القديم م وإن جنيت على حرباً

ومن ذلك ما روى ان العتّابي دخل على يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت له جارية يقال لها : خلوب ، تُجالس الأدباء ، وتناقض الشعراء ، فقال لها : سليه لا بطائه عنّا جائزة ، فقالت له : قل على هذه القافية .

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلِي فِزْرَ مُتَوَاتِرًا^(٢) وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزِدَادَ حُبًّا فِزْرَ غَيْبًا
فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَقِيتُ بِسِلاَ قَلْبِ لِأَنِّي هَائِمٌ فَهَلْ مِنْ مَعِيهِ يَا خَلُوبُ بِكُمْ قَلْبًا
حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ أَنَّكَ مُنِيَّتِي فَكُونِي لِعَجْبِي حَيْثُ مَا نَظَرْتَ نَضْبًا
عَسَى اللَّهُ يَوْمًا أَنْ يُرِيْدِيكَ خَالِيًّا فَأَجْنِي بِلِحْظِي مِنْ مَحَاسِنِكُمْ عَجْبًا
يَقُولُونَ لَا تَكْثُرْ زِيَارَةَ صَاحِبِ فَانَكَ أَنْ أَكْثَرْتَهُ كَرِهَ الْقُرْبَا
وَكَيفَ يُطِيقُ الصَّبُّ سِلْوَانَ حَبِيْبِهِ إِذَا كَانَ مَشْعُوفًا قَدْ اسْتَشْعَرَ الْكَرْبَا^(٣)
وَقَدْ قَالَ بَيْتًا مَا سَمِعْتُ بِشَيْءِ لَهُ خَلِيٌّ مِنَ الْأَحْزَانِ لَمْ يَذُقِ الْحُبًّا
إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلِي فِزْرَ مُتَوَاتِرًا وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزِدَادَ حُبًّا فِزْرَ غَيْبًا

(١) الثقلان : الإنس والجن .

(٢) قلى الرجل : أبعثه . واتر الكتب : أرسل بعضها في أثر بعض ، ويريد أن

تكون الزيادة متواصلة .

(٣) شغفه الحب : غشى قلبه وغلبه .

فقال له : لله أبوك أحسنت ، خذ بيدها فهي لك ، وأمر له بألف درهم .
واعلم أن كل ما رسمناه في هذه الأبواب ، وذكرناه . وشرطنا على
الأدباء ، ووجدناه داخلا في باب حدود الأدب على ما أصبناه غير خارج منه ،
ولا منفصل عنه ، وأن يكون الأديب عاقلا ، واللبيب كاملا ، حتى تكون
له مودة قد قرنها بأدبه ، وثابر عليها في طلبه ، فاذا جمع ذلك ، رهب منه
الأعداء ، ورغب فيه الأدباء .

وستذكر من أنشأته المروّة ما يكون فيه بلاغ وهداية ، إن شاء الله تعالى .

١٠ - باب شرائع المروّة وصنعتها

اعلم أن المروّة هي عماد الأدباء ، وعماد^(١) العقلاء ، يرأس بها صاحبها ،
ويشرف بها كاسبها ، ولا شيء أزين بالمرء من المروّة ، فهي رأس
الظرف والفتوة .

وقد قال بعض الحكماء : الأدب يحتاج معه الى المروّة ، والمروّة لا يحتاج
معها الى الأدب ، وربّما رأيت ذا المروّة الخامل ، وذا السخاء الجاهل ، قد
غطت مروّته على عيوبه ، وستره سخاؤه من معيبه .

وأهل المروّات محسودة أفعالهم ، متّبعة أحوالهم ، وقل ما رأيت حاسداً
على أدب ، وراغباً في أرب .

من ذلك ما حكى عن محمد بن حرب أنه قال : كنتُ على شُرطة جعفر
بالمدينة ، فأُتيت بأعرابيٍّ من بني أسدٍ يستعدي^(٢) عليه ، فرأيتُ رجلاً له بيان ،
يحتمل الصنيعة^(٣) فرغبتُ في اتّخاذها عنده ، فتخلّصتُه ، ثم لم يلبث أن رُدَّ

(١) العتاد : ما أعد لأمر ما .

(٢) استعدي الرجل : استعان به . (٣) الصنيعة : الإحسان .

إلى فقلت : حمّاس ، فقال لي : حماس والله ، قلت : ما أرجعك ؟ قال : الشر ،
وما قاله رجل منا يقال له خالد ، فأنشدني :

عَادُوا مَرَوْتَنَا فَضَلَّ سَعِيمِهِمْ وَلِكُلِّ بَيْتٍ مَرَوَّةٍ أَعْدَاءُ
لَسْنَا إِذَا عُدَّ الْفَخَّارُ كَعَشْرِ أَزْرَى بِفَعْلِ أَبِيهِمِ الْإِبْنَاءُ
قال : فتخلصته ثانية .

وقيل لبعض حكماء الفرس : أي شيء للمرورة أشد تهجيناً^(١) ؟ فقال :
للبلوك صغر في الهمة ، وللعامّة الصلف ، وللفقهاء الهوى ، وللنساء قلة الحياء ،
وللعامّة الكذب ، والصبر على المروّة صعب ، وتحملها عبء .

وقد قال خالد بن صفوان : لولا أن المروّة اشتدت مؤونتها ، وثقل حملها ،
ما ترك اللثام للكرام منها شيئاً ، ولكنه لما ثقل حملها ، واشتدت مؤونتها ،
حاد عنها اللثام ، فاحتملها الكرام .

وقال بعضهم : المكارم لا تكون إلا بالمكاره ، ولو كانت خفيفةً لتناولها
السفلة بالغبلة .

وقال ابن عمر : ما حمل رجل حملاً أثقل من المروّة ؛ فقال له أصحابه :
صف لنا ذلك . فقال : ماله عندي حدٌّ أعرفه إلا أنني ما استحيتُ من شيء
قط علانية الا استحيتُ منه سرّاً .

وقام رجل من بني مجاشع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول
الله ألسنتُ أفضل قومي ؟ فقال : ان كان لك عقل فلك فضل ، وان كان لك
خُلُق فلك مروّة ، وان لك مال فلك حسب . وان كان لك دين فلك تقى ،
وان كان لك تقى فلك دين .

وروى الهلالي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من ثقيف :

(١) هجن الأمر : قبجه وعابه .

ما المروة فيكم؟ قال: الصلاح في الدين، وإصلاح المعيشة، وسخاء النفس،
وصلة الرحم؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كذلك هي فينا.
وقال عمر بن الخطاب: المروة الظاهرة، الثياب الطاهرة، يعني النقيّة
من الذنوب.

وقيل للأحنف: ما المروة؟ قال: إصلاح المعيشة، واحتمال الجريرة.
وقال معاوية لصعصعة بن صفوان: ما المروة قال: الصبر على ما ينوبك،
والصمت حتى تحتاج إلى الكلام.

وقال محمد بن علي بن الحسين: كمال المروة الفقه في الدين، والصبر على
النوائب. وحسن تقدير المعيشة.

وقال معاوية لرجل من عبد القيس: ما تعدّون المروة فيكم؟ قال:
العفة والحرفة.

وقيل لأبي زهرة: ما المروة؟ قال: إصلاح الحال، والرزانة في المجالس،
والغذاء والعشاء بالافنية.

وقال عمر بن الخطاب: حسب المرء ماله، وكرمه دينه، وأصله عقله،
ومروته خلقه.

وقال علي بن أبي طالب: مروة الرجل حيث يضع نفسه.
وقال عبد الله شبيب بن عجلان: سمعت أيوب السجستاني يقول: لا ينبل
الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفة عن الناس، والتجاوز عنهم.

وقال مسلمة بن عبد الملك: مروتان ظاهرتان، الرياضة والفصاحة
وكان يقال: ثلاث تفسد المروة، الالتفات في الطريق، والشح، والحرص
وقال عمر بن هبيرة: عليكم بمباكرة الغداء، فإن في مباكرة الغداء
ثلاث خلال: يطيب النكحة، ويطنى المرّة^(١)، ويعين على المروة؛
(١) المرّة: خلط من أخلاط البدن، وهو الصفراء أو السوداء، واجمع: مرار.

قيل : وما إعادته على المروة ؟ قال : لا تتوق النفس إلى طعام غيره .
وقال سلم بن قتيبة : لا تتم مروة الرجل حتى يصبر على مناجاة الشيوخ الدرد^(١)
وسأل ابن زياد رجلا من الدهاقين^(٢) : ما المروة فيكم ؟ قال : أربع خصال :
أن يعتزل الرجل الريبة ، فلا يكون في شيء منها فإنه إذا كان مريبا كان ذليلا ،
وأن يصلح ماله ، فإن من أفسد ماله لم تكن له مروة ، وأن يقوم لأهله
بما يحتاجون إليه حتى يستغنوا به عن غيره ، فإن من احتاج أهله إلى الناس لم
تكن له مروة ، وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه فإن المروة
ألا يخلط على نفسه في مطعمه ولا مشربه

وكان يقال : ثلاث من المروة : تعاهد الرجل إخوانه ، وإصلاح معيشته ،
وإقالته^(٣) في منزله

وسئل العتّابي عن المروة ، فقال : إخفاء مالا يستحي من اظهاره ،
ومواطأة^(٤) القلب اللسان

ويروى عن عبد الله بن بكر السهمي أن عبد الملك بن مروان دخل على
معاوية ، وعنده عمرو بن العاص فجلس مليا ثم انصرف . فقال معاوية : ما أكمل
مروة هذا الفتى ، وأخلفه أن يبلغ . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ان هذا
أخذ بخلائق أربع ، وترك ثلاثا ، أخذ بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن
الاستماع إذا حدث ، وبأيسر المؤونة إذا خولف ، وبأحسن البشر إذا لقي ،
وترك مزاح من لا يؤثق بعقله ولا دينه ، وترك مخالفة لثام الناس ، وترك
من الكلام ما يعتذر منه

(١) الدرد : جمع أدرد وهو من ذهب أسنانه .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو رئيس الإقليم .

(٣) نومه في الظيرة . (٤) المواطأة : الموافقة .

(فهذه) جملة شرائع المروءة لا يقدر على القيام بأدنى المفترض فيه إلا ذوو العقول الفاضلة والآداب الكاملة.

(واعلم) أن من المروءة أيضا عشرة خصال، لا مروءة لمن لم يكن فيه: الحِلْمُ والحَيَاءُ وصدقُ اللَّهجة وتركُ الغيبة وحسنُ الخُلُقِ والعَفْوُ عند المَقْدرة، وبذلُ المعروف وإنجازُ الوعد؛ وفي تبيينهن أخبارٌ تحتُّ على استعمالهن، وآثارٌ تدعو إلى المشاركة عليهن، وأنا ذاكرٌ بعض ذلك إن شاء الله وبه القوَّة.

١١ - باب ما جاء من فضل الصدق

لذوى، الآداب وما كره من الكذب لذوى الألباب.

رُوى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يصلح الكذب في جد ولا هزل
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إذا كذب العبدُ تبعه الملك منه
مِثْلًا لِنَسْتِنِ مَا جَاءَ مِنْهُ

وقال: لسان الصديق خير للمرء من المال يأكله ويورثه

وقال المهلب بن أبي صفرة: ما السيف الصارم في يد الرجل الشجاع
بأعزَّ له من الصدق

وكان يقال: الصدق قوة، والكذب عجز أنشدني بعض الأدباء:

لا يَكْذِبُ المرءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ أو عادة السوء أو مِنْ قِلَّةِ الأَدَبِ
لَجِيفَةُ الكلبِ عِنْدِي خَيْرُ رَاحَةٍ مِنْ كَذْبَةِ المرءِ فِي جَدٍّ وَفِي لَعِبِ

وكان يقال لا رأى لكذب، ولا مروءة لكذاب

ويقال لا تستعن بكذاب، فإنه يقرب لك البعيد، ويباعدك القريب.

وأنشدني آخر:

وكن صادقًا في كلِّ شيءٍ تقوله ولا تكُ كذابًا فتدعى مُناقفًا

وقال آخر:

الكذب عارٌ وخيرُ القولِ صدقُه والحقُّ مامسُه من باطلٍ زهقُه^(١)

وأنشدني غيره:

الصدقُ منجاةٌ لمن هو صادقٌ وترى الكذوبَ بما يقولُ يوبخُ

وقال أبو العتاهية:

كن في أمورك ساكناً ، فلمرءٌ يدركُ في سُكُونِه

وأعدِ إلى صدقِ الحديدِ ، فإنه أزمى فنونِه

رُبَّ امرئٍ متيقنٍ غلبَ الشقاءُ على يقينِه

وحدثني بعض شيوخ الكتاب ، قال : حدثني علي بن هشام قال : قال

لي محمد بن الجهم ذات يوم : يا أبا الحسن : الكذاب والموات بمنزلة

واحدة ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لأن علامة الحيِّ النطقُ ، ومن لم يوثق

بنطقه بطلت حياته .

والذي جاء في ذلك يطول شرحه ، ويكثر وصفه ، والكلام فيه يتسع ،

وأنا أفرِّد لهذا الباب كتاباً ، وأرصفه أبواباً ، أبين فيه فضل الصدق على الكذب ،

ليُرغَب فيه ذوو المروءة والأدب ، إن شاء الله تعالى

وأما ما جاء في انجاز العِدات عن ذوى الاخطار والمروءات ، فكثير

يكثر عدده ويطول أمده ، وقد شرحتُ لك بعض ذلك لتقف عليه إن

شاء الله تعالى

(١) أزهق الباطل : لاشاء وأبطله .

١٢ - باب ما جاء في فُبِخَ خَلْفَ المَواعيد

وما يلحق صاحبه من اللوم والتفنيذ

إعلم أن أقبح ما استعمله أهل الأدب مطلق العداة
وقال المثني بن خازجة : لأن أموت عطشا أحب إليّ من أن أخلف موعدا
ورؤينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاث علامات في المنافق ،
وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا أُمِّنْ خان ،
وإذا وعد أخلف

وروى عنه أنه قال : عدة المؤمن أخذ بالكف

وقال بعض الأعراب : وعد الكريم تعجيل ، ووعد اللئيم مطلق وتسويق
وكان يقال اليأس أحد الراحتين ، وأنشدني يعقوب بن يزيد التمار :

متى ما أقل يوماً لطالب حاجة : نعم يا قتي ، أفعل ، وذلك من شكلي
وإن قلت : لا ، بينتها من مكانها ولم أؤذِهِ فيها بجرٍّ ولا مَطْلٍ
وأنشدني آخر :

إذا قلت في شيء نعم فأتممه
وإذا قلت لا واستريح وأريح بها
وأنشدني آخر :

لا تقولن إذا ما لم تزد
وإذا قلت نعم فامضِ بها
وأنشدني إبراهيم بن محمد النحوي :

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تفعل ما تقول
لا خير في كذب الجوا دِ وحبنا صدق البخيل

وكان يقال : اعتذارٌ من منع أجمل من وعدٍ مطول .

وقال علي بن هشام : أمرني المأمون بحاجة فأخرتها ، فكتب إلي :

تَعْجِيلُ جُودِ الْمَرْءِ أَكْرَمَةٌ تَنْشُرُ عَنْهُ أَحْسَنَ الذِّكْرِ (١)

والحُرُّ لَا يَمُطِلُ مَعْرُوفَهُ وَلَا يَلِيْقُ الْمَطْلُ بِالْحُرِّ

وكان يقال : المعروف يحتاج الى ثلاث : تعجيله ، وكتمانه ، وإتمامه .

وأنشدهنا ليزيد بن جبيل :

يَا صَانِعَ الْمَعْرُوفِ كُنْ تَارِكًا تَرَدَادَ ذِي الْحَاجَةِ فِي حَاجَتِهِ

فَشَرُّ مَعْرُوفِكَ مَمْطُولُهُ وَخَيْرُهُ مَا كَانَ مِنْ سَاعَتِهِ

لِكُلِّ شَيْءٍ يُرْتَجَى آفَةٌ وَحَسْبُكَ الْمَعْرُوفُ مِنْ آفَتِهِ

وقال آخر :

صِلْ مَنْ أَرَدْتَ وَصَالَهُ وَإِخَاءَهُ

وَإِذَا ضَمِنْتَ لِصَاحِبِ لِكَ حَاجَةً

فَاعْلَمْ أَنَّ تَمَامَهَا تَعْجِيلُهَا

وقال آخر :

لَا تَنْشُرَنَّ مَوَاعِيدًا وَتَسُدُّهَا

لَا تَطْلُبَنَّ بِمَنْعِ الْمَالِ مُحَمَّدَةً

إِنِ الْحَمَامِدُ بِالْأَمْوَالِ تَكْتَسِبُ

وكان يقال : لكلِّ شيءٍ آفةٌ ، وآفةُ المعروفِ المَطْلُ .

وقال عمر بن الخطَّابِ رضِيَ اللهُ عَنْهُ : لكلِّ شيءٍ رأسٌ ، ورأسُ

المعروفِ تعجيله .

وفي وصية عبد الملك بن مروان لبنيه : يَا بَنِيَّ ، لَا تَعِدُوا النَّاسَ بِمَا

لَا تَمَالُهُ أَيْدِيكُمْ .

(١) الأكرامة : فعل الكرم .

ويقال إذا وعدت الرجل نائلاً ثم مطلته به فقد أوفاك ثم معروفك عنده .
وأنشدونا لدعبل بن علي الخزاعي :

إِيَّاكَ وَالْمَطْلَ أَنْ تَفَارِقَهُ فَانَّهُ آفَةٌ لِكُلِّ يَدٍ
إذا مِطَلْتَ امْرَأًا بِحَاجَتِهِ فَاَمْضِ عَلَى مِطْلِهِ وَلَا تَجِدْ
فَلَسْتَ تَلْقَاهُ شَاكِرًا لِيَدٍ قَدْ كَدَّهَا الْمَطْلُ أَخْرَ الْأَبْدِ (١)
وللفقيمي أيضاً في مثله :

مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ
فَلَا تَعِدْ عِدَةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا وَلَا تَكُونَنَّ مُخْلَافًا لِمَا تَعِدُ
ولدعبل أيضاً في مثله :

وَأَرَى النَّوَالَ يَزِينُهُ تَعَجِيلُهُ وَالْمَطْلُ آفَةٌ نَائِلِ الْوَهَابِ
وكان يقال : بذل جاه السائل ثم معروف المسائل .

وقال أكرم بن صيفي : السؤال ، وإن قل ، ثم لكل معروف ، وإن جل .
أنشدني محمد بن ابراهيم الهمداني لعل بن ثابت الكاتب :

مَا اعْتَاضَ بِإِذْلٍ وَجْهَهُ بِسْؤَالِهِ بِذِلًّا وَلَوْ نَالَ الْغِنَى بِسْؤَالِ
وَإِذَا السُّؤَالُ مَعَ النَّوَالِ وَزَنْتَهُ رَجَحَ السُّؤَالُ وَخَفَّ كُلُّ نَوَالِ

وقال بعض الحكماء : أحمي معروفك بإماتة ذكره ، وعظمه بتصغيرك له .
أنشدني أبو العباس ثعلب لأبي يعقوب الحريمي :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مُسْتَوْرٌ حَقِيرُ
وَتَنَاسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرُ

(١) كد : ألح في الطلب .

وقال عدى بن حاتم : لا يصلح المعروف إلا بثلاث : تعجيله وكتبانته
وتصغيره ، لأنك اذا عجلته هنته ، وإذا كتتمته استهنته ، وإذا صغرتَه عظمتَه .
وشرح كل ما جاء في ذلك يطول ، والاختصار أحسن من الاكثار ،
وقد ذكرتُ معنى هذا الباب مع ما يلائمه من الاخبار في كتاب لطيف التأليف
والاختصار ، هو كتاب البث والحث ، غنيا بما فيه عن الزيادة ، وعن التطويل
والاعادة ، ونحن نتبع هذا الباب بما ضمنناه على الحث على كتمان السر ، ليرغب
فيه ذوو الأدب والقدرة ان شاء الله تعالى .

١٣ - باب الحث على كتمان السر

والترغيب في حفظ ما حنت عليه ضلوع الصدر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : استعينوا على حوائجكم
بكتبان السر .

وكان يقال : سرُّك من دمك ، فانظر أين تجعله .

وكان يقال : ما كتتمته من عدوك فلا تُطلع عليه صديقك .

وقال المهلب بن أبي صفرة : من ضاق قلبه اتسع لسانه .

وأشدني أحمد بن يحيى لقيس بن الحدادية الخزاعي :

بَكَتْ مِنْ حَدِيثِ نَمِّهِ وَأَشَاعَهُ وَلَصَقَهُ وَاشٍ مِنْ الْقَوْمِ رَاضِعٌ^(١)

بَكَتْ عَيْنٌ مِنْ أَبْكَاءِ لَا يَشْجُكَ الْبُكَاءُ وَلَا تَتَخَالَجُكَ الْأُمُورُ النَّوَازِخُ^(٢)

وَلَا تُسْمِعِي سِرِّي وَسِرِّكَ نَالِنَا أَلَّا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ ائْتِنِينَ ضَائِعٌ

وأشدني لبعض الطالبيين :

(١) الراضع : اللثيم

(٢) شجاه : أحزنه ، وهيجه . خالجه الأمر : شغل فكره .

أَكْفَى خَلِيلِي مَا اسْتَقَامَ بِوَدِّهِ
وَأَمْنَحَهُ وَدِي إِذَا يَتَعَتَّبُ
وَلَسْتُ بِبَادِي صَاحِبِي بِقَطِيعَةٍ
وَلَا أَنَا مُفْشِي سِرِّهِ حِينَ أَنْغَضُ (١)
عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الثَّقَاتِ فَإِنَّهُمْ
قَلِيلٌ فَصَلِّهِمْ دُونَ مَنْ كُنْتَ تَصْحَبُ
وَمَا الْخِدْنُ إِلَّا مَنْ صَفَا لَكَ وَدَّهُ
وَمَنْ هُوَ ذُو نَصِيحٍ وَأَنْتَ مُغَيَّبُ
إِذَا مَا وَضَعْتَ السِّرَّ عِنْدَ مُضَيِّعٍ
فَذُو السِّرِّ مِمَّنْ ضَيَّعَ السِّرَّ أَذْنِبُ

وقال معاوية بن أبي سفيان : الحازم من كتم سره من صديقه مخافة أن
تبدل صداقته عداوة فيذيع سره .

وقال بعض الشعراء :

تَوَاقَفُ مَعْشُورَيْنِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ
وَعَيَّبَ عَنْ نَجْوَاهَا كُلَّ كَاشِحٍ (٢)
وَكَلَّتْ جَفُونَ الْمَاءِ عَنْ حَمْلِ مَائِهَا
فَمَا لِمَلِكْتِ فَيُضُّ الدَّمُوعَ السَّوَافِحِ
وَإِنِّي لَأَطْوِي السِّرَّ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ
وَإِنْ كَانَ لِلْأَسْرَارِ عِدْلُ الْجَوَانِحِ

وكتب عبد الملك بن مروان ببعض سره إلى الحجاج بن يوسف ، ففشا ،
حتى بلغه ذلك ، فكتب إليه عبد الملك يعاتبه ، فكتب إليه : والله يا أمير
المؤمنين ما أخبرت به إلا إنسانا واحداً ، فكتب إليه عبد الملك : إن لكل
إنسان نصيحاً يفشى إليه سره

وقال بعض الشعراء في ذلك :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ وُشَاةَ الرَّجَا
لِ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَاحِبًا
فَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ
فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
وقال آخر :

(٢) الكاشح : العدو الباطن العداوة

(١) القطيعة : الهجران

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَسِرُّكَ عِنْدَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضْيَعُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَمِتِ السِّرَّ بِكْتِمَانٍ وَلَا يَبْدُو زَمَنُكَ إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرَّ
فَإِذَا ضِيقَتْ بِهِ ذَرْعًا فَلَا تَجْعَلَنَّ سِرَّكَ إِلَّا عِنْدَ حُرِّ
وَقِيلَ لِأَعْرَابِي اسْتَوْدِعْ سِرًّا فَكْتِمْتَهُ : أَفْهَمْتَ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ نَسِيتُ
وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمِيْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، قَالَ : قِيلَ لِأَعْرَابِي :
كَيْفَ كَتَمْتَ السِّرَّ ؟ فَقَالَ : أَجْعِدُ الْمُخْبِرَ ، وَأَحْلِفُ لِلْمَسْتَخْبِرِ
وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : كَيْفَ حَفِظْتَ لِلْسِّرِّ ؟ فَقَالَ : أَنَا لَأَحْدُهُ
وَمَا اسْتَحْسَنْتَهُ فِي كِتْمَانِ السِّرِّ قَوْلَ كَثِيرٍ :

أَتَى دُونَ مَا تَحْشُونَ مِنْ بَثِّ سِرِّكُمْ أَخُو ثِقَةٍ سَهْلُ الْخَلَاتِقِ أَرْوَعٌ (١)
ضَنْيْنٌ يُبْدِلُ السِّرَّ سَبِيحًا بَغِيرِهِ أَخُو ثِقَةٍ عَفْ الْوِصَالِ سَمِيدَعٌ (٢)
أَبَى أَنْ يَبْثَّ الدَّهْرَ مَا عَاشَ سِرِّكُمْ سَلِيمًا وَمَا دَامَتْ لَهُ الشَّمْسُ تَطْلَعُ
وَلَهُ أَيْضًا :

كَرِيمٌ يُمِيتُ السِّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا اسْتَنْطَقُوهُ عَنْ حَدِيثِكَ جَاهِلُهُ
رَعَى سِرِّكُمْ فِي مَضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ لَا تُخَافُ غَوَائِلُهُ (٣)
وَأَكْتَمُ نَفْسِي بَعْضَ سِرِّي تَكْرُمًا إِذَا مَا أَضَاعَ السِّرَّ فِي النَّاسِ حَامِلُهُ
وَقَوْلُ صَاحِبِهِ أَيْضًا :

لِعَمْرِي مَا اسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهَا سِوَانَا حِذَارًا أَنْ تَشْبِيحَ السَّرَائِرُ
وَلَا خَاطِبَتَهَا مُقْلَمَاتِي بِنَظَرَةٍ فَتَعْلَمَ نَجْوَانَا الْعَيُونَ النَّوَاطِرُ

(١) الأروع : من يعجبك بحسنه أو شجاعه ، الشهم الذكي

(٢) السמידع : السيد الكريم الشريف ، الشجاع

(٣) رعى الأمر : حفظه . الغوائل : جمع غائل : الشر

وَلَا كُنْ جَعَلْتُ اللَّحْظَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا رَسُولًا فَأَدَى مَا تَجَنُّ الضَّمَاثِرُ
ومنه قول الآخر :

لِيَهْنِكَ مِنِّي أَنَّنِي غَيْرُ مُظْهِرٍ
ولو أن خلقاً كاتم الحب قلبه
لمت ولم يعلم بحبكم قلبي
وقال آخر :

لَوْ كَانَ أَمْرًا أَخْفَى الْهَوَى عَنْ حَمِيرِهِ
ولكن سألتني الله والقلب لم يبح
لمت ولم يعلم بذلك ضمير
بسرك والواشون عنك كثير
وقال العباس بن الأحنف :

أَيَا مَنْ سُرَّوْرِي بِهِ شِقْوَةٌ
تَجَنَّيْتُ تَطْلُبُ مَا أَسْتَحِقُّ
وَمَاذَا يَضُرُّكَ مِنْ شَهْرَتِي
أَمْ نِي يَخَافُ انْتِشَارُ الْحَدِيثِ
ولو لم يكن فيه بقیاً عليك
وأنشدني لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

وَمَوْثَمٍ بِالْحَزْمِ فِي كُلِّ أَمْرِهِ
فَلَا سِرَّهُ عَن سَاحَةِ الصِّدْرِ نَازِحٌ
ولغيره في مثله :

فَلَمَنْقَلُ الْجِبَالِ أَهْوَنُ مِنْ بَثِّ
فلك الله أننى لك راعٍ
حديث حنت عليه الضلوع^(٢)
ما بدأ كوكب^٣ وبرزق لموع

(١) الساحة : الناحية . النازح : البعيد جدا . (٢) بث : أذاع ، نشر

وأشددني أحمد بن عبد الله ، قال أشدني ابن السكبي لابن أمينة :
وإني على السرّ الذي هو داخلٌ إذا باح أصحابُ الهوى لضمومٍ
وإني ما استودعتِ يا أم مالكٍ على قدمٍ من عهدنا لكتومٍ
وقال أبو الطيب : الضموم : الممسك ، وكذلك الزميت أيضا .
وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد شجيت بها خلفتها للذي أخفيت عنواناً
إني كأني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط الناس عرياناً
وأشددني أحمد بن يحيى بن الحطيم :

وإن ضيع الأحرارُ سرّاً فأنى يكون له عندي إذا ما ضممته
كتومٌ لأسرار العشير أمينٌ مكان بسوداء الفؤاد مكينٌ
وقال بشار بن برد المرعث :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا
لأخرجن من الدنيا وسرهم بين الجوانح لم يعلم به أحدٌ
وأحسن والله الذي يقول :

يأبني لي الذم أخلاق ومكرمة مني وأذن عن الفحشاء صمماً
والنجم أقرب من سرّي إذا شتمت مني على السرّ أضلاع وأحشاء

والذي قيل في ذلك كثير جدا ، تطول به الخطب ، ويتسع فيه القول ،
وليس قصدنا في كتابنا هذا المعنى ، وإنما تقدمنا بذكر ما شرحناه ، ونبعت
ما وصفناه ، لأنه لا بد للظريف من استعمال كل ما ذكرناه من حدود الأدب
وشرائع المروءة .

واعلم أن مذهبنا في هذا الكتاب إلى معنى صفة الظرف ، وما يجب على

الظريف استعماله ، وذكر ما يجب تركه ، وما اخترعنا في كتابنا هذا علماً
من عند أنفسنا ، يجب لنا به الامتحان ، ولا يلحقنا فيه عيبٌ من عاب إن عاب ،
ولا على أنه لا يطلب لفظه ، ولا يُمتنع عند معانيهم إلا معيب .

وأشدني أحمد بن يحيى قال : أشدني ابن السكيت :

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحِ الْجَيْبِ وَابْنِ أَبِي مَتَّهِمِ النَّيْبِ ^(١)
وَرُبَّ عِيَابٍ لَهُ مِنْظَرٌ مُشْتَمِلٌ مِنْهُ عَلَى الْعَيْبِ

ولكننا ألقناه وجمعناه من أقاويل جماعة من الظرفاء والمتظرفات ، وأهل
الأدب والمروءات ، سمعناهم ورأيناهم يتكلمون به ويستعملونه ، فأحببنا أن نجتمع
ذلك ونجعله لهُواً لمن أراد سماعه ، وعلماً لمن أراد اتباعه ، وهدياً لمن أراد
رُشده ، ومناراً لمن أراد قصده ، وطيباً لمن أراد شمّه ، وأدباً لمن أراد فهمه .
وكتابنا هذا روضةٌ تتنزّه فيها العقول ، وعقودٌ جوهر زينتها الفصول ،
اذلم نخله من أخيار طريفة ، وأشعار طريفة . وأشياء نمت اليها من زى
ظرفاء الناس ، في الطعام والشراب والعطر واللباس ، ومذهبهم فيما اجتنبوه
من ذميم الأفعال ، واستحسنوه من جميل الشيم والأخلاق ، وسأشرح ذلك
وأبينه باباً باباً ، لتقف عليه إن شاء الله .

١٤ - باب من الظرف

اعلم أن عماد الظرف عند الظرفاء ، وأهل المعرفة والأدباء : حفظ الجوار ،
والوفاء بالذمار ، والأنفة من العار ، وطلبُ السلافة من الأوزار ؛ ولن
يكون الظريف ظريفاً حتى تجتمع فيه خصال أربع : الفصاحة والبلاغة ،
والعفة والنزاهة .

(١) الجيب : القلب والصدر ، يقال : ناصح الجيب ، أى صادق أمين

وسألت بعض الظرفاء عن الظرف : فقال : التوَدُّدُ إلى الإخوان ، وكفُّ الأذى عن الجيران :

وقال آخر : الظرفُ ظَلَفٌ^(١) النفس ، وسخاءُ الكفِّ ، وعفَّةُ الفرج .
وأخبرني أحمد بن عُميد ، قال : قال الأصمعي ، وابن الأعرابي : لا يكون الظرفُ إلا في اللسان ، يقال : فلان ظريف ، أى هو بليغ جيد المنطق ؛ ومنه حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا كان اللصُّ ظريفاً لم يقطعْ ، أى لأنه يكون له لسان فيحتج به فيدفع عن نفسه .

قال وروى عن محمد بن سيرين أنه قال : الظرف مشتق من الفطنة .
وقال غيره : الظرفُ حُسْنُ الوجه والهيئة .

وقال بعض المشيخة : الظريفُ الذى قد تأدب وأخذ من كل العلوم فصار وعاءً لها ، فهو ظرف .

وقال أحمد بن عُميد معناه : أنه يعنى أدبا وعلما ، كما يعنى ظرف الشيء ما يكون فيه ، ولذلك معنى : إذا كان اللصُّ ظريفاً لم يقطعْ ، إذا كان واعيا للعلم لم يسرق إلا بتأول ، كما فعل الشعبي وقد دخل بيت المال فأخذ منه دراهم ، وإنما أراد به التأول لما له فيه من الحق .

وسألت بعض متظرفات القصور عن الظرف ، فقالت : من كان فصيحاً عفيفاً ، كان عندنا متكادماً ظريفاً ، ومن كان غنيا عاهرا ، كان ناقصا فاجرا .
وقال بعض الأدباء : الظرفُ ظَلَفُ النفس ، ورقةُ الطبع ، وصدق اللہجة ، وكتبانُ السر .

وسألت بعض الظرفاء فقال : الظرف في أربع خصال : الحياء والكرم ،
والعفة والورع .

(١) ظلف نفسه عن الشيء : كف عنه

وأُشِدُّنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ لِنَفْسِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظَرْفِهِ حَتَّى يَكُونَ عَنِ الْحَرَامِ عَفِيفًا
فَإِذَا تَوَرَّعَ عَنِ مَحَارِمِ رَبِّهِ فَهُنَاكَ يَدْعُوهُ الْأَنَامُ ظَرْيفًا
وَمِثْلَهُ لِبَعْضِ الْمُتَأَدِّبِينَ :

إِنْ أَكُنْ طَامِحَ اللَّحَاطِ فَانِي وَالَّذِي يَمْلِكُ الْعِبَادَ عَفِيفٌ
لَيْسَ ظَرْفُ الظَّرِيفِ بِالنَّفْسِ لَكِنْ كُلُّ ذِي عِفَّةٍ فَذَلِكَ ظَرْيفٌ
وَخَبَّرْتُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَجَدَ عَلِيَّ بَعْضَ عَمَالِهِ قَقِيمِدَهُ وَحَبَسَهُ

فِي دَارِهِ ، فَأَشْرَفَتْ عَلَيْهِ ابْنَتُهُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، فَنظَرَ إِلَيْهَا ، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّامِيُّ بِالظَّرْفِ فِي فِي الطَّرْفِ الْحُتُوفِ (١)
إِنْ تُرْدُ وَصَلَا فَقَدْ أُمُّ كَنَّكَ الظَّيُّ الْأَلُوفُ
فَأَجَابَهَا الْفَتَى فَقَالَ :

إِنْ تَرَيْنِي زَائِيَّ الْعَيْدِ مَيْنِ فَالْفَرْجِ عَفِيفٌ
لَيْسَ إِلَّا النَّظْرُ الْفَا تِنُ وَالشَّعْرُ الظَّرِيفِ
فَأَجَابَتْهُ الْجَارِيَةُ :

قَدْ أَرَدْنَاكَ عَلَى أَنْ تَعْتَنِقَ ظَبِيًّا أَلُوفًا
فَتَأْبَيْتَ فَلَا زِلْمَ لِقَيْدَيْكَ حَلِيفًا

فَدَاعَ الشَّعْرُ ، وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَدَعَا بِهِ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا ، وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ

وَاجْتَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، الَّذِي كَانَ يُعْرِفُ بِالْقَسِّ لِعِبَادَتِهِ ،

(١) الحتوف : جمع حتف ، وهو الموت ، يقال : مات حتف أنفه ، أو حتف فيه ،

أي مات غير قتل ولا ضرب ، بل على فراشه

بِسَلَامَةِ الْمَغْنِيَةِ، الَّتِي صَارَتْ إِلَى يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَسَمِعَهَا وَهِيَ تُغَنِّي، فَوَقَفَ
يَسْتَمِعُ غَنَاءَهَا، فَأَدْخَلَهُ مَوْلَاهَا عَلَيْهَا، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ وَوَقَعَ بِقَلْبِهَا، فَقَالَتْ لَهُ
يَوْمًا، وَقَدْ خَلَا مَجْلِسُهُمَا: أَنَا وَاللَّهُ أَحَبُّكَ، فَقَالَ: وَأَنَا وَاللَّهُ أَحَبُّكَ،
قَالَتْ، فَأَنَا وَاللَّهُ أَشْتَهِي أَنْ أَضَعَ فَمِي عَلَى فَمِكَ، وَالصَّقُّ صَدْرِي بِصَدْرِكَ،
وَأَضْمُكَ إِلَيَّ وَتَضَمَّنِي إِلَيْكَ؛ قَالَ: وَأَنَا أَشْتَهِي ذَلِكَ، قَالَتْ: فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ
ذَلِكَ: فَوَاللَّهِ إِنْ الْمَوْضِعَ لِحَالٍ وَمَا بَقَرْنَا أَحَدٌ؛ فَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنْ سَمِعْتُ
اللَّهَ يَقُولُ: (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)، فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ
تَكُونَ خَلَّتِي لَكَ فِي الدُّنْيَا مَنقُطَةً فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ وَثَبَ فَانصَرَفَ.

وكان لعلي بن أبي طالب عليه السلام جارية تدخل وتخرج، وكان له
مؤذن شاب، فكان إذا نظر إليها قال لها: أنا والله أحبك؛ فلما طال ذلك
عليها أتت عاليا عليه السلام فأخبرته، فقال لها إذا قال لك ذلك: فقولي: أنا
والله أحبك^(١)، فأعاد عليها الفتى قوله، فقالت له: وأنا والله أحبك فمه،
فقال: تصبرين ونصبر حتى يوفينا من يوفى^(٢) الصابرين أجرهم بغير حساب،
فأعلمت علياً عليه السلام، فدعا به فزوجه منها: ودفعها إليه.

وأنشدني عبد الله الواسطي لنفسه في هذا المعنى:

كَمْ قَدْ ظَفِرْتُ بِنِ أهُوَى فِيمَنْعَنِي	مِنْهُ الْحَيَاءُ وَخَوْفُ اللَّهِ وَالْحَذَرُ
وَكَمْ خَلَوْتُ بِنِ أهُوَى فَيَقْنَعَنِي	مِنْهُ الْفِكَاهَةُ وَالتَّحْدِيثُ وَالنَّظَرُ
أهُوَى الْمِلَاحِ وَأهُوَى أَنْ أَجَالَسَهُمْ	وَلَيْسَ لِي فِي حَرَامٍ مِنْهُمْ وَطَرٌ ^(٣)
كَذَلِكَ الْحَبُّ لَا إِيْتَابَ مَعْصِيَةٍ	لَا خَيْرَ فِي لَذَةٍ مِنْ بَعْدِهَا سَقَرٌ ^(٤)

(١) مه: اسم فعل مبني على السكون بمعنى انكف

(٢) وفي الرجل حقه: أعطاه إياه تاما

(٣) الوطر: الحاجة والبغية

(٤) سقر: علم الجنم. والكلمة ممنوعة من الصرف

ومثل ذلك قول الآخر :

تَفَنَى اللَّذَاذَةَ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا من الحرام ويبقى الأثم والعارُ
تبقى عواقب سوءٍ من مغبتها لا خير في لذةٍ من بعدها النارُ
ومما أستحسنه في العفة أيضا : ما أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لبعض
نساء العرب :

وَبِتْنَا خِلَافَ الْحَيِّ لِأَنَّنَا مِنْهُمْ
وَبِتْنَا يَقِينًا سَاقِطَ الطَّلِّ وَالنَّدَى
نَدُودَ بَدِ كَرِ اللَّهِ عَمَّا مِنَ الصَّبِيِّ
وَنَصْدُرُ عَنْ رِيِّ الْعَفَافِ وَرَبَّمَا
وَأُنشِدُنِي حَمْدًا بِنِ يَحْيَى بِنِ ثَعْلَبِ :

أَحْبَبُكَ لَأَمِنْ رِيْبَةٍ كَانَ بَيْنَنَا
أَحْبَبُكَ إِنْ خُبِرْتَ أَنْكَ فَارِكِ
أَحِبِّ فَتَاةً أَنْ تُشَاغِبَ زَوْجَهَا
قال أبو الطيب : الفارك : المبعضة لزوجها ، يقال : قد فركت المرأة زوجها
تفرُّكه إذا أبغضته ، وهى فاركٌ ، والرجل مفروكٌ .

ومثله قول الحسين بن مطير :

أَحْبَبُكَ يَا سَلْمَى عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ
وما خير حبٍّ لا تعفُّ سرايرة

ومنه أيضا قول الآخر :

أَتَأْذَنُونَ لِصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ
لا يفعل السوء إن طال الجلوس به
فعندكم شهوات السمع والبصرِ
عفّ الضمير ولكن فاسق النظرِ

وقال محمود الوراق :

إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبًّا لَا لِفَاحِشَةٍ وَالْحُبُّ لَيْسَ بِهِ فِي اللَّهِ مِنْ بَأْسٍ (١)

وأشددني بعض الأدباء ، قال أشدوني أعرابي ببلاد نجد :

وَيَوْمَ كَلِمَاتِ الْخُبَارَى قَطَعْتُهُ بِمَقْمَعَةٍ وَالْقَوْمُ فِيهِمْ تَحْرُفٌ

إِذَا مَا هَمَمْنَا صَدَّ زِيُّ نَفُوسِنَا كَمَا صَدَّ هِنَ بَعْدَ التَّهْمِمْ يَوْسُفُ

قال أبو الطيب قوله : كإبهام الخبارى : يريد نهاية ما يكون من القصر -

وأشددني آخر :

مَا الْحُبُّ إِلَّا قُبَلٌ وَغَمْرٌ كَفٌّ وَعَضُدٌ

أَوْ كُتُبٌ فِيهَا رُقَى أَنْفَذُ مِنْ نَفَثِ الْعَقْدِ (٢)

مَا الْحُبُّ إِلَّا هَكَذَا إِنْ نُكِحَ الْحُبُّ فَسَدَ

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا عِفَّةٍ فَأَيْمًا يَبْغِي الْوَالِدَ

ومن ذلك قول بُثينة لجميل ، وقد قال لها : هل لك يا بُثينة أن نحقق قول

الناس فينا ؟ فقالت له : مه ، دَعُ حُبَّنَا مَكَانَهُ ، إِنْ الْحُبُّ إِذَا نُكِحَ فَسَدَ .

ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان ، فقال لها : والله يا بُثينة ما أرى

فيك شيئا مما كان يقول جميل ! قالت : يا أمير المؤمنين ، إنه كان يرنو إلى بعينين

ليستا في رأسك ، قال : وكيف صادفتيه في عفته ؟ قالت : كما وصف نفسه ،

حيث يقول :

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَالِي بِمَا دُونَ ثَوْبِهَا خَبْرٌ

وَلَا فِيهَا وَلَا هَمَمْتُ بِهِ مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظْرُ

(٢) نفث فلانا : سحره

(١) البأس : الحرج

وقيل لأعرابي : هل زينتَ قط . قال معاذ الله إنما هما اثنتان : إما حرة .
أنفُ لها من فسادها ، وإمامة آنف لنفسى من فسادى اياها .

وروى عن ابن سهل بن سعد الشاعر قال : دخلتُ على جميل بن معمر
العُذرى وهو عليل ، وإني لأرى آثار الموت على وجهه ، فقال : يا ابن سهل
أتقول إن رجلا يلقى الله لم يسفك دما حراما ، ولم يشرب خمرا ، ولم يأت بفاحشة ،
أترجو له الجنة ؟ قلت : أى والله ، فمن هو ؟ قال : إني لأرجو أن أكون
أنا ذلك الرجل ، قلت : بعد زيارتك بثينة وما تحدث به عنك ؟ فقال : والله
إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ولا نالتنى شفاعته
محمد صلى الله عليه وسلم ان كنتُ حدثتُ نفسى فيها بريئة ^(١) قط ، قال :
فما انقضى يومه حتى مات .

وقال الأصمعي : كان عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق جالسَيْن بفناء
الكعبة ، فمرت بهما امرأة من ربيعة ، وقيل من آل أبي سفيان ، فدعا عمر
بكتفٍ فكتب فيها :

ألمًا بذات الخال فاستطلعنا لنا على العهد باقٍ ودُّها أم تصرَّما ^(٢)
وقولا لها إن النوى أجنبيَّة بنا وبكم قد خفت أن تتممَّا ^(٣)

فقال له ابن أبي عتيق : ما تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكسب اليها بمثل
هذا ؟ فقال : أترى ما سيرت في الناس من الشعر ، ورب هذه البينة ما قبل
منها وما دبر ما قولت امرأة قط ما لم تقله ، ولا طالعت فرج حرام قط
وقيل لكثير عزة : هل نلت من عزة شيئا طول مدتك ؟ فقال : لا والله

(١) الرية : الشك والتهمة

(٢) العهد : الوفاء . تصرم : تقطع وانقطع

(٣) النوى : البعد . أجنبيَّة : بعيدة شاقة . تتمما : يصير هواها تيمميا

الآن أنه ربما كان يشتد بي الأمر فأخذ يدها فأضعها على جبيني . فأجد لذلك راحةً .

وقال أعرابي ، وخلا بامرأة كان يتعشقها : مازال القمر يُرينها فلما غاب أرتنيه . قيل : فما كان بينكما؟ قال : أقصى ما أحلَّ الله وأدنى ما حرم الله عز وجل ، إشارةً في غير باس ، ودنو في غير مساس ، وأنشأ يقول :

وَلَرَبَّ لَذَّةٍ لَيْلَةٍ قَدْ نَلَيْتَهَا وَحَرَامَهَا بِجَلَالِهَا مَدْفُوعٍ
قال اعرابي من فزارة : عشقت جارية من الحى ، فإدتها سنين كثيرة .
والله ما حدثت نفسى بريبة قط ، سوى أن خلوت بها فرأيت بياض كففها فى سواد الليل ، فوضعت كفى على كففها ؛ فقالت : مه ، لا تفسد ما صلح .
فأرفض^(١) جبيني عرقاً ولم أعد .

(واعلم) أن الظرف ليس بمستغنى عنه ، ولا هو مما يُخَلُّ منه ، ولا يُعَفِّ فيه صاحبه ، ولا يفند عليه طالبه ، بل هو أنبل ما استعمله العلماء ، وصبا إليه الأدباء ، وتزينوا به عند أودائهم^(٢) ، وتحلوا به عند أخلائهم^(٣) وربما تكلفه قوم ليس من أهله فظرف ، وعاناه فلطف ، وأنه من المطبوعين أحسن منه من المتكافئين ، وللمتكلف علامات تظهر فى حركاته ، وتبين فى لحظاته ، لا يسترها بتصنعه ، ولا تتغيب بتستره ، وإن المطبوع على الظرف لا يشهد له القلب عند معاينته بجلاوته ، وتسكن النفس عند لقائه الى مجالسته ، وتصبو الى محادثته ، وترتاح الى مشاهدته ، وهو بين فى شمائله^(٤) ظاهر فى خلائقه^(٥)

(١) ارفض : سال وترشش .

(٢) الأوداء : جمع الوديد وهو الحب

(٣) الأخلاء : جمع الخليل وهو الصديق المختص

(٤) الشمائل : جمع الشال والشميلة . أى الطبع

(٥) الخلائق : جمع الخليفة وهى الطبيعة

بين في منطقته. غير مستتر عند صمته ، دلائله واضحة في مشيئته وزيه ولفظه ،
يُستدل عليه بظاهر حركة الملاحظة دون اختبار باطن الحلاوة ؛ ألا ترى أن
من زيهم التقزز والنظافة والملاحة واللطافة واطهار البزة وطيب الرائحة ،
فالنفوس اليهم تائفة^(١) ، والقلوب وامقة^(٢) ، والعيون رامقة^(٣) ، والأرواح
عاشقة ، وان من زيهم الوقار والخشوع ، والسكون والخضوع ، والتصنع
بالأخلاق الوضیة ، والشيم السنية ، والمذاهب الجميلة ، والهمم الجميلة ، ومما
يُستدل به على كمال أدبهم ، ويعرف به رجحان هممهم : كثرة استعمالهم
الهُوى ، وطول معاناتهم الجوى^(٤) ، وهو من أحسن مذاهبيهم ، وأجل
مناقبيهم ؛ ولساننا نقول إن الهوى ليس بفرض على ذوى العقل ، كما قال ذوالتقصير
والجهل ، بل هو من أوكد الفرض عليهم ، وأثبت الحججة للمتفرس الناظر
اليهم على حسن تركيب الطباع والغرائز ، وصفاء جواهر الهمم والنحائز^(٥)
إذ هو عند ذوى العلوم والأحكام ، من أجمل مذاهب الأدباء والكرام ،
وقال محمود الوراق في ذلك ، إذ كان الحبّ عنده كذلك :

ألم تعلم فـداك أبى وأُمى بأنّ الحبّ من شيم الكرام
وليس يخلو أديب من هوى ، ولا يعرى من ضنى ، لأن الهوى كما وصفته
العلماء ، وكما قال فيه الحكماء : إنه هو أول باب تفتق به الأذهان ، وينفسح
به الجنان ، وله سورة^(٦) في القلب ، يحيا بها اللب ، وقد يشجع الجبان
ويسخى البخيل ، ويطلق لسان العى ، ويقوى حزم العاجز ، ليأنس به

(١) تائفة : مشتاقة

(٢) وامقة : محبة

(٣) رمقه : أطال النظر إليه

(٤) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق

(٥) النحائز : جمع النحيزة أى الطبيعة ، يقال : فلان كريم النحيزة

(٦) السورة : الحدة والشدة

الجلس ، ويمتنع به الأنيس ، ويندل له العزيز ، ويخضع له المتجبر ، ويرزله كل محتجب ، وينقاد له كل ممتنع ، وهو أمير مطاع ، وقائد متبع ، وليس بأديب عندهم من خرج من حد الهوى ، وقد قال الأحوص بن محمد الأنصاري :
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جليماً
هل العيش إلا ما تلذ وتشتهى وإن لأم فيه ذو الشنان وفنداً^(١)
واجتاز رجل بمجنون بنى عامر ، وهو يخوض سور الحوض ، فقال له :
ما بك يافتي ؟ ولم يعرفه ، فأنشأ يقول :

بي اليأس أو داء الهيام أصابني فإيالك عنى لا يمكن بك ما بيماً
قال أبو الطيب : الهيام : داء يأخذ الأبل وتشرب الماء ولا تروى ،
ويقال للأبل التي يصيبها ذلك : الهيم : قال الله جل ثناؤه : « فشاربون شرب
الهيم » ، فعرفه ، فقال : أعاشق أنت ؟ قال : نعم ، وأنشأ يقول :

إذا أنت لم تعشق فتصبح هائماً ولم تك معشوقاً فأنت حمار
وقال :

الحب أول ما يكون لاجاة تأتي به وتسوقه الأقدار
وروينا عن الهزنادي ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : كانوا لا يرون
بالعشق بأساً في غير ربية .

وقيل لبعض البصريين : إن ابنك قد عشق ، فقال : وما بأس به ، إنه
إذا عشق : نظف ، وظرف ، ولطف .

وقيل لبعض العرب : متى يكون الفتى بليغاً ؟ قال : إذا وصف هوى جبا .

(١) الشنان : البغض مع عداوة وسوء خلق

وأنشدني بعض الأدباء :

وما للناس إلا العاشقون ذوو الهوى

وقال آخر :

وما تلفت إلا من العشق مهجتي

وقال آخر :

وما خير في الدنيا إذا أنت لم تزُرْ

وقال آخر :

وما سرّني أني خلت من الهوى

ولا أن لي ما بين شرق إلى غرب

وأعلم أن أول علامات الهوى على ذى الأدب : نحول الجسم ، وطول

السقم^(١) ، واصفرار اللون ، وقلة النوم ، وخشوع النظر ، وادمان الفكر ،

وسرعة الدموع . واطهار الخشوع ، وكثرة الأنين ، وعلان الحنين ،

وانسكاب العبرات ، وتتابع الزفرات ؛ ولن يخفى المحب وإن تستر ،

ولا ينكتم هواه وإن تصبر ، ولن يغبي ادعاء أنه قد قارن العشق والهوى ،

لأن علامات الهوى نائرة ، وآيات الادعاء ظاهرة . وقد قال

الأحوص الأنصاري :

مما عالج الناس مثل الحب من سقم

وما يلبث الحب أن تبدو شواهده

ولا برى مثله عظماً ولا جسداً

من المحب وإن لم يبيده أبداً

وقال آخر :

ما يعرف الحزن إلا كل من عشقاً

وليس من قال إنى عاشق صدقاً

من طول ما حالفوا الأحزان والآرقاً

للعاشقين نحول يعرفون به

(١) السقم : المرض

وحدثت عن الزبير بن بكار ، قال : رأيت رجلا بناحية الشجر عليه أثر
ذلة وخضوع ، واستكانة وخشوع ، كان يُكثِر التنفس ، ويخفي السكوت
ويبدي الأنين ، وحركات الحب لا تخفى في شمائله ، ولا يسترها بتساؤنه .
فسألت في بعض أيامه وقد خلوت به عن حاله ، فكان جوابه ، وقد تحدرت
الدموع من عينيه :

أنا في أمرى رشادٍ بين غزو وجهادٍ
بدنى يغزو عدوى والهوى يغزو فؤادى
وركبت سكينه ابنة الحسين بن علي ذات ليلة في جواربها ، فمرت بعروة
ابن أذينة اللبثي وهو في فناء قصر ابن عيينة ، فقالت لجواربها : من الشيخ ؟
اقبالوا عروة ، فعدلت اليه ، فقالت : يا أبا عامر : أنت تزعم أنك لم تعشق
قط ، وأنت تقول :

قالت وأبثتها وجدى فبجئت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألسنت تبصر من حولي ، فقلت لها : غطى هوائك وما ألقى على بصري ؟
كل من ترى حولي من جوارب أحرار ان كان خرج هذا الكلام من
قلب سليم قط .

فهذان قد كتبا هوامها ، فنمت شواهد نجواهما ، لأن من اغتمس^(١) في بحر
الهوى ، نمت عليه شواهد الضنى^(٢)
فأما أهل الدعاوى الباطلة ، الذين ليست أجسامهم بناحلة ، ولا ألوانهم
بمائلة ، ولا عقولهم بذاهلة ، فهم عند ذوى الفراسة يكذبون ، وعند ذوى
الظرف لصحتهم يوبخون

وقد روى أن العباس بن الأحنف قال : بينا بالطواف إذا بثلاث

(٢) الضنى : المرض والهزال

(١) اغتمس الماء : غاض فيه

جوار أتراب^(١) فلما أبصرني قلن ، هذا العباس ، ودنت إلى إحداهن ،
فقالت : يا عباس أنت القائل :

ماذا لقيتُ من الهوى وعذابه طلمعتُ على بليّة من بابه ؟
قلت : نعم ، قالت : كذبت يا ابن الفاعلة ، لو كنت كذلك كنت كأنا ،
ثم كشفت عن أشاجع^(٢) مِعْرَاةٍ مِنَ اللّحم ، وأنشأت تقول :

ولمّا شكوتُ الحبّ قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسياً
فلا حبّ حتى يُلصقَ الجلدُ بالحشى وتخرُس حتى لا يُجيبَ المنادياً^(٣)

ودخل ابراهيم بن المهديّ على أمير المؤمنين ، وكان أنجل^(٤) البطن ، كثير
اللحم والشحم ، فقال له المأمون : بالله يا عمّ عشقت قط ؟ قال : نعم يا أمير
المؤمنين ، وأنا الساعة عاشق ! قال : وأنت على هذه الجثة ، والشحم الكثير ؟
ثم أنشأ المأمون يقول :

وجنه الذي يعشقُ معروفُ لأنه أصفرُ منحوفُ
ليس كمن أمسى له جثةٌ كأنه للذبح معلوفُ
فأجابه ابراهيم بن المهديّ :

وقائل لست بالمحبّ ولو كنتُ محبباً لذبت من زمن
فقلتُ قلبي مُكاتبٌ بدني حبي فالحبُّ فيه مُختزنُ
أحبّ قلبي وما درى بدني ولو درى ما أقام في السمنُ

(١) الأتراب : جمع التراب ، وهو الصديق . أو من ولد معه

(٢) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، أو هي عروق

ظاهر الكف ، واحدها أشجع

(٣) الحشى : مادون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش .. الخ واجمع احشاء

(٤) الأنجل : الواسع الطويل العريض ، واجمع نجل ونجال

هذان أيضا قد ادعيا المحبة ففضحهما شاهدُ النظر ، ولم يجز ادعاؤهما على
ذى المعرفة والبصر . وقول ابراهيم : أحب قلبي وما درى بدنى ، محال لا يعلق
القلب فيسلم الجسم ، ولكنه لا استحياؤه قد احتج بحجة ضعيفة ، وأنشدنى
بعض المشيخة فى مثل ذلك :

وقائلة ما بالُ جسمِكَ سالماً وَعَهْدِي بأجسام المحبين تَسْقَمُ
فقلت لها قلبي لجسمي لم يَبُحْ بجي جسمي بالهوى ليس يَعْلَمُ
فالعرب تمدح بالضمير ، وتذم بالسمن ، وتنسب أهل النحول إلى الأدب
والمعرفة . وأهل السمن إلى القدامة ^(١) وقلة الفهم .

وللفلاسفة والأطباء فى ذلك قول يثبت ما ادعت العرب ، وزعموا أن
من غلب عليه البلغم عظم جسمه ، وكثر شحمه ولحمه ، وقل فهمه ، وطال سباته ،
وانعقد لسانه ، لغلبة البلغم على فمه ، واحتواء الرطوبة على لبه ، ومن كان أغلب
مزاجاته المرّة خف جسمه وقل لحمه ، وذاب شحمه ، وحسن ذهنه ، وصح
فهمه ، لأن النحول علامة المتفرسين ، ودلالة المتوسمين ^(٢) لا يكاد أن تخطئه
فيه الفراسة ، ولا تكذب فيه العياقة ، لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على
صاحبه ، وابتناء قراره فى مركبه ، وربما أنجب السمن ، وخاب الهزال ،
ولا يكون ذلك إلا فى الفرد الشاذ من الرجال .

ومن أمثال العرب فى ذلك : البطنة تذهب الفطنة .

وروى أن جميل بن معمر العذرى صحبه رجل من عذرة وكان بطينا كولا ،

فجعل يشكو اليه هوى ابنة عم له ، فأنشأ جميل يقول :

وقد راينى بن جعفر أن جعفرأ ملح على قرص ويشكو هوى جميل
فلو كنت عذرى الهوى لم تكن كذا بطينا وأساك الهوى كثيرة الأكل

(١) القدامة : الحق (٢) توسم الشيء : تفرسه ، وتعرفه

(٣) البطنة : الامتلاء المفرط من الأكل

وَمَنْ عَشِقَ عِنْدَهُمْ ، فَلَمْ يَنْحَلْ جَسْمَهُ ، وَلَمْ يَطْلُ سَقْمَهُ ، وَيَتَبَيَّنَ الْخَشْوَعُ فِي حِرَاكَتِهِ ، وَالذُّلُّ فِي نِعْمَتِهِ ، نَسْبُوهُ إِلَى فِسَادِ الطَّبْعِ ، وَنَقْصَانِ اللَّبِّ ، وَبُعْدِ الْفَهْمِ ، وَمَوْتِ الْقَلْبِ ؛ وَمَنْ ادَّعَى الْمَحَبَّةَ ، فَلَمْ يَنْحَلْ وَلَمْ يَسْهَرْ ، وَلَمْ يَخْشَعْ ، وَلَمْ يَذَلَّ وَلَمْ يَخْضَعْ ، وَلَمْ يَحْمَلْ نَفْسَهُ عَلَى الْأُمُورِ الْمُتَعَبَةِ وَالشَّدَائِدِ الْفَظِيحَةِ ، وَيُرَكَّبُ فِيهَا الْمَرَاقِبَ الْوَعِرَةَ ، وَيَتَقَدَّمُ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْمَهْوَلَةِ ، وَالْأَهْوَالِ الْخَوْفَةِ ، الَّتِي يَلَاقِي فِيهَا الْمَوْتَ ، وَيَعَايِنُ فِيهَا الْفَوْتَ ، وَيَبَاشِرُ فِيهَا الْهَلَكَةَ ، وَيُغْرَّرُ فِيهَا بِالْمَهْجَةِ ، وَيَصْبِرُ عَلَى حَتْفِهِ ، وَيَخَاطِرُ بِنَفْسِهِ ، وَيُرَدُّ الْمَوَارِدُ الَّتِي يَلَاقِي فِيهَا الْمَوْتَ ، وَيَشْرَفُ مِنْهَا عَلَى مَهْوَلِ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ تَلْفُهُ وَحَيْنُهُ ، وَحَتَّى يَعْصَى فِي هَوَاهِ الْأَقَارِبِ ، وَيَعَالَجُ فِيهِ الْعَجَائِبَ ، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ الْعَرَجِيُّ :

كَمْ قَدْ عَصَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَتَنَصِّحٍ
دَانِي الْقَرَابَةِ أَوْ وَعِيدِ أَعَادِي

وَتَنُوقَةٍ أَرْمَى بِنَفْسِي عَرْضَهَا
شَوْقًا إِلَيْكَ بِلَا هِدَايَةِ هَادِي^(١)

وَمَا قَالَ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :

كَمْ جَشِمْنَا دُونَ سَلْبِي مَهْمَهَا
نَازِحَ الْغُورِ إِذَا الْآلُ لَمَعَ^(٢)

وَكَذَلِكَ الشُّوقُ مَا أَشْجَعُهُ
يُرَكَّبُ الْهَوْلَ وَيَعْصَى مَنْ وَزَعُ^(٣)

فَلَيْسَ بَعَاشِقٌ عِنْدَهُمْ ، وَلَا يَثْبِتُ لَهُ اسْمُ الْهَوَى ، وَلَا يَلْحَقُ بِالظَّرْفَاءِ ، وَلَا يُعَدُّ فِي الْأَدْبَاءِ ؛ لِأَنَّ الْهَوَى عِنْدَهُمْ فِي النَّحُولِ وَالذَّهْوَلِ ، وَالضَّنَى وَالْعِنَاءِ ، وَالْأَرْقُ وَالْقَلْتَقَ ، وَالسَّهْرَ وَالْفِسْكَرَ ، وَالذُّلَّ وَالْخَضْوَعَ ، وَادْمَانَ الْبِكَاءِ ، وَقِلَّةَ الْعِزَاءِ ، وَكَثْرَةَ الْأَنْبِي ، وَطَوْلَ الْحَنِينِ ؛ وَلَيْسَ بَعَاشِقٌ مَنْ خَرَجَ عَنِ

(١) التَّنُوقَةُ : الْبَرِيَّةُ لَا مَاءَ فِيهَا وَلَا أَنْيْسَ .

(٢) جَشِمَ الْأَمْرُ : تَكَلَّفَهُ عَلَى مَشَقَّةٍ . الْمَهْمَةُ : الْمَفَازَةُ الْبَعِيدَةُ ، أَوْ الْبَلَدُ الْمَقْفَرُ . النَّازِحُ : الْبَعِيدُ جِدًّا . الْغُورُ : مَا انْحَدَرَ وَاطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ . الْآلُ : السَّرَابُ وَهُوَ مَا يَشَاهَدُ فِي النَّهَارِ مِنْ اشْتِدَادِ الْحَرِّ كَأَنَّهُ مَاءٌ .

(٣) وَزَعُهُ : كَفَّهُ وَمَنْعَهُ .

هذه الصفات ، وانتقل من هذه الحالات ، أو وُسِمَ^(١) بغير هذه العلامات ،
وعُرف بغير هذه الدلالات ، أنشدني بعض الأدباء :

علامةٌ من كان الهوى في فؤاده إذا ما لقي أحبابه يتحيراً
ويصفر لونُ الوجه بعداً حراره فإن حركوه للكلام تشوراً^(٢)
أنشدني أبو الحسن بن الرومي :
أرى ماءً وبى عطشٌ شديدٌ ولكن لا سبيل إلى الورود^(٣)
أما يكفيك أنك تملكيني وأن الخلق كلهم عبيدي
وأنت لو قطعت يدي ورجلي لقلت من الهوى أحسنت زيدي
وحدثت عن ابن مخارق عن أبيه قال : كنا عند المأمون يوماً ، فقام
فدخل إلى حرمة ، وخرج وعيناه تذرغان ، فقال لي : يا مخارق تغنّ لي
بهذين البيتين :

سلامٌ على من لم يُطق عند يئنه سلاماً فأوحى بالبنان الخضب^(٤)
فما استطعت إلا بالبكاء جوابه وذلك جهدُ المستهام المعذب
فحفظتهما وتغنيتُ بهما ، فجعل يبكي ، وينتحب في بكائه ويزفر ، ثم قال
لنا : أتدرون ما قصتي ؟ قلت : أمير المؤمنين أعلم ، وإن شاء أعلمنا ! قال :
إني دخلت إلى بعض المقاصير ، فرأيت جارية لي كنت أجد بها وجداً^(٥)
شديداً ، وهي للبوت ، فسلمت عليها ، فلم تطرد السلام ، فأشارت بأصبعها ،
فغلبتني العبرة^(٦) ، وأرهقتني الزفرة^(٧) ، فخرجت من عندها ، فحضرني هذان

(١) وُسِمَ : كواه وجعل له علامة يعرفها

(٢) تشور : أوماً (٣) ورد الماء : صار إليه وبلغه .

(٤) البن : الفرقة . (٥) الوجد : المحبة .

(٦) العبرة : الدمعة ، أو الحزن بلا بكاء .

(٧) الزفرة : التنفس مع مد النفس .

البيتان من باب قصرها إلى باب مجلسي ، ثم أمر برفع الشراب ، فما رأيتُ يوماً أكدر منه .

وَأَنْشِدْتُ لِلْمَعْتَصِمِ فِي بَعْضِ جَوَارِيهِ :

أَيَا مُنْقِذِ الْعِرْقِ أَجْرُنِي مِنَ الَّتِي بِهَا نَهَلْتُ رَوْحِي سَقَاماً وَعَلَّتْ^(١)

لَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِي سَأَلْتُهَا قَدَى الْعَيْنِ مِنْ سَافِي التُّرَابِ لَضُنَّتْ^(٢)

وَأَنْشِدْتُ لِلْمَتَوَكِّلِ فِي جَارِيَةٍ لَهُ :

أَمَّا زُحْرُهَا فَتَغْضَبُ ثُمَّ تَرْضَى وَكُلُّ فَعَالِهَا حَسَنٌ جَمِيلٌ

فَإِنَّ تَغْضَبُ فَأَحْسَنُ ذَاتِ دَلٍّ وَإِنْ تَرْضَى فَلَيْسَ لَهَا عَدِيلٌ

حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَضْلِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ قَالَ :

حُمُّ الْمَتَوَكِّلِ يَوْمًا ، وَكَانَ ذَلِكَ بِعَقَبِ شَرٍّ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَبِيحَةٍ ، فَرَمَاهَا

بِمَخْدَةٍ فَغَضِبَتْ وَاحْتَجَبَتْ ، فَحُمُّ بِعَقَبِ ذَلِكَ ، وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَإِذَا الْفَتْحُ

قَائِمٌ فِي يَدِهِ قَارُورَةٌ فِيهَا الْمَاءُ ، وَيُحْيِي بِنِ مَسْوِيَةٍ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : لَيْسَ

أَرَى إِلَّا مَا أَحَبُّ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشِدْكَ آيَاتِنَا ؟ فَقَالَ لِي :

أَنْشِدْ ، فَأَنْشِدْتَهُ :

تَمَسَّكَرَ حَالَ عَلَّتِي الطَّيِّبُ فَقَالَ : أَرَى بِجَسْمِكَ مَا يُرِيبُ

جَسَسْتُ الْعِرْقَ مِنْكَ فَدَلَّ عِنْدِي عَلَى دَاءٍ لَهُ شَأْنٌ عَجِيبُ

فَمَا هَذَا الَّذِي بَكَ هَاتِ قَلِيَّ فَكَانَ جَوَابَهُ مِنِّي النَّحِيبُ

بِجَسْمِي بِالْحَبِيبِ بُلِي سَقَاماً وَقَلْبِي يَا طَيِّبُ هُوَ الْكَثِيبُ

فَرَّكَ رَأْسَهُ وَدَنَا إِلَى وَقَالَ : الْحَبُّ لَيْسَ لَهُ طَيِّبُ

(١) نهل : شرب أول الشرب . علله : سقاه سقيا بعد سقى .

(٢) القذى : ما يقع في العين من تبنة ونحوها . سفي التراب : تدرى وتبدد

فأعجبني تظرفه عليّ فقلت : بلى إذا رضى الحبيبُ
فقال : هو الشفاءُ فلا توانَ فقلت : أجل ولكن لا تجيبُ
ألا هل مُسعدٌ يبكي لشجوى فإني ها هنا أبداً غريبُ

فضحك ، ودعا بالشراب وشرب ، وشربنا معه ، ووجه إلى قبيحة ؛
فوقع الصلح بينهما ، وخرجت عندها رقعة بخط فضل الشاعرة :

لأصبرنَّ على ما بي من المَضضِ حتى أموتَ ولا يشعُ بي النَّاسُ
ولا يُقالُ شكا من كان يعشقه إنَّ الشَّكاةَ لمن يهوى هي الياسُ
ولا أبو حُبِّ بَسْرٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ عند الجليسِ إذا مادارتِ الكاسُ
وأما من عشق من الشعراء ، فما يحصرهم عددٌ ولا يحصيهم أحد .

وقد عشق أكثر العرب ، بل كلهم قد عشق ، فمن المذكورين منهم
المشهورين بالصنوة والغزل ، فقيس مجنون بنى عامر عاشق ليلي ، وقيس بن
ذريح عاشق لُبْنَى ، وتوبة بن الحمير عاشق لَيْلَى الأَخِيلِيَّةِ ، وكثير عاشق
عَزَّةَ ، وجميل بن مَعْمَرٍ عاشق بُثَيْنَةَ ، والمؤمل عاشق الذنفاء ، ومُرْقَشُ عاشق
أَسْمَاءَ ، ومُرْقَشُ الأصغر عاشق فاطمة بنت المنذر ، وعروة بن حزام عاشق
عَفْرَاءَ ، وعمر بن عجلان عاشق هِنْدَ ، وعلي بن أديم عاشق مَنَهَلَةَ ، والمهدب
عاشق لَذَّةَ ، وذو الرِّدَّةَ عاشق مَيَّةَ ، وقابوس عاشق مُنِيَّةَ ، والمجبل السعدي
عاشق الميلاء ، وحاتم طي عاشق ماوية ، ووضاح الين عاشق أم البنين ،
والعمر بن ضرار عاشق جُمَلِ ، والنمر بن تولب عاشق حَزْمَةَ ، وبدر عاشق
نُعْمَ : وشبيل عاشق فالون ، وبشر عاشق هِنْدَ ، وعمر وعاشق دَعْدَ ، وعمر بن
أبي ربيعة عاشق الثُّرَيَّا ، والأحوص عاشق سَلَّامَةَ ، وأسعد بن عمرو عاشق
ليلى بنت صَيْفِيٍّ ، ونصيب عاشق زَيْنَبَ ، وسحيم عبد بن الحساس عاشق حُمَيْرَةَ ،

وعبيد الله بن قيس عشق كثيرة ، وأبو العتاهية عشق عتمة ، والعباس بن الأحنف عشق فوز . وأبو الشيص عشق أمامة .

فهؤلاء قليل من كثير ممن عشق ، وإنما اقتصرنا على ذكر بعضهم دون بعض ، ليقلّ به الخطاب ، ويحسن به الكتاب ، ولكل واحد منهم سبب في حبه ، وحديث في عشقه ، يطول شرحه ، ويكثر وصفه .

ونحن مفردون لأهل العشق كتابا نذكر فيه أخبار المتيمين ، ومُلح المتعشقين ، ، وأشعار المتغزلين ، مع جملة من صفات الهوى في كتاب المقتفى إن شاء الله تعالى .

وقد شهر أيضا بالصبوة والغزل جماعة من شعراء العرب ، منهم أبو كثير الهذلي ، وأبو صخر الهذلي ، وأبو دهب الجعفي ، وريسان العذري ، والصمة بن عبد الله القشيري ، وابن أذينة ، وابن الدمينية ، وابن الطثرية ، وابن ميّادة ، والحسين بن مطير ، إلى آخرين لا يحصيه العدد ، ولا يبلغهم الأمد ؛ وقد ضرب في عروة بعشقه المثل ، لأنه كان أطولهم صبوة ، وأكثرهم في العشق كثرة .

أنشدني أحمد بن يحيى ، لأبي وجزة السعدي^(١) :

وفي عروة العذري ، إن مت أسوة^٢ وعمرو بن عجلان الذي فتنت هند^(٢)
وبي مثل ما ماتا به غير أني إلى أجل لم يأتي وقته بعد
هل الحب إلا عبرة بعد زفرق^٣ وحر على الأحشاء ليس له برد
وفيض دموع العين بالليل كلما بداعلم من أرضكم لم يكن يبدو^(٣)

(١) يروى هذا الشعر لقيس بن ذريح .

(٢) يروى : وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند

ويقال : إنه طلق زوجته هنداً وندم فمات أسفا عليها .

(٣) يروى : وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وقال كثير:

وأصبحتُ مما أحدثَ الدهرُ خاشعاً
وعُرْوَةٌ لم يَلِقَ الَّذِي قَد لَقِيتهُ
وقال جرير:

هل أنتِ شاقيةٌ قلباً يهيمُ بكمُ
وقال أيضاً:

بالعنبرية والنَّحيتِ أوانسُ
هل لا نهيتك إذ قتلنَ مرقشاً
وقال الأحرص الأنصاري:

لا شكَّ أن الذي بي سوف يقتلني
أحببتُها فوثغتُ الناسَ كلهمُ
لو قاس عروة والنهدى وجدُهما
وقال أيضاً:

إذا جئتُ قالوا قد أتى وتهامسوا
فعروة سنَّ الحبَّ قبلي إذ شقي
وقال جميل بن معمر:

وما وجدتُ وجدى بها أمٌ واحدٍ
ولا وجد العذري عروة إذ قضى
على أن من قدمآت صادف راحةً
ولا وجد النهدى وجدى على هندٍ
كوجدى ولا من كان قبلي ولا بعدي
وما لفؤادي من رواحٍ ولا رشدي^(٣)

(١) اختلبه : خدعه بلفظ الكلام . العذام : اللوم . (٢) وثغ : ساء خلقه .

(٣) الرواح : وجدان السرور الحادث من اليقين . الرشدي : الهداية والاستقامة .

وقال مروان بن أبي حفصة :

أردين عروّة والمرقش قبله
ولقد تركن أباذؤيب هأماً
وتركن لابن أبي ربيعة منطفاً
وأشدني عمرو بن قناب لنفسه :

إن الأولى ماتوا على دين الهوى
قيس وعمر و المرقش قبلهم
ندبو الطلول لأهلها لأنهم
ولبعض المتأدين :

يا عدو لي قد هويت فكفأ
مات قيس وعروّة وجميل
وقال جميل بن معمر :

قد مات قبلي أخونهد وصاحبه
وكلمهم كان في عشق منيته
إن لم تئنني بمعروف تجود به
وقد أحسنت والله امرأة من خنعم إذ تقول :

فأقسم أني قد وجدت بجحوش
فما أنا إلا مثلها غـ ير أني
وأحسن الذي يقول :

عجبت لعروّة العذرى أضحى
وعروّة مات موتاً مستريحا
وأخا بني نهيد تركن قتيلاً
ولقد قتلن كثيراً وجميلاً
فيهن أصبح سائراً محمولاً
وجدوا المنية منهنلاً معسولاً
كانوا لتنزيل الهوى تأويلاً
عشقوا مغاني أربع وطلولاً

وبلغنا أن منهم من عشق صورةً في حَمَامٍ ، وخيالاً في منام ، وكفأً في حائط ، ومثالا في ثوب ، والعشق ألوان وأنواع ، وضروب وفنون ، وأمره غريب ، وقال بعض الشعراء :

أبيت كما نى للكواكب عاشقٌ فأكثر همى أن تزول الكواكب
عجبت لما يلقى من العشق أهله وفيما يلاقى العاشقون عجائبُ
وبلغ العشق من عروة بن حزام أن أفردته ببلائه ، وعذبه بدائه ، وآنسه بانفراده ، وشرده عن بلاده .

وحكى عن ابن أبي عميق قال : بينا أنا أسيرُ في أرض بني عُذرة ، إذا أنا ببيتٍ حريرٍ ، فدنوتُ منه ، فاذا عجوز تمرّض شاباً ، وقد نهكته العلة ، وبانت عليه الذلة ، فسألتها عن خبره ، فقالت : هذا عروة بن حزام ، فدنوتُ منه ، فسمعتُه يقول :

من كان من أمهاتي باكباً لغيري فاليوم إني أراي اليوم مقبوضاً
تسمعيه فإني غير سامعه إذا علوت رقاب القوم معروضاً
فقلت : أنت عروة بن حزام ؟ قال : نعم ، أنا الذي أقول :

جعلت لعراف اليمامة حُكمه وعراف نجدٍ إن هما شقياني
فقالا : نعم تُشفي من الداء كله ، وقاما مع العوادِ يبتدِرانِ
فما تركا من سلوةٍ يعلبانها ولا شربةٍ إلا بها سقياني
فقالا : شفاك الله ، والله مالنا بها حملتُ منك الضلوع يدانِ
فلهفي على عفرأء لهفأ كأنه على النجر والأحشاء حدُّ سنانِ
فعفرأء أحظى الناسِ عندي مودةً وعفرأء عنى المعرض المتوآني

ثم خفق خفقةً ، فتوهمتُ أنها غشية ، ففتحيت عنه ، ودنت العجوز منه ،
فما برحتُ حتى سمعت الصيحة ، فاذا هو قد فارق الدنيا .

وبلغ العشقُ أيضا من مجنون بنى عامر أن أخرجه إلى الوسواس
والهيمان^(١) ، وذهاب العقل وكثرة الهذيان ، وهبوط الأودية وصعود
الجبال ، والوظء على العوسج وحرارة الرمال ، وتمزيق الثياب ، واللعب
بالتراب ، والرمي بالأحجار ، والتفرد بالصحارى ، والاستيحاش من
الناس والاستئناس بالوحش ، حتى كان لا يعقل عقلا ، فاذا ذكرت ليلى
ثاب إليه عقله ، وأفاق من غشيته ، وتجلت عنه غمته^(٢) ، وحدثهم عنها أصحَّ
الرجال عقلا ، وأخلصهم ذهنا ، لا ينكرون من حديثه شيئا ، فاذا قطع ذكرها
رجع إلى وسواسه وهذيانه ، وتماديه في ذهاب عقله .

وقد حكى عنه في أول ابتداء وسواسه أنه قيل لأبيه : لو أخرجت قيسا
أيام الموسم ، وأمرته بأن يتعلق بأستار الكعبة ، ويقول : اللهم أرخني من
حب ليلى ، لعلَّ الله كان يُريحه من ذلك ، ففعل ، فلما طاف بالبيت أمره
فتعلق بأستار الكعبة ، وقال : قل اللهم أرخني من حب ليلى ، فقال : اللهم
زدني ليلي حسبا إلى حبها وأرني وجهها في خير وعافية ، فضر به أبوه ،
فأنشأ يقول :

ذَكَرْتُكَ وَالْحَجِيحُ لَهُ ضَجِيحٌ بِكَكَّةٍ وَالْقُلُوبُ لَهَا وَجِيحٌ^(٣)
فَقَلْتُ وَنَحْنُ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ بِهِ لَلَّهِ أَخْلَصْتُ الْقُلُوبُ
أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَنُ مِمَّا عَمَلْتُ فَقَدْ تَظَاهَرَتِ الذُّنُوبُ

(١) هام على وجهه هيانا : ذهب لا بدرى أين يتوجه .

(٢) غمته الشيء : شدته . (٣) وجب القلب : رجف وخفق .

وأما من هوى ليلى وتركى
وكيف وعندها قلبى رهين^١
زيارتها فإني لا أتوب
أتوبُ اليك منها أو أنيبُ

وقال أيضا :

دعا المحرمون الله يستغفرونه
وقلتُ لربِّ النَّاسِ أوَّلُ سألني
فإن أعط ليلى في حياتي لا يتبُّ
بمكة شعنا كى تمحى ذنوبها
لنفسى ليلى ثم أنت حسيبها
إلى الله عبد توبة لا أتوبها

وقال أيضا :

فلو أن مابى بالحصى فلق الحصى
ولو أنى أستغفر الله كلما
وبالريح لم يسمع لهن هبوب^٢
ذكرتك لم يكتب على ذنوب^٣

وبات في بعض ليالى حجه تحت شجرة ، فانتبه بنوح حمامة ، فأنشأ يقول :

لقد هتفت في جنح ليل حمامة^٤
فقلت اعتذاراً عند ذاك وإني
أزعم أنى عاشق ذو صبابة
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً
على فن تدعو وإني لنائم^(١)
لقلبي فيما قد رأيت للأئم^٥
بليلى ولا أبكى ويبكى الحائم^٦
لما سبقتنى بالبكاء الحائم^٧

وسمعها تنفأ من الليل وهو ينادى : يا ليلى : نخر مغشياً عليه ، ثم أفاق

وهو يقول :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه
عرضت على قلبى العزاء فقال لى :
فهبج أحزان الفؤاد وما يدرى
وليلى بأرض عنه نازحة قفر^(٢)
من الآن فاجزع لا أعزك من صبر

(١) الفن : الغصن المستقيم . (٢) أسخن عينه وبعينه : أنزل به ما يبكيه .

إذا بان مَنْ تَهْوَى وَأَسْلَمَكَ النَّوَى ^(١) ففارقةً من تهوى أحرُّ من الحجرِ

وقال أيضا:

فَلَيْبِكَ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَلَوْ أَنَّهُ ^(٢) صَدَى بَيْنَ أَحْجَارٍ لَظَلَّ يُجِيبُهَا

وقد أحسن إذ حكم على صدَى في رسمه باجابهة لدعوتها ، والمبادرة الى تليبيتها ؛ وهكذا فلتكن غلبة العشق ، وصدق الهوى . ومثل ذلك قوله أيضا :

لَمَسْتُ ثِيَابِي إِنْ قَدَرْتُ ثِيَابَهَا ^(٣) وَلَمْ يَنْهِنِي عَنْ مَسِّهِنَّ حَرَامُهَا

وَلَوْ شِئِدْتَنِي حِينَ تَحْضُرُ مِيتِي ^(٤) جَلَا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ عَنِّي كَلَامُهَا

ومثل ذلك قول الآخر :

وَلَوْ كَلَّمْتَنَا بَيْنَ زِمْرَمٍ وَالصَّفَا ^(٥) وَبَيْنَ حَطِيمِ الْبَيْتِ أَصْبَى كَلَامُهَا

وَلَوْ مَكَّشْتُ بَعْدَ التَّطُّعِ سَاعَةً ^(٦) بِمَكَّةَ وَلَاهَا الصَّلَاةَ إِمَامُهَا

وَلَوْ نَطَقْتُ وَالْمَوْتَ يَجْرِي ظِلَامُهُ ^(٧) لَجَلَّى ظِلَامَ الْمَوْتِ عَنِّي ابْتِسَامُهَا

ومثله قول جميل بن معمر :

حَلَفْتُ يَمِينًا يَا بَيْثِنَةَ صَادِقًا ^(٨) فَإِنْ كُنْتُ فِيهَا كَاذِبًا لَعَمِيْتُ

حَلَفْتُ لَهَا بِالْبُذْنِ تُدْمِي نَحْوَرَهَا ^(٩) لَقَدْ شَقِيَّتْ نَفْسِي بِكُمْ وَعَنِيْتُ

فَلَوْ أَنَّ جِلْدًا غَيْرَ جِلْدِكَ مَسَّنِي ^(١٠) وَبَاشَرَنِي دُونَ الشُّعَارِ شَرِيْتُ

(١) بان عنه : انقطع عنه وفارقه . النوى : البعد .

(٢) حطيم البيت : حطيم مكة ، وهو ما بين الركن والباب ، وقيل : هو الحجر المخرج منها ، سمي به لأن البيت رفع وترك هو محطوما ، وقيل لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت به من الثياب فبقي حتى حطم بطول الزمان ، فيكون فعلا بمعنى فاعل .

(٣) جلى الأمر عنه : كشفه عنه

(٤) البدن (بضم النون وسكونها) : جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة تنحر بمكة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها .

(٥) الشعار : ما يمس الجسد من اللباس . شرى الرجل : غضب .

ولو أنّ داعٍ منك يدعو جنازتي
وكننتُ على أيدي الرجال حَيِّتِ
ومثله قول الأعشى :

عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ سُرِبَتْ
صَفْرَاءَ مِثْلِ الْمَهْرَةِ الضَّامِرِ
لو أسندتُ ميتاً إلى نحرها
عاش ولم يُنقل إلى قابر
حتى يقول الناسُ بما رأوا
يا عَجَباً للميتِ النَّاشِرِ
قد حَجَمَ الثَّدْيُ على نحرها
في مُشْرِقِ ذِي بَهْجَةٍ زَاهِرِ
ومثله قول المجنون أيضاً :

ولو كنتُ أعمى أَخْبِطُ الأَرْضَ بالعِصَا
أصمٌّ فنادتني أجبتُ المُنَادِيَا
وأشهد عند الله أنّي أحبُّها
فهذا لها عندي فما عندها ليَا

قال : وسرق هذا المعنى جميل بن عبد الله بن معمر ، فقال :

ألا ليتني أعمى أصمُّ تقودني
بُثَيْنَةُ لا يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا
فهؤلاء قد زعموا أنّ كلام النساءِ يجلو العمى ، ويسمع الصمُّ ، ويحيي
الميت ، ويدفع الموات ، وينشر القبور من قبل أو ان النشور .
وقد قال بعض الأعراب : إنّ من كلام النساء ، ما يقوم مقام الماء ،
فَيُرَوَّى مِنَ الظَّمَاءِ .

وقال آخر : حلاوة نغم الذمء في الآذان ، ألدُّ من موقع الماء العذب
من العطشان .

وقال القطاميّ في مثل ذلك :

وفي الجدور غماماتُ برقن لنا
حتى تصيدننا من كلِّ مُصْطَادِ
قتلنا بحديثٍ ليس يعلمه
من يتقين ولا مكر وهه بادي

وَهُنَّ يَنْبَدْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِينُ بِهِ مواقع الماء من ذى الغلة الصّادى^(١)
وعمر بن أبي ربيعة يقول في سَكِينَةَ بنت الحسين بن عليّ رضي الله عنهما :
أَسْكِينُ مَا مَاءُ الْفُرَاتِ وَبَرْدُهُ مني على ظمأً وَحُبُّ شَرَابِ
بِأَحَبِّ مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلَّ مَا ترعى النساء أمانةَ الْغِيَابِ
ولبعض المتأدبين في مثله :

والله ما شربةٌ من ماء غاديةٍ اذا ظممتُ وكرُبُ الموتِ يَغْشَانِي
أَلذُّ من شربةٍ من فيك أسمعها تلك الشفاءُ لقلبِ الهائمِ العاني

وروى أن عمر بن أبي ربيعة قال : أتتني امرأتان في أيام غزلي ، فجعلت
احدهما تُسرُّ إلى سرًّا ، والأخرى تعضني ، فما شعرتُ بعضةً هذه من لذة
سرار هذه .

ودخل كثيرٌ على عبد الملك بن مروان ، فقال : يا كثيرٌ حدّثني ببعض
أخبار جميل ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، لقيتُ جميلة ذات يوم ، فقال :
هل لك في المسير معي نحو بُيُوتنا ؟ قلت : نعم ، فسأيرته ، حتّى دنا من
موضعها ، فقال : تصير اليها فتعلمها بكاني ، ففضيت فأعلمتها ، فأقبلت في نسوةٍ
من الحمى ، فلما رأينه انصرفن عنها ، وتمحيت عنهما ، فلم يزلان أول الليل
إلى أن رهنهما الصبح قائمَيْن في أقدامها ، فلما عزمنا على الإفراق قالت :
أدن مني يا جميل ، فدنا منها ، فأسرت إليه سرًّا ، فخرّ مغشياً عليه ، فما أيقظه
الأحرُّ الشَّمْسُ ، فأفاق وأنشأ يقول :

فَمَا مَاءُ هُزْنٍ مِنْ جِبَالٍ مُنِيفَةٍ وَلَا مَا أَكُنْتُ فِي مَعَادِنِهَا النَّحْلُ

(١) الغلة : العطش الشديد . صدى : عطش شديد ،

بأشهبى من القول الذى قلت بعدما تمكّن فى حيزوم ناقتى الرّحل^(١)
وقال جرير أيضا :

ولقد رميناك يوم رُحِنَ بآنين يقتلن من خمل الشّور سواجي^(٢)
وبنطقٍ شغف الفؤاد كأنه عسلٌ يجدن به بغير مزاج
وقال الفرزدق :

إذا هنّ ساقطن الحديث كأنه جنى النحل أو أبارك كرم تقطف^(٣)
تراهنّ من فرط الحياء كأنها مراض سلال أو هوالك نرف
وليس يمكن أن يكون ذلك عندهم كذلك .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم - من وجوه شتى بأحاديث صحّت عن الثقات ، ونقلت عن الرواة - : إن حبك للشئ يعنى ويصم .
وليس بعجب ما قال المجنون وأشباهه من غلبة العشق عليهم ، وقد قال غيره أعظم مما قاله وأقطع وأجل ، ولقد رأينا وسمعنا وخبرنا أن منهم من قتل نفسه غرقاً وذبحاً وخنقاً ، كل ذلك أسفاً وحسرةً وتلهفاً .

فمن ذلك ما حكى عن شيخ حضر مجلس العتي ، فأخبرهم أنه حضر مجلساً فيه قينة وفتى ، وكان الفتى ، يهوى القينة ، وكانت القينة تهوى ابنة الشيخ ، وابنة الشيخ تهوى الفتى ، فغنت القينة :

-
- (١) الحيزوم : الصدر ، وقيل : وسطه . الرّحل : ما يجعل على ظهر البعير كالسرج
(٢) الخلال : المنفرج بين الشيتين . السواجى : جمع ساجية ، وعين ساجية : فاترة النظر ، أى ساكنة لينة .
(٣) ساقطة الحديث : تكلم الواحد وسكت الآخر بالتناوب . أبارك كرم : عنى السكرم البكر الذى لم يحمل قبل ذلك .

علامةٌ ذُلُّ الهوى على العاشقين البسكا

ولا سيبا عاشق إذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى . أحسنت والله ياسقى ، أتأذنين لى أن أموت ؟ قالت : مت راشدا ، فوضع رأسه على الوسادة ، وغمض عينيه ، فخر كناه ، فوجدناه ميتا ؛ قال الشيخ : فخر جانا متعجبين من ذلك ، وصرت إلى منزلى ، فأعلمتهم ما كان من قصة الفتى ، ونظرت إلى ابنتى وقد حاضرت ، فدخلت مجلسا لى ، فدخلت وراءها ، فاذا هى متوسدة على مثال ما كان عليه الفتى ، فخر كتها فاذا هى ميتة ، فغدونا بجنازتها ، وغدوا بجنازة الفتى ، فاذا بجنازة ثالثة ، فسألنا عنها ، فاذا هى جنازة القيمة ، وبلغها موت ابنتى ، فصنعت مثل ذلك فماتت ، فدفننا ثلاثة بموت واحد فى موضع واحد ؛ وهذا من عجيب ما سُمع به فى هذا الامر .

ومن ذلك ما أخبرنى أبو العيْناء قال : حدثنى عمرو بن بحر الجاحظ قال : ذُكرتُ لأمير المؤمنين المتوكل لتأديب ولده ، فلما نظر إلى استبشع منظرى ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفى ، فخر جتُ فلقيتُ محمد بن ابراهيم ، وهو يريد الانحدار إلى مدينة السلام ، فعرض على الانحدار معه ، وقربتُ حرّاقته^(١) ، ودعا بطعامه وشرابه ، ونصب ستارته ، وأمر بالغناء ، فاندفعت عوادة له تتغنى :

كلّ يوم قطيعةٌ وعتابُ ينقضي دهرنا ونحن غضابُ

ليت شعرى أنا خصصتُ بهذا دون الخلق أم كذا الأحاب؟

(١) الحرقاة : السفينة فيها مراى نيران يرمى بها العدو .

ثم سكنت ، وأمر طنبورية فغنت :

وَأَرَحَّتَنَا لِلْعَاشِقِينَ مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ مَعِينَا
كَمْ يُهَجَّرُونَ وَيُظَلُّونَ نَ وَيَقْطَعُونَ فِيصْبِرُونَا
وَتَرَاهُمْ مِمَّا بِهِمْ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ خَاشِعِينَ
يَتَجَلَّدُونَ وَيُظْهِرُونَ نَ تَجَلَّدُوا لِلشَّامِتِينَ

قالت لها العوادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : يصنعون هكذا ، وضربت بيدها على الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فِلَقَةٌ قمر ، فزجت بنفسها إلى الماء ، قال : وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال ، ويديه مذبة ، فلما رآها وما صنعت ألقاها من يده ، وأتى إلى حيث رمت بنفسها ، فنظر إليها وهي تمور بين الماء فأنشأ يقول :

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتَنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعَلَّمِينَا

وزج نفسه في أثرها ، فأدار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقين ، ثم غاصا ولم يريا ، فهاهنا ذلك محمدا واستفظعه . وقال للجراحظ : يا عمرو لتحدثني بحديث يسكن عني فعـل هذين ، وإلا ألحقتهما بهما ! قال الجاحظ : فحضرني خبر سليمان بن عبد الملك ، وقد قعد للظالم ، وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها : إن رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ان يخرج إلى فلانة ، يعنى جارية من جواريه ، حتى تغنيني ثلاثة اصوات فعـل ، فاغتاظ من ذلك سليمان وأمر من يخرج اليه فيأتيه براسه ، ثم اتبع الرسول برسول آخر فأمر ان يدخل الرجل إليه ، فأدخل ، فلما مثل الرجل بين يديه ، قال له : ما الذي حملك على ما صنعت ؟ قال : الثقة بحملك ، والاتكال على عفوك ، فأمره بالعودة حتى لم يبق أحد من بني أمية ، ثم امر فأخرجت الجارية ومعها عودها ثم قال له : اختر ، قال له : قل لها تغني بقول قيس بن الملوّح :

تعلقُ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِهَا وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطَافُ أَوْ فِي الْمَهْدِ^(١)
فِعَاشٍ كَمَا عِشْنَا فَأَصْبَحَ نَامِيَا وَلَيْسَ وَإِنْ مُتْنَا بِمَنْقُضِ الْعَهْدِ^(٢)
وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَسَائِرُنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ
يَكَادُ فَضِيضُ الْمَاءِ يَخْدِشُ جِلْدَهَا إِذَا اغْتَسَلْتَ بِالْمَاءِ مِنْ رِقَّةِ الْجِلْدِ^(٣)
وَإِنِّي لِمُشْتَاقٌ إِلَى رِيحِ جَنِينِهَا كَمَا اشْتَاقُ إِدْرِيسٌ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ

فغتمته ، فقال سليمان : قل ، قال : تأمر لي برطل ، فأمر له برطل فشربه ،
ثم قال : تغنى بقول جميل :

عَلِقْتُ الْهُوَى مِنْهَا وَلَيْدًا فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمَى حُبُّهَا وَيَزِيدُ
وَأَفْنَيْتُ عُمُرِي فِي انْتِظَارِ نَوَاهَا وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبَا وَلَا حُبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بَثِينَةَ قَاتِلِي مِنْ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
ثم قال : تغنى بقول قيس بن ذريح :

لَقَدْ كُنْتُ حَسْبَ النَّفْسِ لُودَامٌ وَدَنَا وَلَكِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ غُرُورُ
وَكُنَّا جَمِيعًا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ النَّوَى بِأَنْعَمِ حَالِي غَبْطَةٌ وَسُرُورُ
فَمَا بَرِحَ الْوَأَشُونَ حَتَّى بَدَتْ لَنَا بَطُونُ الْهُوَى مَقْلُوبَةً لِظُهُورِ

فغتمت ، فقال له : قل ، قال : تأمر لي برطل ، فما استتمه حتى وثب إلى
أعلى قبة سليمان ، ثم زج بنفسه على دماغه فمات ؛ فقال سليمان : إنا لله وإنا
إليه راجعون ، أتراه توهم الجاهل أنسى أخرج إليه جاريتي وأردّها إلى ملكي؟

(٢) النطاف : جمع النطفة : ماء الرجل أو المرأة .

(١) انقضب : انقطع .

(٣) الفضيض : ما انشتر من الماء عند صبه .

خذوا بيدها فانطلقوا بها الى أهله ، إن كان له أهل ، والا فبيعوها وتصدقوا
بها عنه ؛ فلما انطلقوا بها نظرت الى حفرة في دار سليمان ، قد أُعدت للطر ،
فجذبت نفسها وأنشأت تقول :

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلَيْمَتْ هَكَذَا لَا خَيْرَ فِي الْعِشْقِ بِلا مَوْتٍ
وَزَجَّتْ بِنَفْسِهَا فِي الْحَفْرَةِ عَلَى دِمَاغِهَا فَمَاتَتْ ؛ فُسرِّي عن محمد ، وأحسن
صلة الجاحظ .

١٥ - باب من مات من شدة الفقر

وتضعضت أعضاؤه من شدة الوجد

حكى لنا عن اسحاق بن ابراهيم ، عن الهيثم بن عدى ، عن هشام بن حسان
قال : حدثنا رجل من بني تميم قال : خرجت في طلب ناقة لي ، فوردت على
ماء من مياه طيء ، فاذا بعسكرين أحدهما قريب من الآخر ، وإذا في أحد
العسكرين شابٌ مدنفٌ قد نسكته العيلة ، فهو كالشن البالي ، فدنوت
لأعرف خبره ، فسمعت وهو يقول :

ألا ما لِلْمَلِيحَةِ لا تَعُودُ أُنْجِلُ بِالْمَلِيحَةِ أم صَدُودُ
مَرَضْتُ فَعَادَنِي أَهْلِي جَمِيعًا فَمَا لِكَ لا نَرَى فِيمَنْ يَعُودُ
فَقَدْتُكَ بَيْنَهُمْ فَتَلَفْتُ شَوْقًا وَفَقَدُ الْإِلْفِ يَا أُمِّي شَدِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ السَّقِيمَةَ كُنْتُ أَسْعَى إِلَيْكَ وَلَمْ يُنْهِنِي الْوَعِيدُ (١)

قال فسمعت كلامه ، فبادرت نحوه ، وبدرتها النساء فتمعكن بها ، فأحس
بها ، فوثب مبادرا نحوها ، فخبسه الرجال ، فجعلت تجذب نفسها من النساء ،
ويجذب نفسه من الرجال ، حتى التقيا فاعتنقا وبكيا ، ثم شهقا فخراميتين ،

(١) منهنه عن الشيء : كفه عنه وزجره .

فخرج شيخ من بعض الأخبية ، فوقف عليهما ، فاسترجع ، ثم قال : رحمكما الله ،
أما والله لقد كنتُ لم أجمع بينكما في حياتكما لأجمعنَّ بينكما بعد موتكما ، فأمر
بهما فكفنا في كفن واحد ، ودُفنا في قبر واحد ، فسألتُ عنهما ، فقال :
هذه بنتي وهذا ابن أخي ، بلغ بهما الحب ما ترى .

ومن ذلك أيضا ما حكي عن اسحاق الرافقي قال : كنت في مجلس بالرقّة
في عدة من الظرفاء ، وجماعة من القيان ، ومعنا فتى كأهياً من رأيت من الفتيان ،
وعليه أثرُ ذلّة الهوى ، يُدِيم الأنين والبكاء ، ففغنت إحداهن :

إِنِّي لِأَبْغِضُ كُلَّ مُصْطَبِرٍ عَنِ الْفَسْهِ فِي الْوَصْلِ وَالْهَجْرِ

الصَّابِرُ يَحْسُنُ فِي مَوَاطِنِهِ مَا لِلْفَتَى الْمَحْزُونِ وَالصَّابِرِ

فنظر إليها الفتى وتبادرت عبراته ، ثم وثب على قدميه ووضع يده على
رأسه وقال :

غدا يكبر الباكون منا ومنكم وتزداد داري من دياركم بُعداً
ثم رمى بنفسه فسقط مجداً من قامته ، فوثبنا إليه فحملناه ميتاً .

ومن ذلك ما حكي عن جميل بن معمر العذري أنه دخل على عبد الملك بن
مروان ، فقال له : يا جميل حدثني ببعض أحاديث عذرة ، فانه يبلغني أنهم
أصحاب أدب وغزل ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن آل بئينة اتجعوا الحى ،
وقطعوا بلداً آخر ، فخرجت أريدهم ، فغلطت الطريق ، وجننى الليل ، ولاحت
لى نار ، فقصدتها حتى دنت ، ووردت على راعٍ في أصل جبل قد ألجا غنمه
الى كهف في الجبل ، فسألت فرد على السلام ، وقال : أحسبك قد ضللت
الطريق ، قلت : قد كان ذاك فأرشدني ، قال : بل انزل حتى تريح ظهرك وتبيت
ليلتك ، فاذا أصبحت وفتك على الطريق ، فنزلت ، فترحب بي وأكرمني ،
وعمد الى شاة فذبحها ، وأجج ناراً وجعل يشوى ويلقي بين يدي ، ويحدثني

في خلال ذلك ، ثم قام بازار كان معه فقطع به جانب الخباء ، ومهد لي جانباً ، وترك جانباً خالياً ، فلما كان في الليل سمعته يبكي ويشكو الى شخص كان معه ، فأرقت له ليلتي ، فلما أصبحت طلبت الأذن فأبى ، وقال : الضيافة ثلاث ، فأقمت عنده ، وسألته عن إسمه ونسبته وحاله ، فانتسب لي ، فاذا هو من بني عذرة وأشرافهم ، فقلت : يا هذا وما الذي أحلك هذا الموضع ؟ فأخبرني أنه يهوى ابنة عم له وتهواه ، وأنه خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجهَا منه لِقَلَّةِ ذات يده ، وأنه زوجهَا رجلا من بني كلاب ، فخرج بها عن الحى فأسكنها في موضعه ذلك ، وأنه تنكر ورضى أن يكون راعياً له لتأتميه ابنة عمه ، فتراه ويراهَا ، وجعل يشكو إلى صبا بته بها وشدة عشقه لها ؛ حتى إذا جننا الليل وحان وقت مجيئها جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كالمتوقع لها ، فأبطأت عن الوقت وغلبه الشوق ، فوثب قائماً وأنشأ يقول :

ما بال مَيَّةَ لا تأتي لِعادِها أهاجها طَرَبٌ أم صدها سُغْلُ
لكنَّ قَلْبِي لا يُلبِيه غيرُهُمْ حتَّى المماتِ ولا لي غيرُهُمْ أَمَلُ
لو تَعَلِّمِينَ الذِّي بي من فِرَاقِكُمْ لما اَعْتَمَلْتُ ولا طابَتْ لَكَ العِلالُ
رُوحِي فدَاؤُكِ قد هَيَّجَتْ لي سَقَمًا تكاد من حرِّه الأَعْضاء تَنفَصَلُ
لو أن عادِيه مَنى على جَبَلٍ لزال وانهدَّ من أركانِه الجَبَلُ

ثم قال : يا أخا بني عذرة ، مكانك حتى أعود إليك ، فإنني أتوهم أن أمرا عرض لابنة عمي ؛ ثم مضى فغاب عن بصرى ، فلم يلبث أن أقبل وعلى يديه شيء محمول ، وقد علا شقيقه ونحيبه ؛ فقال : يا أخا بني عذرة ، هذه بنت عمي أرادت أن تأتيني فاعترضها السبع فأكلها ، ثم وضعها عن يده ، وقال : على رِسلِك حتى أعود إليك ، ومضى فأبطأ حتى يئست من رجوعه ،

ثم أقبل ورأس الأسد على يده ، فوضعه وجعل ينكت على أسنانه ،
وهو يقول :

ألا أيُّها اللَّيْثُ الْمُخَيَّلُ بنفسه هُبَيْلْتُ لَقَدْ جَرَّتْ يَدُ الْكَلْبِ لَنَا حَزْناً^(١)
وَعَادَرْتَنِي فَرْدًا وَقَدْ كُنْتُ آلِفًا وَصَيَّرْتَ بَطْنَ الْأَرْضِ ثُمَّ لَنَا سَجْنًا

ثم قال : يا أخا بني عُذْرَةَ ، إنك ستراني بين يديك مَيْتًا ، فإذا أنا مِتُّ ،
فاعمد إليَّ وإلى بنت عمي فادْرُجْنَا فِي كَفْنٍ وَاحِدٍ ، واحفر لنا جدنا واحدا
وادفنا فيه ، واكتب على قبري هذين البيتين :

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا وَالْعَيْشُ فِي مَهَلٍ وَالشَّمْلُ يَجْمَعُنَا وَالِدَارُ وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ بِالتَّشْتِيتِ الْفُتْنَا فَصَارَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا السَّكْفُنُ

وَرُدَّ الْغَنَمَ عَلَى صَاحِبِهَا ، وَأَعْلِيَهُ بِقِصَّتِنَا ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى خِنَاقِ فِطْرَحِهِ فِي
عُنُقِهِ ، فَنَاشَدْتَهُ اللَّهُ أَلَّا يَفْعَلَ ، فَأَبَى ، وَجَعَلَ يَخْنُقُ نَفْسَهُ حَتَّى سَقَطَ بَيْنَ يَدَيْ
مَيْتًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ كَفَّنَتْهُ وَابْنَةُ عَمِّهِ كَمَا أَمَرَنِي ، وَدَفَنْتَهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ،
وَكَتَبْتُ الْبَيْتَيْنِ عَلَى قَبْرِهِمَا ، وَرَدَدْتُ الْغَنَمَ عَلَى زَوْجِهَا وَأَعْلَيْتُهُ بِقِصَّتِهِ ،
فَجَعَلَ يَأْكُلُ كَفْنَيْهِ أَسْفَاً أَلَّا يَكُونَ جَمْعَ بَيْنَهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا ، فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ
كَثِيرٌ جَدًّا .

وروى عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : كُنَّا عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ،
وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا عُذْرِيُّ بَلِّغْنِي أَنْ فِيكُمْ رِقَّةً
وَعَزْلًا ، فَأَخْبَرَنِي بِبَعْضِ ذَلِكَ ، قَالَ : لَقَدْ خَلَّفْتُ فِي الْحَيِّ ثَمَانِينَ مَرِيضًا
دَنَفْنَا عَشَقًا مَا بِهِمْ غَيْرُ الْحَبِّ قَدْ خَامَرَ قُلُوبَهُمْ .

(١) هبيلت : فقدت ، هلكت .

١٦ - باب من وصف الحب

وما فيه من شدة المرارة والسكر

واعلم أن الحب - مع ما فيه من المرارة والنكد ، وطول الحشرات
والسكر - مستعذبٌ عند أربابه . مستحسن عند أصحابه ، حلوٌ لا تعدله
حلاوة ولا تعدله مرارة ، قال الكميّ بن زيد :

الحبُّ فيه حلاوةٌ ومرارةٌ سائلٌ بذلك من تطاعمٍ أوزقُ
ما ذاق بُوسَ معيشةٍ ونعيمها فيما مضى أحدٌ إذا لم يعشقِ
وقال آخر :

يا أيها الدنفُ المعذبُ بالهوى إني بأحوالِ الهوى لعليمٌ
الحبُّ صاحبه يبيتُ مسهداً ويطير عنه فؤاده ويهيمُ
الحبُّ داءٌ قد تضمّن في الحشا بين الجوانح والضلوع مُقيمٌ
الحبُّ لا يخفى وإن أخفيتَه إن البكاء على الحبِّ نمومٌ
الحبُّ فيه حلاوةٌ ومرارةٌ والحبُّ فيه شقاوةٌ ونعيمٌ
الحبُّ أهونٌ ما يكون مبرحٌ والحبُّ أصغرُ ما يكون عظيمٌ^(١)

أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

سألني عن الحبِّ يا من ليس يعرفهُ ما أطيبَ الحبِّ لولا أنه نكدٌ^(٢)
طعمانٍ حلوٍ ومرٍّ ليس يعدله في حلقِ ذائقه مرٌّ ولا شهْدٌ

وأنشدني إبراهيم بن محمد الواسطي لنفسه :

سألني عن الحبِّ فإني به أعلمُ ذى وطءٍ على نعلٍ

(١) برح به الأمر : أتعبه وآذاه أذى شديداً . (٢) النكد : الشديد العسر .

طعمانِ ضِدَّانِ، فُستَعذَبُ^١ وَأَخْرَهُ أُشْرَى مِنْ الْقَتْلِ^(١)

ولبعض المتأدبين أيضا في مثله :

سَلَدَنِي عَنِ الْحَبِّ يَا مَنْ لَيْسَ يَعْلَمُهُ

أنا الذي بالهوى ما زلتُ مشتهراً

عندي من الحبِّ إن ساءَ لَتَمُّ الخَبْرِ

الحبُّ أولُه عَذْبٌ مَذَاقَتُهُ

لاقيت فيه الذي لم يَلْقَهُ بِشْرُ

كَمْ تَيَمَّ الحَبُّ أَقْوَامًا وَذَلَّهْمُ

لكن آخِرَه التَّنْغِيصُ وَالكَدْرُ

أَنشَدَنِي ابْنُ أَبِي الرَّعْدِ :

وكم يَدِ للهوى قد وارتِ الحُفْرُ

مَنْ كَانَ لَمْ يَذْرُ مَا حَبٌّ وَصَفَتْ لَهُ

إِنْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدِ

الحبُّ أولُه عَذْبٌ وَآخِرُهُ

مثل الحزازة بين القلب والكبد^(٢)

أَنشَدَنِي الْوَلِيدُ بْنُ عَمِيْدٍ الْبَحْتَرِيُّ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ .

أَخْلَى بِي شَجْوٌ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجْوٌ

وكلُّ امرئٍ مما بصاحبه خلُو

أَذَابَ الْهَوَى جَسْمِي وَلِحْمِي وَقَوْنِي

فلم يَبْقَ إِلَّا الرُّوحَ وَالْجَسَدَ النَّضْوُ^(٣)

رَأَيْتَ الْهَوَى جَمْرَ الْغَضَى ، غَيْرَ أَنَّهُ

على كل حال عند صاحبه حلُو

وَمَا مِنْ مَحَبٍّ نَالَ مِمَّنْ يَحِبُّهُ

هوى صادقاً إِلَّا سَيَدْخُلُهُ زَهُو

قال وأنشدني ابن أبي الدنيا :

الحبُّ يترك من أحبَّ مدلهما

حَيْرَانَ أَوْ يَقْضِي عَلَيْهِ فَيُسْرِعُ^(٤)

الحبُّ أهونُه ثَقِيْلٌ فَادِحٌ

يهوى الجليد من الرجال فيصرع^(٥)

(١) أشرى : أشد .

(٢) الحزازة : داء يظهر في الجسد فينتشر ويتسع ، وهو القوباء .

(٣) النضو : المهزول . (٤) دلّه : حيره وأدهشه .

(٥) الجليد : ذو القوة والصبر والصلابة .

١٧ - باب ما في معرفة الهوى

وما كان اسمه في البادية أو لا

واعلم أن الهوى عندهم هو الهوان الصراح ، والبلاء المتاح ، لأنه يهين
الكريم ، ويذل العزيز ، ويُدلهُ العاقل ، ويحطّ منزلة الشريف .

وسُئلتُ أعرابية عن الهوى ، فقالت : الهوى هو الهوان ، وإنما غلِطَ
باسمه ، واشتقّ من طبعه ، ولن يعرف ما أقول ، إلا من أبكته المنازل
والطلول ، وأنشأت تقول :

ليت الهوى لذوى الهوى لم يُخْلَقِ بل ليت قلبي بالهوى لم يَعْلَقِ
إنّ الذي عَلِقَ الهوى بِفؤاده كمنوّطٍ دون النساء مُعْلَقِ
لا يستطيع نزوله لِشِقَائِهِ لكنّ اليه كلُّ همٍّ يرْتَقِي
إنّ الهوى لهو الهوانُ بِعَيْنِهِ ما ذاقَ طعمَ الدلّ من لم يَعشِقِ
وَأُنشِدْتُ لغيرها أيضا :

إنّ الهوان هو الهوى نُقِصَ اسْمُهُ فإذا هويتَ لقد لقيتَ هوانًا
وإذا هويتَ لقد تعبدك الهوى فاخضعْ لحبِّك كائنًا من كانا

أُنشِدنا أبو عبد الله الواسطيّ لنفسه :

لم يدر ما بؤسُ الحياة ولينها إلا الذين من الهوى بِمكان
كم من عزيزٍ قد ألمّ به الهوى فأقرَّ بعد كرامةٍ بهوان
ليس الهوى إلا الهوانُ ونونه نُقِصَتْ كِفْعَلُ الزور والبُهتان
لينُ الحياة إذا نظرتَ وبؤسها بين الوصالِ وغيصةِ الهجران
ما العشقُ عندي باختيارٍ إمّا ذاك البلاءُ يتاحُ للإنسان

قال وأنشدني أبو العيناء :

وما كَيْسٌ في الناس يُحَمَّدُ رَأْيَهُ فَيُوجَدُ إِلَّا وَهُوَ في الحبِّ أَحَقُّ (١)
وما من فتى ما ذاق بُؤْسَ معيشَةٍ من الدهر إلا ذاقها حين يعشَقُ

١٨ - باب ما سئل عنه أهل العدى

من تمام خلّات العشق

قال الأصمعيّ لأبي وائل الأضاخى : ما تقول في العشق ؟ فقال : إن لم يكن عَصَاةً من الشجر ، فهو ضربٌ من الجنون ، وأنشأ يقول :

بقلبي شيءٌ لست أعرف وصفه على انه ما كان فهو شديدٌ
تمرُّ به الأيام تسحب ذيلها فتبلى به الأيام وهو جديده
لعمري إن بذلك ما وجب لهم الدعاء ، فصار مفترضاً على الأدباء ، كالقروض اللازم ، والحق الواجب ، الجليل الخطب ، وفادح الأمر .

أخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني الأصمعيّ قال : رأيت أبا السائب المخزومي متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم ارحم العاشقين ، واعطف عليهم قلوب المعشوقين ، بالرفقة والرحمة يا أرحم الراحمين ؛ فقلت : يا أبا السائب ، أفي هذا المقام تقول هذا المقال ؟ فقال : اليك عنى ، الدعاء لهم أفضل من حجة بعمرة ، ثم أنشأ يقول :

يا هجر كُفَّ عن الهوى ودع الهوى للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تزيد من الذين جفونهم قرحى وحشو صدورهم جمر (٢)

(١) الكيس : الظريف ، الفطن .

(٢) القرحة : الجراحة المتقدمة التي اجتمع فيها القيح .

وَسَوَابِقُ الْعِبْرَاتِ فَوْقَ خُدُودِهِمْ هَطَلًا تَلُوحُ كَأَنَّهَا الْقَطْرُ^(١)
صَرَخَى عَلَى جَسْرِ الْهَوَى لِشِقَائِهِمْ بِنُفُوسِهِمْ يَتَلَاعَبُ الدَّهْرُ
قال : وخبرتُ عن الأصمعي أيضا أنه قال : رأيت جارية وهي تقول :

اللهم مالك يوم القضاء ، وخالق الأرض والسماء ، ارحم أهل الهوى
واسنقذهم من عظيم البلاء ، واعطف عليهم قلوب أودائهم بالصفاء ، فانك
سميعُ النجوى ، قريبٌ لمن دعا ، ثم أنشأت تقول :

يَا رَبِّ إِنَّكَ ذُو مَنٍّْ وَمَغْفِرَةٍ بَيْتٌ بِعَافِيَةٍ مِنْكَ الْمُحِبِّينَا
الذاكرين الهوى من بعدما سهرُوا حَتَّى يَظْلَمُوا عَلَى الْأَيْدِي مُكَبِّينَا

فقلت : يا هذه أتغنين وأنت في الطواف ؟ فقالت : إليك عني ، لا يرهبك
الحب ؛ فقلت لها : وما الحب ؟ وأنا به أعرف منها ، فقالت : جل أن يخفي ،
ودق عن أن يرى ، له كمون ككمون النار في الحجر ، إن قدحتهُ أوراك ،
وإن تركته تواري ؛ قال : فتبعتها حتى عرفت منزلها ، فلما كان من الغد جاء
مطر شديد ، فمررت ببابها وهي قاعدة مع أتراب لها زهر^(٢) يقلن لها : لقد
أضرنا بنا المطر ، ولولا ذلك لخرجنا إلى الطواف ، فأنشأت تقول :

قَالُوا أَضُرُّ بِنَا السَّحَابُ بِقَطْرِهِ لَمَّا رَأَوْهُ لَعَبْرَتِي بِحَبِيكِي
لَا تَعْجَبُوا مِمَّا تَرَوْنَ فَإِنَّمَا هَذَا السَّحَابُ لِرَحْمَتِي يَبْكِي
وزعم قوم أنه لا ذنب على أهل الهوى ولا وزر ، وأن خطاياهم
تمحّص عنهم بطول بلائهم ، وكثرة زفرائهم ، وما لقوا من الشقاء بأودائهم
وأخبرني أحمد بن يحيى ، عن عبد الله بن شبيب ، عن رجل ذكره ، قال :

(١) الهطل : المطر الضعيف الداهم . القطر : المطر .

(٢) زهر : مشرقات اللون أو الوجه .

كُنت عند مالك بن أنس ، فأتاه شابٌ فقال : إني قد قلت أبياتاً ذكرتك
فيها فاسمعها ، قال : لا حاجة لي فيها ، فقال لي : أحبُّ أن تفعل ، قال :
هات ، فقال :

سَلُوا مَالِكَ الْمُفْتِيَّ عَنِ اللَّهْوِ وَالصَّبِيِّ وَحُبِّ الْحِسَانِ الْمَغْنِيحَاتِ الْفُؤَاكِ
بِخَبْرِكُمْ أَنِّي مُصِيبٌ وَإِنَّمَا أُسَلِّيُّ هُمُومَ النَّفْسِ عَنِ بِنْدَلِكِ
فَهَلْ فِي حُبِّ يَكْتُمُ الْحَبَّ وَالْهُوَى أَنَامُ وَهَلْ فِي ضَمَّةِ الْمُتَهَالِكِ ؟
فَسَرِّي^(١) عَنِ مَالِكٍ وَقَالَ : لَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَكَانَ ظَنَّ أَنَّهُ هِجَاهٌ .

أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب ، عن عبد الله بن شبيب ، عن شيخ من عاملة ،
قال : مرَّ ابنُ مَرْجَانَةَ الشَّاعِرِ بِسَعِيدِ بْنِ الْمَسِيَّبِ فَقَالَ : هَذَا ابْنُ مَرْجَانَةَ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : هَذَا الَّذِي يَقُولُ :

سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنِ الْمَسِيَّبِ مَفْتِيَّ الْـ مَدِينَةَ هَلْ فِي حُبِّ دَهْمَاءَ مِنْ وَزْرٍ؟^(٢)
فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيَّبِ إِنَّمَا تَلَامُ عَلَيَّ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأَمْرِ
وَاللَّهِ مَا سَأَلَنِي إِنْسَانٌ عَنْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا ، وَلَوْ سَأَلَنِي لِأَجْبِتَ .

قال : وسئل شريك بن عبد الله القاضي عن العشاق ، فقال : أشدهم حباً
أعظمهم أجراً .

وَأُنشِدُنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمُسْلِمُ :
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي ، وَإِنِّي لَسَائِلٌ بِمَكَّةَ أَهْلَ الْعِلْمِ : هَلْ فِي الْهُوَى وَزْرٌ؟
وَهَلْ فِي اكْتِحَالِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ رِيبةٌ إِذَا مَا التَّقَى الْإِلْفَانَ ، لَا بَلَّ بِهِ أَجْرٌ
وَأُنشِدُنِي إِبْرَاهِيمَ الْأَزْدِيَّ لِنَفْسِهِ :

(١) سرى عنه : زال عنه الغضب أو الهم .

(٢) دهماء : اشتد سوادها حتى ذهب البياض . الوزر : الاثم .

ما العشق في الأحرار مستنكرٌ وما على العاشق من وزر
قال وأنشدني الجماش :

إذا قبّل الانسانُ إنسانَ يشتهى ثناياه لم يأثمُ وكان له أجرًا
فان زاد زاد الله في حسناتهٍ مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرًا
وقال سائب راوية كثير : حضرت مع كثير عند ابن أبي عتيق ، فأنشدنا
أبيات ابن قيس الرقييات التي يقول فيها :

خبروني : هل على رجلٍ عاشقٍ في قبلةٍ حرج ؟
فقال كثير : لا إن شاء الله ، ونهض

وأنشدني علي بن العباس بن الرومي :

أيها العاشقُ المعذبُ اضربِ فخطياتُ ذى الهوى مغفورةُ
زفرةٌ في الهوى أحطُّ لذنبٍ من غزاةٍ وحجةٍ مبرورة^(١)
وقال المؤمل ، وأحسن والله في قوله :

صِفْ للأحبة ما لقيت من سهرٍ إن الأحبة لا يدرون ما السهر
حسبُ المحبِّين في الدنيا عذابهمُ والله لا عذبُتهم بعد ما سقرو
وقال الأصمعي : رأيت جارية بالطواف وهي تقول :

لن يقبل الله من معشوقةٍ عملاً يوماً وعاشقها حيرانٌ مهجورُ
وليس يأجرها في قتل عاشقها لكن عاشقها لا شك مأجورُ
فقلت : يا جارية ، أفى هذا المقام ، أما حياءٌ فيردعك ! فأنشأت تقول :

بيضٌ أوانسُ ما همعن بريةٍ كظباءِ مكة صيدهن حرامُ
يُحسبن من اين الكلام زوانياً ويصدهن عن الخنا الاسلام^(٢)

(١) المبرور من الأفعال : ما لا شبهة فيه ولا كذب .

(٢) الخنا : الفحش .

وقد قيل أيضا : إن قتيل الهوى لا قودَ له^(١) ، وإن دماء أهل الهوى تبطل وتهذر
ومن ذلك ما حكى عن ابن عباس أنه أتى بشابٌ محمولٌ قد صار كالشن^(٢)
البالي ، فقيل له : استشف الله لهذا المريض يا ابن عم رسول الله ،
فقال له ابن عباس : ما علمتك يا قتي ؟ فلم يُجِر إليه جوابا ، ثم رفع رأسه ،
وقال بلسان فصيح طليق :

به لوعةٌ لو تشكى الصمُّ مثلها تفتطرتِ الصمُّ الصلابُ وخرتِ
ولو قسمَ الله الذي بي من الهوى على كلِّ نفسٍ حظها ما أبلتِ
ثم خفت خفتهً ، ثم فتح عينيه وهو يقول :

بنا من جوى الحبِّ المبرحِ لوعةٌ تكاد لها نفسُ الشفيقِ تذوبُ
ولكنما أبسقى حُشاشةً ما ترى علي ما به عودٌ هناك صليب^(٣)

فقال ابن عباس : ممن الرجل ؟ فقال : من بني عذرة ، ثم شفق شهقة
فمات ، فقال ابن عباس جلسائه : هل رأيتم وجهها أليق ، ولسانا أذلق من
هذا ؟ هذا والله قتيل الهوى ، لا قودَ له ولا دية ، وإلى أرغب في العافية
مما نرى .

وأُنشد أحمد بن يحيى ثعلب :

إذا هنَّ ساقطنَ الحديثَ لذى الهوى سقوطَ حصي المُرْجانِ من كفِّ ناظمِ
رَمَيْنَ فأصمِينِ القلوبَ فما ترى دَمًا سائلاً إلا جوى في الحيامِ^(٤)
فأىُّ دمٍ لو تعلمينَ جنيدتهِ على الحرِّ جاني غير مثله غيرُ سالمِ

(١) القود : القصاص . (٢) الشن : القرية الخلق .

(٣) الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .

(٤) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه .

أما أنه لو كان غيرك أرقلت إليه القنا بالمرهفات الصوارم^(١)
ولكن وبيت الله ما ظل مسلماً كغز الثنايا واضحات المعاصم^(٢)
وأشدني عبد الله الواسطي لنفسه :

قضى الله في القتلى قصاص دماهم ولكن دماء العاشقين جبار^(٣)
تطل دماء العاشقين وثأرها لدى الحدق المرضى وذلك ثار
قال الأحوص بن محمد الأنصاري ،

ما تذكر الدهر لي سعدى وإن بعدت إلا ترقرق ماء العين فاطرداً
يا للرجال لمقتول بلا ترة لا يأخذون له عقلاً ولا قوداً^(٤)
وحدثني العتزي أبو علي ، عن الزبير بن بكار ، عن محمد بن عبد الله بن
مسلم بن جندب عن أبيه قال : خرجت مع أبي سفيان ، فلقينا نسوة ينظرن
العقيق ، فبين امرأة حسناء العين ، فقال أبي :

ألا يا عباد الله هذا أخوكم قنبلاً فهل فيكم به اليوم ثائر ؟
خذوا بدمي إن مت كل خريدة مريضة طرف العين والجفن ساحر^(٥)
قال : فالتفت إلى امرأة ، فقالت : يا بني احتسب^(٦) أباك واغتم نهيبيك^(٧)

(١) أرقل : أسرع .

(٢) ظل الدم : هدر ، أو لم يثار له .

(٣) جبار : الهدر ، يقال : ذهب دمه جباراً ، أي لم يؤخذ بثأره .

(٤) الترة : الثأر . العقل : الدية .

(٥) الخريدة : من النساء : البكر التي لم تمس قط ، وقيل : هي الحمية الطويلة
السكوت الخافضة الصوت الحفرة المستترة قد جاوزت الاعصار ولم تعنس .

(٦) احتسبه : فقده كبيراً .

(٧) تناهت الإبل الأرض : أخذت بقوائمها منها أخذاً كثيراً ، والمراد : انتهر

سرعة ساقيك وفر .

فان قَتِيلَنَا لَا يُودَى (١) ، وَأَسِيرَنَا لَا يُفْدَى (٢)

وَأَنشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، لَجَرِيرِ بْنِ الْخَطَّافِيِّ :

هَلْ فِي الْغَوَاقِي لِمَنْ قَتَلَنْ مِنْ قَوَدٍ أَوْ مِنْ دِيَاتٍ لِقَتْلِي الْأَعْيُنِ الْخُورِ
تَبِيتَ لَيْلَكَ فِي وَجْدٍ تُخَامِرُهُ كَأَنَّ فِي الْقَلْبِ أَطْرَافَ الْمَسَامِيرِ
مَا كُنْتُ أَوْلَ مُحْزُونٍ أَضْرَبُهُ بِرُوحِ الْهُوْنِيِّ وَعَذَابٍ غَيْرِ تَفْتِيرِ

وقال أيضا :

إِذَا كَحَلَنْ عِيُونًا غَيْرَ مَقْرَفَةٍ رَيْشَنْ نَبْلًا لِأَصْحَابِ الصَّبِيِّ صِيدَا (٣)
مَا بَالُ قِتْلَاكِ لَا تُخَشِينَ طَائِلَهُمْ لَمْ تَضْمَنِي دِيَةَ مَنْهُمْ وَلَا قَوَدَا

وقال عمر بن لجا :

تَرَأَيْتَ كَيْ تَكِيدُكِ أُمَّ خَمْرٍ وَ وَكَيْدُكَ بِالتَّبْرِحِ مَا تَكِيدُ
وَكَيفَ قَتَلْتَنِي يَا أُمَّ عَمْرٍ وَ وَلَا قَوَدٌ عَلَيْكَ وَلَا حُدُودُ

وقال أعرابي ، وما أساء :

أَقَاتَلْتَنِي يَا لِلرِّجَالِ حَيْبِبَةٌ إِلَى بَلَا جُرْمٍ لَدِيهَا وَلَا ذَحَلِ
فَفِيمَ دِمَاءِ الْعَاشِقِينَ مُضَاعَاةً بَلَا قَوَدٍ عِنْدَ الْحِسَانِ وَلَا عَقْلِ

وأحسن والله المؤمل حيث يقول :

إِنِّي قَتَلْتُ بَلَا جُرْمٍ وَقَاتَلْتَنِي يَا قَوْمَ جَارِيَةٍ فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ (٤)

(١) ودى القاتل القتيل : أعطى ديثه .

(٢) فدى الرجل من الأسر : استنقذه بمال أو سواه .

(٣) المقرفة : المتهمه . ريش السهم : لثق عليه الريش .

(٤) حور العين : اشتداد بياض بياضها وسواد سوادها .

لَمَّا رَمَتْ مُهَجَّتِي قَالَتْ لِجَارَتِهَا
قَتَلْتُ شَاعِرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ مَضْرُ
إِنِّي قَتَلْتُ قَتِيلًا مَالَهُ خَطْرُ
فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرْضَى بِذَا مَضْرُ
شَكُوتُ مَا بِي إِلَى هِنْدٍ فَمَا أَكْتَرْتُ
يَا قَلْبَهَا أَحَدِيدٌ أَنْتَ أُمُّ حَجْرٍ
إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِالْحُبِّ فَانْطَلِقِي
إِلَى الْقُبُورِ فَفِيْمَنْ حَلِمَا عِبْرُ

وقد قيل أيضا : إن قتيل الهوى شهيدٌ على ذلك أجمع ، فالله يعلم للأدباء
وأهل العلم والظرف لموجود الأخبار ومُسند الآثار

حدثنا قاسم الزبيدي ، باسناد ذكره عن ابن عباس ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : من تعشَّق فعفَّ فهو شهيد
وقال بشار بن برد العُقيلي :

قُرْبُ دَارِ الْحَبِيبِ قَرَّةٌ عَيْنٍ
إِنَّ مَوْتَ الَّذِي يَمُوتُ مِنْ الْحُبِّ
وَكَأَنَّ الْبِعَادَ فِي الْقَلْبِ تُكَلُّ
بَّ عَفِيفًا لَهُ عَلَى النَّاسِ فَضْلُ
ولبعض المتأدبين :

لَيْتَنِي مَتُّ وَالْهَوَى دَاءٌ قَلْبِي
وَلَقَدْ أَحْسَنَ جَمِيلٌ حَيْثُ يَقُولُ

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً
يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلٌ بَغْزَوَةَ
لِسُكْلِ حَدِيثِ بَيْنَهُنَّ بِشَاشَةَ
بُوَادِي الْقَرْيِ إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
وَأَيُّ جِهَادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيدُ
وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ
وَمَلَحَ الْحَكَمِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَقَدْ كُنَّا رَوِينَا
عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسَيْبِ
عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ
أَنَّ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ

قال من مات مُجِبًّا فَلَهُ أَجْرُ الشَّهَادَةِ
واعلم بأنَّ العشق يحسن بأهل العفّة والوفاء، ويقبح بأهل العهر
والخنس، مع أن الهوى قد فسد وقلّ الوفاء، وكثرت الخيانة والغدر،
واستعمل الناس في العشق شيئًا ليس من سُنَّة الظرف ولا من أخلاق
الظرفاء. وذلك أن أحدهم متى ظفر بحبيبته، وأصاب الغفلة من رقيبته،
لم يعفّ دون طلب المعنى، فهذا فسادُ الحبّ، ودمارُ العشق، وبُطلانُ
الهوى، وتكديرُ الصّفاء.

أنشدني عبد الحميد المملطي :

قد فسد الحبُّ وهان الهوى وصار من يعشِقُ مُستعْجلاً
يريد أن ينكح أحبّابه من قبل أن يسهر أو ينحلاً

ولأحمد بن أبي فَنِّين في مثل ذلك :

أنا لا أبداً بغدٍ أبداً فاذا ما غدِرتُ لم أتُركُ^(١)
واجداً منها بديلاً مثل ما وجَدتُ مني بديلاً لا تشكُّ
أتراني أقعدُ اللَّيْلَ لها ساهراً أطلبُ وصلاً قد هلكُ
وهي فيما تشتهي لاهيةً متٌ إن دارَ بهذينِ فلكُ
كان للناسِ وفاءٌ مرّةً فانقضى وانحلتِ اليومَ التَّكُّ

وحدّثني أبو العيناء قال : حدّثني الجاحظ قال : كتب بعضُ الظرفاء

إلى ملكِ جاريةِ أبي جعفر :

يا مُلكُ قد صرتُ إلى خُطّةٍ وكنتُ فيها منك ذا ضمِّ
يلومني الناسُ على حُبِّكم والناسُ أولى فيك باللومِ

(١) اترك : أهمل ، أغفل .

فكتبت اليه :

إِنَّ تَكُنِ الْعُلْمَةَ هَاجَتْ بِكُمْ فَسَكُنِ الْعُلْمَةَ بِالصَّوْمِ^(١)

ليس بك الشوق ولكننا تدور من هذا على الكوم^(٢)

واعلم أنَّ العشق لا يكون مع الفسق ، ومتى مازج العشق الفسق ضعفت قواه ، وانقصمت^(٣) عراه^(٤) وهم لا يريدون غير الرفث^(٥) ، ويسمونه مسامير الحب ؛ وزعموا أن أسباب الحب لا تتصل إلا به ، ولا يزال مُنحلاً حتى يشدها ذلك ، وينشدون :

العشق داءٌ دوى لا دواء له إلا العناق وإفشاء السريرات

وليس يلتذ طيب العيش من أحد إلا بعضك أو رشف الثنيات

ووضعك الصدر فوق الصدر يجمعه ضمماً إليك على ظهر الحشيمات

وينشدون أيضاً في مثل ذلك :

رأيت الحب ليس له دواء سوى وضع البطون على البطون

وإصاق الثنايا بالثنايا وأخذ بالمناكب والقرون

وقد ناظرت بعضهم مرة من المرر ، فاحتج بخبر ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فاحتجوا بظاهر الخبر ، ولم يفحصوا عن التأويل ، وهذا خلاف ما يفعل أهل الظرف والأدب ، وغير هذا جاء عن العرب .

وقد بلغني عن الأصمعي أنه قال : قلت لأعرابي مرة : ما العشق فيكم ؟

(١) غم غلمة : كان منقادا الشهوة .

(٢) الكوم : الفرج .

(٣) انقصم : انكسر .

(٤) العرى : جمع عروة : ما يوثق به .

(٥) الرفث : التكلم بالفحش .

قال: النظرة بعد النظرة ، وإن كانت القبلة بعد القبلة، فهو الوصول الى الجنة !
فقلت : ليس العشق عندنا كذلك ؛ قال : فما هو عندكم ؟ قلت : تفرق بين
رجليها وتحمل نفسك عليها !! فقال : بأبي أنت ، لست بعاشق ، إنما أنت
طالب ولد .

١٩ - باب ما جاء فيمن تعفف في محبة

ورعى عقود عمود مودته

وما وجدنا أحدا من العرب يفعل ذلك ، ولا صمد نحوه ، وقد كان
الواحد منهم يعشق من أول دهره الى آخره ، لا يحاول فسقا ، ولا يقرب
رفنا ، ولم يكن لهم مراد إلا في النظر ، ولا حظ في غير الاجتماع والمؤانسة ،
والحديث والشعر ، كما قال الفرزدق :

وجدتُ الحبَّ لا يشفيه إلا لِقَاءُ يَقْتُلُ الْعَلْلُ النَّهْلَا
أَحِبُّ مِنَ النِّسَاءِ وَهِنَّ شَيْ حَدِيثَ النَّزْرِ وَالْحَدَقَ الْكِلَالَا
مَوَاقِعَ لِلْجَرَامِ وَكُلَّ نَحْسٍ وَتُبْدِلُ مَا يَكُونُ لَهَا حَلَالَا

وكان الواحد منهم اذا تعلق خلة لم يفارقها حتى الممات ، ولم يشغل
قلبه بغيرها ، ولم يهتم بالسلو عنها ، وقصر طرفه عن سواها ، وكذلك هي
أيضا ، كانت له بتلك المنزلة ، فأَيُّهما هلك صاحبه ، قتل الآخر نفسه
في أثره ، أو عاش حافظا لودّه ، قائما بعهدّه ، لا يفتسي ذكره ، ولا يصل غيره ؛
فاستحسن الناس المملّ والاستبدال ، والغدر والانتقال ، وسار أشدهم ظرفا ،
وأحسنهم إلفا ، يعشق السنين الكثيرة ، والدهور الطويلة ، ويتوهم بفعله
أنّه عاشق ، فاذا فقد حبيبته يوما واحدا استبدل به سواه ، وينشدون في ذلك :

إِفْخَرُ بِآخِرٍ مَنْ بَلَيْتَ بِمُجَبِّهِ لَا خَيْرَ فِي حُبِّ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَتَشْكُ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا سَادَ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلِ
وَأَنَا أBRأ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ شَعْرٍ ظَرِيفٍ ، أَوْ مِنْ فِعْلِ حَصِيفٍ ،
وَلَكِنْ قَدْ أَحْسَنَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيَّ حَيْثُ يَقُولُ :

الْبَيْنُ جَرَّعَنِي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ وَالْبَيْنُ أَشْكَلَنِي وَإِنْ لَمْ أَشْكَلِ (١)
مَا حَسَرْتَنِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي إِذَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلِ (٢)
نَقَلَ فُوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهُوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلِفُهُ الْفَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ التَّنْقَلُ مِنْ حَبِيبٍ أَوَّلٍ إِلَى حَبِيبٍ ثَانٍ بِحَسَنِ ، وَإِنَّمَا الْحَبُّ
مَا أَقَامَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ ، فَلَمْ يَجِدِ التَّخْلَصَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، كَمَا قَالَ جَرِيرُ :

أَخَالِدَ قَدْ هَوَيْتُكَ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيْبَنِي الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ
هُوَى بِتِهَامَةٍ وَهُوَى بِنَجْدٍ فَتُبَلِّينِي التَّهَامُ وَالشُّجُودُ (٣)
وَلَا كَقَوْلِهِ أَيْضًا :

أَحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وَبِالْعَوْرِ حَاجَةٌ فَغَارَ الْهُوَى يَا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدًا
وَلَا كَقَوْلِ الْآخِرِ :

إِنِّي سَأُبْدِي الْحَبَّ فِيمَا أُبْدِي لِي شَجَنَانِ شَجْنٌ بِنَجْدٍ (٤)
وَشَجْنٌ لِي بِبِلَادِ الْهِنْدِ

(١) البين : الفراق . جرعى : سقانى بلعا . الحنظل : نبت مر . أشكلنى : أفقدنى .

(٢) كدت : فرمت . أفضى : أموت .

(٣) تهامة : بلاد جنوبي الحجاز . نجد : قسم من بلاد العرب مرتفع أعلاه تهامة واليمن
وأسفله العراق والشام .

(٤) الشجن : الهم ، الحزن .

ولا كقول الآخر :

هُوَ بِالغُورِ لِي وَهُوَ بِمَجْدٍ فَمَا أُدْرِى أَأُنْجِدُ أَمْ أَغُورُ^(١)
بِكُلِّ حَاجَةٍ وَهُوَ مُقِيمٌ بِقَلْبِكَ قَدْ تَضَمَّنَهُ الضَّمِيرُ
بِشَرْقِيِّ الْعِرَاقِ بِيَابِ عَمْرٍو وَبِالغُورَيْنِ زَيْنَبُ وَالْقَدُورُ
هَذَا وَاللَّهِ مِنْ أَلْفَاظِ الشَّعْرِ أَسْمَحٌ جَدًّا ، وَقَدْ كَذَبَ هَؤُلَاءِ وَأَدَّعُوا
وَجَدًّا ، وَهَلْ يَجْتَمِعُ وَجَدَانِ فِي مَوْضِعٍ ؟ وَلَكِنْ قَدْ أَحْسَنَ جَمِيلٌ ،
حَيْثُ يَقُولُ :

وَقُلْتُ لِنِسْوَانٍ تَعَرَّضْنَ دُونَهَا إِيَّاكَ إِنِّي غَيْرُ كُنٍّ أُرِيدُ
وَحَيْثُ قَالَ أَيْضًا :

وَكَمْ مِنْ بَدِيلٍ قَدْ وَجَدْنَا وَطُرُقَةً فَتَأْتِي عَلَى النَّفْسِ تِلْكَ الطَّرَائِفُ
فَهَذَا هُوَ الصَّادِقُ الْهُوَى ، الْخَالِصُ الْوَفَاءُ ، لَا جَرِيرٌ وَصَاحِبُهُ ، وَلَا
الَّذِي يَقُولُ :

أَرَى ذَا فَأَهْوَاهُ وَأَبْصُرُ غَيْرَهُ فَأَتْرُكُ ذَا ثَمِّ اسْتَبَدَّ بِذَا عِشْقَا
ثُمَّ انُونَ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أُحِبُّهُمْ وَمَا فِي فُؤَادِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُبْقِي
فَصِيحُ اللَّهِ هَذَا اللَّفْظُ لَفْظًا ، وَلَا أُعْطِيَ قَائِلُهُ حِطًّا ، فَلَيْسَ مِنْ شَعْرِ وَامِقٍ^(٢)

بَلْ هُوَ مِنْ فَعْلٍ مُمَاذِقٍ^(٣) ، وَلَا وَاللَّهِ مَا التَّنْقِيلُ مِنْ شَأْنِ الْأَدْبَاءِ ، وَلَا الْاسْتِبْدَالُ
مِنْ فَعْلِ الظَّرْفَاءِ ، وَإِنَّمَا الْهُوَى مَا حَسُنَ سِرِّيْرَتُهُ ، وَهِيَهَاتَ أَنْ ذُو الْوَدَادِ
الْخَالِصُ ، وَالصَّفَاءُ الدَّائِمُ ، وَالْحُبُّ الْإِلَازِمُ ، وَذُو الْحِفَاظِ ، وَرِعَاةُ الْعَمُودِ ،
وَالْمَتَمَسِّكُونَ بِالْوَفَاءِ ، وَالرَّاعِبُونَ فِي صَحِيحِ الْإِخَاءِ إِلَيْكَ ، فَقَدْ تَنَقَّضَتْ وَثَائِقُ

(١) الغور : ما انحدر واطمأن من الأرض . والنجد : ما أشرف من الأرض وارتفع .

(٢) الوامق : المحب . (٣) المماذق : من كان وده غير خالص .

الحب ، وانقصمت عُرَى الهوى ، وتقطعت أسباب العشق ، وتكدّر صافي المودّة ، والناس كما قال الشاعر :

قَلَّ النَّقَاتُ فَمَا أَدْرَى بَيْنَ أَثِقُ لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ إِلَّا الزُّورُ وَالْمَلَقُ
وإنَّ الغدر في النساء طبع ، والمطل منهنّ غريزة ؛ وهو في النساء أكثر منه في الرجال ، فقد أنشدني بعض الأدباء :

وَكُنَّا جَعَلْنَا اللَّهَ شَاهِدًا بَيْنَنَا وفي الله بين المسلمين شهيداً (١)
فَحَسِبْتُ بَعْدَ اللَّهِ لَوْ تَعَلَّمْنَاهُ وفيكنّ من ليست لهنّ عهد (٢)

واعلم أنّهنّ لا عهد لهنّ ، ولا وفاء لجهنّ ، ولا دوام لودهنّ ؛ وإنّ أقرب ما روى عن غدرهنّ ، ما حدثني ابن أبي خيثمة ، عن شيوخه : أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت عند ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأحبها حباً شديداً شغلته عن تجارته ، فأمره أبو بكر فطلقها ، ثم اطّلع (٣) عليه وهو يقول :

فَلَمْ أَرَ مِثْلِي طَلَقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا ولا مثلها في غير جرمٍ تطلق
لَهَا خَلْقٌ سَهْلٌ وَحُسْنٌ وَمَنْصِبٌ وَخَلَقٌ سَوِيٌّ مَا يُعَابُ وَمَنْطِقٌ
أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَخْفِي النَّفُوسُ مَعْلِقٌ
أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وما لاح نجمٌ في السماءِ مُحَلِّقٌ

فرقّ عليه أبو بكر ، وأمره فراجعها ، فقال لما رجعت إليه :

أَعَاتِكَ قَدْ طَلَّقْتِ مِنْ غَيْرِ بَغْضَةٍ وروجتِ للامر الذي هو كائن
كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَادٍ وَرَائِحٌ على النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَايُنٌ (٤)

(٢) خاس بالوعد : نكح وغدر .

(٤) باينه : هاجره

(١) البين : الصداقة .

(٣) اطّلع عليه : أتاه فجأة .

وما زال قلبي للتفرُّق بائنٌ
فقلبي لما قد قرب الله ساكنٌ
لِينْهِكَ أَنِي لَمْ أَجِدْ مِنْكَ سَخِطَةً
وَأَنَّكَ قَدْ جَلَّتْ عَلَيْكَ الْمَحَاسِنُ
وَأَنَّكَ مِمَّنْ زَيْنَ اللَّهُ أَمْرَهَا
وَلَيْسَ لِمَا قَد زَيْنَ اللَّهُ شَأْنٌ
فلم تزل عنده حتى قتل يوم الطائف، رمى بسهم فمات، فجزعت عليه
جزعا شديدا، وقالت ترثيه:

أَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي حَزِينَةً
عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ قَتَى
أَشَدَّ وَأَحْمَى فِي الْهِيَاجِ وَأَضْبَرَا
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الْأَسْتَةَ خَاضَهَا
إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرَّمْحَ أَشْقَرَا
ثم خطبها عمر بن الخطاب فزوجها، فأولم عليها ودعا أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم، قال: فقال له علي بن أبي طالب: إيذن لي لأدخل
رأسى إلى عائكة أكلمها، قال: افعل، فأدخل رأسه إليها فقال، يا عديبة
نفسها، أهكذا كان قولك:

أَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِينَةً
عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا
فَبَكَتْ، فقال له عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن، فغفر الله لك، إنهن
يفعلن هذا؟ قال: أردت أن أعلمها أنها لا عهد لهن؛ فسكت عنده حتى
قتل عنها، قتله أبو لؤلؤة، فقالت ترثيه:

عَيْنِ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَحِيبِ
فَجَعَتْنِي الْمَنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُعَةِ
لَا تَمَلِّي عَلَيَّ أَمِيرَ النَّجِيبِ
لَمْ يَوْمَ الْهِيَاجِ وَالتَّائِيبِ
عِصْمَةُ اللَّهِ وَالْمَعِينُ عَلَى الدَّهْرِ
رَغِيصَاتُ الْمَلْهُوفِ وَالْمَكْرُوبِ
قُلْ لِأَهْلِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرِّ مَوْتُوا
قَدْ سَقَتَهُ الْمَنُونُ أُمَّ الرُّقُوبِ

ثم تزوجها الزبير بن العوام ، فمكثت عنده حتى قتل عنها ، منصرفا من
الجل بوادي السباع ، قتله ابن جرْموز ، فرثته ، وفيه تقول :

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسِ بَهْمَةٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ^(١)
يَاعْمُرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لَا طَائِشًا زَغَبَ الْجِنَانِ وَلَا أَيْدٍ
نَكَاتِكَ أُمَّكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

نخطبها على بن أبي طالب ، فبعثت اليه : إني لأضن بك عن القتل ، وإنما
استحييت فامتنع ، وقد تزوجت باثنين من بعد قولها :

أَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكْ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكْ جِلْدِي أَغْبِرًا
قال : وحدثنى أبو الفضل الربعي ، قال : حدثني أبو ربيعة العامري الكوفي ،

قال : حدثني علي بن عمرو الأنصاري قال : دخلت المدلة البكرية زوجة المغيرة
ابن أبي ضمام البكري ، وكان يحبها حبًّا شديدًا ، على المغيرة بن أبي عقيل ،
تخاصم في بعض أمورها ، فلما خرجت المدلة ، قال : أنت الذي يقول فيك المعذل :

قُلْ لِلْمُدَلَّةِ طَالَ ذَا التَّعْدِيدِ فَدَعِ التَّعَلُّلَ وَالْمِطَالَ قَلِيلًا
ويزيدها حلَى النساءِ مَلَا حَةَ ويزيد ذلك بعضهن خُبُولًا ؟

قالت : نعم ، قال : فلم تزوجت بعده ، أف لكن ؟ قالت : أتمصِفُ ،
ما كنتُ بديًّا ، وما كنتُ بديًّا !! فضحك منها وأمرها بالانصراف .

وروي أن امرأة من نساء العرب تزوجت رجلا من خثعم ، فوجد كل
واحد منهما بصاحبه وجدا شديدا ، وأنهما تحالفا ألا يتزوج أحدهما بعد
صاحبه ، فمات قبلها ، فتزوجت ، فلامها بعض أهلها ، وقالوا : أين ما كنتِ

(١) البهمة : الشجاع . عرد : هرب .

تجدين به ؟ فأنشأت تقول :

وقد كان حُبِّي ذاك حُبًّا مبرِّحًا وحيِّي لِنَا ، إذ مات ذاك ، شديدُ

وكان هوايَ عند ذاك صِبا بةً وحيِّي لِنَا طُول الحِياةِ يَزِيدُ

فلَمَّا مضى عادت لهذا مودَّتِي كذاك الهوى بعد الذَّهابِ يَعُودُ

وقال صالح بن حسان : لما احتضِرَ حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه ، كانت فاطمة بنت حسن بن علي جالسة عند رأسه تبكي ، فقال :

ما يُبكيك ؟ قالت : علي فراقك ابن عمِّ ، قال : مه ما صنعتِ ، فإيَّاك أن

تمسكحي عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وقد علم أن أحدا لا يجترئ على خطبتها

غيره ، قالت : ما كنت لأفعل ؛ وهلك وله منها عبد الله بن حسن و ابراهيم

ابن حسن ، فلما انقضت عدتها دعت مولاة لها يقال لها زير ، فقالت :

إيتي عبد الله بن عمرو فقولي له : أعرنا بخلتك الشهباء برحالتها ، فإنني

قد أردت أن أسير الى بعض أموال ولدي بالعالية ، فأنته فقال : يا زير

إلو كان لي إلى مولاتك سبيل ؟ ارحلوا لها البغلة ، فلما جاءت قالت : هل

لقيته ؟ قالت : نعم ، قالت : فما قالت لك ؟ قالت : قال : لو كان لي إلى مولاتك

سبيل ؟ قالت : ويالك ، وأين المذهب عنه ! فرجعت زير فدخلت عليه

وأعلمته ، فأرسل اليها فخطبها فزوجته ، وولدت له الهيثم ومحمد ورُقبة

وكان لها من الحسن ثلاثة ومن عبد الله ثلاثة .

وروي عن سهاك بن حرب انه قال : كانت العرب تقول : لم تنه امرأة

قط عن رجل إلا تزوجته .

وقال ابن عباس : حدثني شيخ من بني ضبة قال : كان رجل مناظريفا

شريفنا احتضر ، فبينما هو يهود بنفسه وبني له يسمي مَعْمَر يدب بين يديه ،

فنظر اليه وبكى ، ثم التفت الى امرأته فقال يا هذه :

إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ فَتَسْكِحَنِي وَيُقَذِّفَنِي فِي أَيْدِي الْمَرَّاضِعِ مَعْمَرٌ
فَخَالَتْ سَتُورٌ بَعْدَهُ وَوَلِيدَةٌ وَأَشْغَلَهُمْ عَنْهُ نَحُورٌ وَمِجْمَرٌ (١)

قالت : ما كنت فاعلةً ، قال الشيخ : فوالله ما انقضت عنها عدتها حتى
تزوجت بشاب من الحى ، ورأيت معمرًا كما وصف
قال : وأنشدنى بعض الشعراء :

إِنَّ مَنْ غَرَّهُ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُورٌ
كُلُّ أُنْثَى وَإِنْ بَدَأَ لَكَ مِنْهَا غَايَةُ الْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورٌ (٢)

وإن الوفاء فيهنّ عزيز غير موجود ، والله لأن كان كذلك ، وعرفن
بذلك ، ففي الرجال من هو أكثر منهنّ غدراً ، وأسرع منهنّ ختراً ، وأسمح
منهنّ تنقلاً ، وأقبح منهنّ تبديلاً

خُبرْتُ عن الأصمعيّ قال : كان رجل من الأعراب يُظهِرُ الوجد لأمراته ،
والحبُّ لها ، وكانت تُظهِرُ له مثل ذلك ، فتعاهدا ألا يتزوج منهما الباقي بعد
صاحبه ، فاخترمت (٣) المرأة قبله ، فخطب الرجل امرأة من يومه ذلك ، فقيل له :
أتخطب بعد يمينك وعهدك ؟ فقال :

خَطَبْتُ كَمَا لَوْ كُنْتُ قَدْ مَتُّ قَبْلَهَا لَسَكَانَتْ بِلَا شَكٍّ لِأَوَّلِ خَاطِبٍ
إِذَا غَابَ بَعْلٌ كَانَ بَعْلٌ مَكَانَهُ وَلَا بَدَّ مِنْ آتٍ وَآخَرَ ذَاهِبٍ

(١) المجرم : ما يوضع فيه النار المتقدة .

(٢) خيتعور : كل شيء يتلون ولا يدوم على حال ، والخيتعور : الغادر ، وقيل الذئب ،
سمى بذلك لأنه لا عهد له ولا وفاء ؛ وامرأة خيتعور : لا يدوم ودها ، مشبهة بذلك ؛
ويروى البيت :

كُلُّ أُنْثَى وَإِنْ بَدَأَ لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورٌ
وَالغَايَةُ : النِّهَايَةُ . وَالآيَةُ : العَلَامَةُ .
(٣) اخترمت : ماتت .

وخبرت أن بعض ولاية العهود كانت له جارية ، فكان يظهر الميل إليها ،
والاستهتار بحبها ، وكان يقول لها : إذا أفضت الخلافة إليه أن يفضلها على
نساته ، ويقدمها في البرّ والكرامة عليهن ، فلما بلغ من ذلك أمله ، جفاها
وأطرحها وقلّاه^(١) ، فكتبت إليه :

أَيْنَ ذَلِكَ الْوُدُّ وَالْقَبُولُ وَأَيْنَ مَا كُنْتَ لَنَا تَقُولُ ؟

فكتبت إليها :

قد قال في أشعاره لبيدُ يا حَبْدًا الطَّارِفُ والتَّلِيدُ

فعلبت أنه لا حاجة له فيها

فهذا في القبح يتجاوز غدر النساء ، ويعلو على كثير من جنائيات الإماء ،
وإنهنّ والله - على ما فيهن من الغدر والخيانة والشر - لربما عشقن فاشتهرن ،
ووفين فأحسنّ

وإنّ من حسن ما بلغ من وفائهنّ : ما صنعتته ابنة الفرافصة مع عثمان بن
عفان رضي الله عنه ، وكان من قصتها أن سعيد بن العاص تزوج هند ابنة
الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حصن بن ضمضم بن
عدي بن جناب الكلبية ، فبلغ ذلك عثمان بن عفان ، فكتب إلى سعيد :
أمّا بعدُ ، فقد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب ، فكتب الي بنسبها وجمالها ،
فكتب اليه سعيد : أمّا بعدُ ، أمّا نسبها فهي ابنة الفرافصة بن الأحوص ،
وأمّا جمالها فيبضاء مديدة ، والسلام : فكتب إليه عثمان : إن كانت لها أخت
فزوجنيها ، فبعث سعيد إلى أبيها فخطب إليه إحدى بناته على عثمان ، فقال
الفرافصة لابن له يدعى ضبّا ، وكان قد أسلم وأبوه نصراني : يا بُنَيَّ زَوِّجْ

(١) أطرحها : أبعدها . قلّاه : أبغضها .

عثمان بن عفان أختك ، فزوجه ؛ فلما أراد حملها ، قال لها أبوها : أى بُرمة ،
إنك ستقدمين على نساء قريش ، وهن أقدر على الطيب منك ، فاحفظي عنى
اثنتين ، تكحلي وتطبي بالماء ، حتى تكون ريحك كريح الشباب المطهرين ؛
فلما حلت شق عليها الغربة ، واشتاقت إلى أهلها ، فقالت :

أَلست ترى يا ضَبُّ بالله أننى مُصاحبةٌ نحو المدينة أركباً
إذا قطعوا خرقاً تخبُّ ركابها كما زعزت ريحُ برأءٍ مقصباً
لقد كان فى أبناءِ حصنِ بنِ ضمضمٍ لك الويلُ ما يُغنى الخباءَ المُطنباً^(١)

فلما قدمت على عثمان بن عفان ، قعد على سرير ، وألقى لها سريراً حياها ،
فجلست عليه ، ورفع العمامة عن رأسه فبدا الصلع ، فقال : يا ابنة الفرافصة
لا يهولتُك ما ترين من الصلع ، فإن من ورائه ما تحبين ، قالت : إني لمن
نسوة أحب بعولتهنَّ إليهنَّ الكهول البيض السادة ، فقال : إماماً أن تقومين
إلى ، وإماماً أن أقوم إليك ، فقالت : ما تجشمتُ من كراهة جنبات السماوة
أبعدُ ممَّا بينى وبينك ، ثم قامت إليه فجلست إلى جانبه ، فمسح رأسها ، ودعا
بالبركة ، وقال : اطرحي عنك خمارك ، فطرحته ، ثم قال : اخلعي درعك
فخلعته ، ثم قال : حُلِّي ازارك ، فقالت : ذاك إليك ، فخله ، فكانت من أحظى
نساءه عنده ؛ فلما كان يوم الدار أهوى رجل إلى عثمان بالسيف ، فألقت
نفسها عليه ، فضرب عجزتها ، وكانت من أعظم النساء عجيذة ، فقالت : أشهد
أنك فاسق ، لم تأت غضباً لله ولا لرسوله ، فأهوى إليها بالسيف ليضربها ،
فأثقتها بيدها فقطع أصبعين من أصابعها ، فلما قتل عثمان ، قالت فيه ترثيه :

ألا إن خير الناس بعد نبيِّه قتيلُ التجوِّبيِّ الذى جاء من مِصرِ

(١) طناب البيت : شيده بالأطناب ، والأطناب جمع طناب ، وهو جبل طويل يشد به
سرادق البيت .

ومالٍ لا أبكى وتبكي قرأتي وقد ذهبت عنا فضول أبي عمرو
فبعث معاوية بعد ذلك يخطبها ، فنزعت ثيبتها العليا ، وقالت : أذات
عروس هذا ، فهذا الله حسن من وفاء النساء
وقد تقدم ذكر جماعة من أهل الوفاء اللاتي قتلن أنفسهن أثر
متعشقين ، أغنى عن كثير من أخبارهن
وقد روى أيضا عن أبي حدررد الأسلمي قال : نشأ فينا غلام يقال له
عبد الله بن علقمة ، فعلق جارية منا يقال لها حبيشة ، لم تكن من فخذ^(١)
وكان يتحدث إليها كثيرا ، فخرج ذات يوم من عندها فنظر إلى ظبية على
راية ، فالتفت إلى أمه وهو يقول :

يا أمي خبريني ، غير كاذبة وما يريد مسؤل الخبر بالكذب
حبيش أحسن ، أم ظبي براية لابل حبيشة من ظبي ومن ذهب

ثم انصرف من عندها مرة أخرى ، فأصابته السماء ، فأنشأ يقول :
وما أدري إذا أبصرت يوما أصوب القطر أحسن أم حبيش^(٢)
حبيشة والذي خلق الهدايا على أن ليس عند حبيش عيش

فلما سمع بذلك قومه ، قالوا لأمه : هذا غلام يتيم لامال عنده ، وآل تلك
يرغبون عنكم ، فانظري له بعض نساء قومه ، لعله يسلي عنها ، فزوجته جارية
ذات جمال وكال ، وزينتها بأحسن زينة ، وأقامتها بين يديه ، فلما نظر إليها
قال : مرعي ولا كالسعدان ، فذهبت كلبته مشلا ، والسعدان نبت يراعاه ابل
الملوك ، فعملوا أنه لا ينصرف عن هواها ، فتواعدوا حبيشة ، وقالوا : إذا جاء
فأعرضي عنه وتجهمي^(٣) بالكلام رجاء أن ينصرف بعض الانصراف ، فلما

(١) الفخذ : حى الرجل . (٢) الصوب والقطر : المطر

(٣) تجهمه : استقبله بوجه عبوس

رأها لم تستطع أن تفعل ما أمرت به ، غير أنها جعلت تنظر إليه وتبكي ، فعلم بقصتها ، فانصرف وهو يقول :

وما كان حبي عن نوال بذلته فليس بمسليه التجهم والهجر
سوى أن دأى منك داء مودّة قديماً ولم يمزج كما مزج الخمر
وما أنس ملاءشياء لا أنس دمعها ونظرها حتى يغيبني القبر

ثم مكثا على حالهما وطول وجدهما إلى أن وافتهما خيل خالد بن الوليد يوم الغميصاء ، فأخذاً فيمن أخذ من الأسرى ، فأوثقاً رباطاً ، وهذا حديث مشتهر قد رواه محمد بن حميد الخراساني عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق ، وحاكاه المدائني عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة الثقفي ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن أبي حدرد الأسلمي ، عن أبيه قال : كنت يوم الغميصاء ، وهو يوم بنى جذيمة ، في خيل خالد بن الوليد المخزومي ، حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل وأسر ، فقال لي قى منهم ، وقد جمعت يدها إلى عنقه ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا قى ، هل أنت أخذ بزمام ناقتي فقائدي الى هؤلاء النسوة فأقضى اليهن حاجة ، ثم ترى بعد ذلك ما بدا لك ؟ قلت : يسير ما سألت ، فألحقته بهن ، فوقف عليهن فقال : اسلمي حبيلش على نفاذ العيش .

قلت : وأنت فاسلم سمعت سقاك ربّي الغيث ، ثم قالت : وأنت فحييت عشراً وسبعاً وترّاً وثمانياً تترى ^(١) فقال الفتى :

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بجلية أو ألفتكم بالخوايق
ألم يك حقاً أن ينول عاشق يكلف إدلاج السرى والودائق ^(٢)

(١) تترى ؛ أصلها وترى ، ومعناها بجى الواحد بعد الآخر .

(٢) أدج : سار من أول الليل أو في آخره . السرى : السير ليلاً . الودائق : جمع

الوديقة : شدة الحر .

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قَلْتُ إِذْ نَحْنُ جَبْرَةٌ
أُثِيبِي بُوْدَّ قَبْلَ أَنْ يَشْحَطَ النَّوَى
وَيَنْسَى عَدُوًّا بِالْحَبِّ الْمُفَارِقِ (٢)
فَإِنِّي مَا ضَعِيعَتُ سِرًّا أَمَانَةً
وَلَا رَاقَ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَاتِقُ
عَلَى أَنْ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ (٣)
عَنِ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقُ (٣)

ثم بكى وبكت ، ثم أنشأ يقول :

فَإِنْ يَقْتُلُونِي يَا حُبَيْشُ فَلَمْ يَدَعْ
هُوَكَ لَهْمٍ مِنِّي سِوَى غَلَّةِ الصَّدْرِ
وَأَنْتِ الَّتِي أَنْحَلْتِ جِلْدِي عَلَى دَمِي
وَعَظْمِي وَأَسْبَلْتِ الدَّمْعَ عَلَى النَّخْرِ
ثم انصرفتُ به فضربت عنقه ، فنظرتُ إليه فأقبلت حتى أكببت عليه .

وقد فعلت مثل ذلك عفراء بنت عقال بعروة بن حزام لما بلغها موته ،
استأذنت من زوجها في زيارة قبره ، فخرجت في نسوة لها حتى وبرت قبره ،
فلما رآته من بعيد صرخت ثم دنت فرمت بنفسها عن راحلتها ، ثم جعلت
تبكي وتشهق إلى أن نخذ صوتها ، فدنوا منها فوجدوها ميتة ، فدفتت إلى جانبه .
وروى الأصمعي أيضا قال : خرجت أريد بعض أحياء العرب فجئني
الليل (٤) ، وبت في جبان ، وتوسدتُ قبراً ، فسمعت في الليل من القبر
قائلاً يقول :

أَنْعَمَ اللَّهُ بِالْخَيْالَيْنِ عَيْنَا
وَبَسْرَاكِ يَا سَعَادُ إِلَيْنَا
وَحَشَّةٌ مَا لَقِيتُ مِنْ خَلَلِ الْقَبْرِ
رِ عَسَى أَنْ أُرَاكِ أَوْ أَنْ تَرَيْنَا
فَأرقت له ليلتي ، فلما أصبحت دخلتُ الحي ، فاذا بجنازة قد أُقبل بها ،

(١) الصفائق والصوائق : الحوادث .

(٢) شحط المكان : بعد .

(٣) توامق الرجلان : تحابا .

(٤) جن الليل : أظلم .

فَسَأَلْتُ عَنْهَا فَقِيلَ : هَذِهِ سَعَادٌ كَانَتْ تَحِبُّ ابْنَ عَمِّهَا ، وَانَّهُمَا تَعَاقَدَا عَلَى الْوَفَاءِ ، فَهَلْكَ قَبْلَهَا ، فَلَمْ تَزَلْ تَبْكِي عَلَيْهِ ، فَهَا هِيَ قَدْ لَحِقَتْ بِهِ ، فَتَبِعْتَهُمْ حَتَّى دَفِنْتُ إِلَى جَانِبِ الْقَبْرِ الَّذِي بَتُّ عِنْدَهُ ، وَإِذَا هُوَ قَبْرُ ابْنِ عَمِّهَا ، فَخَبَّرْتَهُمْ بِمَا سَمِعْتُ وَانصرفتُ .

وَرَوَى أَنَّ مَالِكَ بْنَ عَمْرٍو وَالْغَسَّانِي تَزَوَّجَا ابْنَةَ عَمِّ لِلنَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرِ الْأَنْصَارِيِّ ، فَأَحَبَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، وَكَانَ شَجَاعًا بَطْلًا مَقْدَامًا ، فَعَهَدَتْ إِلَيْهِ الْأَيَّامُ حَرْبًا ، ثُمَّ أَنَّهُ غَدَا فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَطَعَنَ ، فَقَالَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي عَنْ غَزَالِ تَرْكِيئِهِ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ مَيْتِي كَيْفَ يَصْنَعُ
أَيَلْبَسُ أَثْوَابَ الْحِدَاكِ تَفْجَعًا عَلَى مَالِكٍ أَمْ فِيهِ لِلْبَعْلِ مَطْمَعُ^(١)
فَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْمُؤَخَّرَ بَعْدَهُ لَمَا بَرَحْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ تَقْطَعُ
فَلَمَّا أَتَاهَا خَبَرَهُ اسْتَمْسَكَ لِسَانُهَا حَوْلًا ، فَقَالَ رَهْطَهَا وَعَشِيرَتَهَا : أَلَوْ زَوَّجْتُمُوهَا غَيْرَهُ ، لَعَلَّهَا تَسْلَى وَتُفِيقُ ؟ فَزَوَّجُوهَا رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، فَسَاقَ إِلَيْهَا هَدِيَّةَ عَظِيمَةِ الْقَدْرِ ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ بِنَائِهِ بِهَا أَخَذَتْ بَعْضَادَتِي الْبَابَ^(٢) ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

يَقُولُ رَجُلٌ : زَوَّجُوهَا لَعَلَّهَا تُفِيقُ وَتَرْضَى بَعْدَهُ بِحَمْلِي
فَأُخْضِرْتُ فِي النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهُ رَجَاءُهَا وَالصَّدْقُ أَفْضَلُ قِيلِ
أَبْعَدُ ابْنَ عَمْرٍو سَيِّدِ الْقَوْمِ مَالِكٍ أُرْفُ إِلَى زَوْجِ بَعْضَبِ كَلِيلِ^(٣)

(١) تفجع : توجع .

(٢) عضادتا الباب : خشبته من جانبيه .

(٣) العضب : السيف . الكليل : الذي لا يقطع .

وخبرني أصحابه أن مالكا
خفيفٌ على العلاتِ غيرٌ ثَقِيلٍ^(١)
وخبرني أصحابه أن مالكا
ضروبٌ بماضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلٍ^(٢)
وخبرني أصحابه أن مالكا
جوادٌ بما في الرَّحْلِ غيرٌ بَخِيلٍ
وخبرني أصحابه أن مالكا
ثَوِيٌّ وَتُنَادِي صَخْبٌ بِرَحِيلٍ
فما كان يشربني خليلي بخلة
وما كنتُ أُشْرِي مالكا بخليلٍ
فقال لها بعلمها : ارجعي الى أهلك ، ولك كل ما سقتُ إليك ، مثلك
فليتزوج الرجال .

ومن حسنٍ وفاهنٍ أيضا ، ما رواه الهيثم بن عدي ، فإنه كان في
بنى عامر بن صعصعة امرأة توفى عنها زوجها . ولها ابنا عم ، فصارا إلى
بعض شيوخهم ، فقالا له : فلانة جارية شابة ، والقالة^(٣) إلى مثلها سريعة ،
فوجه اليها فلتحضر ، وأعرض عليها أيضا أهوى اليها ، حتى يتزوجها ، فوجه
الشيخ اليها فأتته ، فعرض عليها مقاتلتهما ، فأطرقت مليا تمكت الأرض حتى
حفرت فيها حفيرةً وملاؤها من دموعها ، وكان زوجها دُفن بمقبرة تدعى
بحوضي ، فالتفت الى ابني عمها وأنشأت تقول :

فإن تسألاني عن هواي فإنه
رهينٌ بحوضي أيها الفتيان
وإن تسألاني عن هواي فإنه
رهينٌ له بالحُبِّ يا رجُلانِ
وإنني لأستحجيه والموت دوننا
كما كنتُ أستحجيه حين يراني
أهابك إجلالا وإن كنت في الثرى
لوجهك يوما أن يسؤك مكاني

(١) العلات : الحالات والشؤون المختلفة .
(٢) الشفرة : حد السيف .
(٣) القالة : ما يتدعه الناس كذبا .

وقامت فانصرفت ، فقال : قد رأيتما وسمعتما ، فانصرفا وقد يئسا ، ثم لقيها يوما في المقابر وعليها مصبغات^(١) وحلي وحلل ، فقال أحدهما لصاحبه : ماترى فى أى زى خرجت ، والله ما أراها الامتعرضة^(٢) للرجال ، هلم فلننظر ما تصنع ، ففقر بما منها ، فأتمت القبر فالتزمته ، ثم أنشأت تقول :

يا صاحب القبر يا من كان يُؤنسى وكان يُحسِنُ فى الدنيا مؤاتاتى
أزورُ قبرك فى حلى وفى حلل كأنتى لست من أهل المصيبات
أنت ما كنت من قربنى تحبُّ وما قد كان يُلميك فى ألوان لذاتى
ومن يراكنى يرى عبرى مفاجعة طويلة الحزن فى زوار أهوات
ثم شهقت فهات :

ومثل هذا وأشباهه من الوفاء قليل فى النساء ، وهو من وفأهنَّ عجب ، والغدر عليهنَّ أغلب ، إذ على ذلك طبع خلقهنَّ ، وعليه جعلت بنيتهنَّ ، وسأصف لك جملة من مكرهنَّ ، لتقف به على غدرهنَّ إن شاء الله ولا قوة إلا بالله

آخر الجزء الأول من كتاب الموشى

من أجزاء أبى الطيب بن الوشاء

والحمد لله كثيرا وصلواته على محمد نبيه وآله وسلامه

وحسبى الله ونعم الوكيل

(يتلوه الجزء الثانى من كتاب الموشى)

(١) مصبغات : أثواب ملونة .

(٢) تعرض للشئ : تصدى له وطلبه .

أجزء الثاني
من كتاب الموشى

تأليف

أبى الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشاء

رحمة الله عليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، الحمد لله رب العالمين ، وسلام على عباده الذين اصطفى
(أما بعد) فإنه قد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب أشياء من عيون فنون الأدب ، يرغب فيها ذوو الحِجَى ، وينتهي إليها ذوو النهسى ، وقد مضى من الجدِّ عدة أبواب ، فيها تقنع لذوى الألباب ، ولا بد من خلطها بشيء من الهزل ، إذ في ذلك ترويحٌ لقلوب ذوى العقل ، وآخر ما ذكرنا في الجزء الأول ذكر الوَفِيَّاتِ من النساء ، وأنا أتبعه في هذا الجزء بباب ذكر ذوات الغدر من الاماء ، ثم أصله بها يتصل ، وأفضله من حيث يفصل ، إن شاء الله وبه القوة .

٢٠ - باب صفه ذم القيان

ونفوذ حيلتهن في الفتيان

إعلم أنه لم يُبْثَلْ أحد من أهل المروءات والأدب ، وأهل النظر والأرب ، ولا امتحن سرأة^(١) الفتيان ببليّة ، هي أعظم من هوى القيان^(٢) ، لأن حبهن حب كاذوب ، وعشقن عشق مشوب^(٣) ، وهواهن منسوب إلى الملل ، ليس بثابت ولا متصل ، وإنما هو لطمع وعرض^(٤) ، وهن سرّيعات الغرض ، يُستدلّ على ذلك بأفعالهن الرديّة ، وأخلاقهن السيئة ، وأنهن لن

(١) السراة : جمع السرى : صاحب الشرف والمروءة والسخاء

(٢) القيان : جمع القينة : الأمة ، المغنية ، الماشطة

(٣) المشوب : المخلوط

(٤) العرض : المتاع ، العطاء

يقصدن إلا أهل النَّشَب^(١) ، ويصدقن^(٢) عن ذوى الحَسَب ، وأنَّ محبتهم تظهر
ما ظهرت علاماتُ اليسار والمال ، وتنقل عند الافلاس والاقلال ، وليس
إظهارهنَّ للحبَّة مما ينعقد عليه منهنَّ ذوو الآداب ، ولا بما يندفع به لهنَّ
ذوو الالباب ، وكلُّ ذلك منهنَّ غرور ، وخداع وزور ، ولا مرجع له
ولا محصول ، وإنما أمرهنَّ عند ذوى الجهالة مجحول ، وما رأيتُ لكثير من
الادباء الذين سلكوا سبيل التشبيب بالنساء ، رغبةً في تعشُّق الاماء ، وقد
أنشدنى بعض الظرفاء :

ليس عِشْقُ الاماءِ من شَكْلِ مثلى إنما يَعشُقُ الاماءِ العبيدُ
صِلْ إذا ما وصلتَ حرَّةَ قومٍ قد حماها آباؤها والجودُ
ومن أدلَّ الاشياء على خبيث سرائر الاماء ، أن الواحدة منهنَّ إذا رأت
فى مجلسٍ فنى له غنى وكثرة مال ، ويسار وحُسنُ حال ، مالت إليه لتخدعه ،
وأقبلت عليه لتصرعه ، ومنجته نظرها ، وأبدته بصرها ، وغمزته بطرفها ،
وأشارت إليه بكفها ، وغنَّت على كاساته ، ومالت إلى مرضاته ، وشربت من
فضلة كأسه ، وأومات إلى تقبيل رأسه ، حتى توقع المسكين فى حبالها ،
وترهقه باحتيالها ، وتعلق قلبه بحبها ، وتطمعه فى قربها ، وتحويه بلطف تلقها ،
وتستبيه^(٣) ببديع تقنعها ، وبالمسكر والخداع ، وتطلبها للاجتماع ، وتباكيها
لفرقتها ، وتحازنها عند رَوْحته ، ثم ترسل إليه بالرُّسل ، وتُعاديها بالختل^(٤)
وتُخبره عن سهرها ، وتُنبئُه عن فكرها ، وتشكو إليه القلق ، وتُخبره بالارق ،

(١) النَّشَب : العقار

(٢) صدق عن الشيء : ارتد وانصرف

(٣) تستبيه : تأسره

(٤) الختل : الخداع

وتبعث إليه بخاتمها ، وفضلة من شعرها ، وقلامة من ظفرها ، وشظية من
مضراها ، وقطعة من مسواكها ، ولبان قد جعلته عوضاً من قبلتها ، وهضغة
لتخبره عن نساكها ، وكتاب قد نمته بظرفها ، وطيبته بكفها ، وسخته بوثر
من عودها ، ونقطت عليه قطرات من دمعها ، وختمته بغالية قد عدل بالعنبر
متنّها ، واستمسك تحت الخاتم عجنها ، وطبعت عليه بفص قد نقشت عليه
بعض مداعبتها ، وتمثلت عليه ببعض مجامتها ^(١) ، وضمنت الكتاب شكوى
شوق مريض ، وصفة شوق ممرض ، تسأله المؤاناة على حبها ، والإعانة على
كربها ، وأن يبعث يطلب زيارتها ، لتقرّ بالنظر إليه عينها ، ويتمرّج ^(٢) عنها
حزنها ، فيطمع الغمر ^(٣) في قربها ، ولا يشك في الكلام في إخلاص حبها ،
فيميل إليها بوده ، وتصفيه بمكنون حبه ، حتى إذا حوت عقله ، وصارت
شغله ، واستمالت لبه ، وسلبت قلبه ، واستمكنت من قلبه ، ووثقت بصحيح
حبه ، وعلمت أنه غريق في بحر البلية ، أخذت في طلب الهدايا السريّة ،
وتشبهت الثياب العدنية ، والأزرّ النيسابورية ، والأشفاق الانجائية ،
والأردنية الرشيدية ، والعمائم الشوسية ، والتسكك الأبريسمية ، والخفاف
الرنائية ، والتعال الكنباتية ، والحلق المحشوية ، والعصائب المرصعة ،
والدستينجات المفصلة ، وخواتيم الياقوت المضمنة ، وتمارضت من غير سقم ،
وشكت من غير ألم ، وفصدت من غير علة وداء ، وتعالجت من غير حاجة
منها إلى الدواء ، لتجسّمها هدايا ذوى الوجد ، في المرض والنصد ، من القمص

(١) مجن : مزح وقل حياء

(٢) تفرج الغم : تكشف

(٣) الغمر : من لم يجرب الأمور ، الجاهل

المُعْتَبَرَة ، والغلائل الممسّكة ، والأردية المرشوشة ، واللخايلخ المعجونة ،
وَمَخَانِقِ الكافور المنظومة ، ومَراسل القَرَئِفَلِ المجرّمة ، والمدك الأذفر ،
والعنبر الأشهب والعود الهندي . والنَدَّ الخزائى ، والمأورذ الجورى ،
والحملان الحَوَئِيَّة ، والجِداء الرُضَّع ، والبَط الصِّينى ؛ والفَرَارِيجِ
الكَسْكَرِيَّة ، والدجاج الفائق ، والفراخ المسمّنة ، والنباييج المنضدة بأنواع
الرِّياحين . والفاكهة يتبعها صنوفٌ من الشراب ، من المعسل والدُّشَاب ،
والمطبوخ والمشمس ، ونبيذ السكر ، والقشْمِش ، ثم الدنانير الجُدد الشَّهْرِيَّة ،
والدراهم المسَيِّفة الدَّارِيَّة ، فى خرائط الديباج الابريسيّة ، ومناديل
الوشى الأنجميّة ؛ فلا تزال فى هدايا متواترة ، وألطف متابعه ،
وفى خلال ذلك العيدان العرعر الموزونة ، والمضارب المدهونة ،
والأوتار الصينيّة ؛ حتى اذا نفذ اليسار ، وذهب الإكثار ، وأتلف المال ،
وجاء الاقلال ، وأحسّت بالافلاس ، وتفريغ الأكياس ، أظهرت المَلَل ،
وأعلنت البَدَل ، وتبرّمت بكلامه ، وضجرت بسلامه ، وطلبت عليه العِلل ،
وتفقدت منه الزلل . وتتبع عليه سقطاته ، وتيمّمت عثراته ، وأخذت فى
الجفاء والعتاب ، والقلى والابعاد ، وصرفت عنها هواه ، ومالت الى سواه ،
ونفرت بعد القُرب ، وأبغضته بعد الحب ، فحينئذ يدرك المغرور الندم ،
ويلحقه الأسف ، حين لا تُغنى عنه الحيلة ، ولا يُجدى عليه اللّهُف ، ويقع
بين لَيْتَ وَلَوْ وهيمات ، ولات حين مناص ، ولا يقدر على استئناف
ما سلف من الأيام ، بعد الإشراف على ورود حياض الحمام .

وقد أنشدنى بعض الأدباء لبعض المحدثين :

صَحَوْتُ فَأَبْصَرْتُ الغوايَةَ من رُشْدِي وَأَيَقَنْتُ أَنِّي كُنْتُ جُرْتُ عن القَصْدِ

فَلَا يَعْشَقَنَّ مَنْ كَانَ يَعْشَقُ قَيْنَةَ
تَوَدُّكَ مَا دَامَتْ هَدَايَاكَ جَمَّةً
إِذَا مَا رَأَتْ فِي مَجْلِسٍ مَنْ تَخَالَهُ
وَعَنَّتْ عَلَى أَقْدَاحِهِ كُلِّ مَا اشْتَهَى
وَتُوِّمِي إِلَيْهِ إِشْرَابَ الرُّطْلِ وَاسْقِنِي
فِيْمَنْتَلِي الْمَغْرُورُ عِنْدَ مَقَالِهَا
فَإِنْ جَاءَ وَقْتُ الْإِنْصِرَافِ تَحَاذَنْتُ
وَيَعْدُو إِلَيْهِ فِي الْفِرَاشِ رَسُوْلَهَا
وَيَالَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ بَتَّ فَإِنِّي
فَلَا يَجِدُ الْمَغْرُورُ مِنْ دَفْعِ جَذْرِهَا
وَتُسْرِعُ فِي إِتْيَانِهِ لِيَطْنُهَا
فَإِنْ هِيَ جَاءَتْ عَانَقْتَهُ وَقَبَّلَتْ
وَتَخْدُمُهُ عَمْدًا فَإِنْ قَالَ إِنَّهُ
تَقُولُ لَهُ ذَا الْبَيْتِ بَيْتِي وَإِنَّمَا
فَتُصْبِحُ عَيْنِي بِالْوِصَالِ قَبْرَةً
فَذَاكَ دَأْبُهَا حَتَّى يَعُودَ مِنَ الْهَوَى
فَتَفْضِدُ لَامِنْ حَاجَةٍ لِفِصَادِهَا

فَمَا هُوَ مِنْهَا فِي سَعِيدٍ وَلَا سَعِيدٍ
وَتَرَفِدُكَ عِشْقًا مَا غَنَيْتَ أَخَارِفِدِ (١)
غَنِيًّا حَبْتَهُ بِالتَّجِيَّةِ وَالْوَدِّ (٢)
وَقَالَتْ لَهُ مَاذَا تُرِيدُ أَنَا أَفْدِي
فَقَدْ حُزَّتْ قَلْبِي وَاشْتَمَلَتْ عَلَى وَدِّي
سُرُورًا يَرَى أَنَّ الْمَقَالَ عَلَى جِدِّ
لِفِرْقَتِهِ حَتَّى يَقُومَ عَلَى وَعْدِ
تَسَائِلُهُ مَا كَانَ حَالِكَ مِنْ بَعْدِي
رَعِيَتْ نَجُومَ اللَّيْلِ كَفَيْتُ عَلَى خَدِّي
سُرُورًا بِتَعْجِيلِ الزِّيَارَةِ مِنْ بَدِّ
حَبْتَهُ بِتَعْجِيلِ الْمَجِيءِ عَلَى عَمْدِ
يَدَيْهِ وَأَبْدَتْ فَرَحَةً قَلَّ مَا تُجِدِّي
لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَصْنَعِي هَكَذَا عِنْدِي
أَوْ هَلْ أَنْ يَبْتَاعَنِي سَيِّدِي وَحَدِي
وَأَمِنْ مِنْ سَوْمِ التَّفَرُّقِ وَالْبُهْدِ (٣)
سَقِيمَ فُؤَادٍ مَا يَعِيدُ وَلَا يُبْدِي
وَلَكِنْ لِتَكْلِيفِ الْهَدِيَّةِ فِي الْفَضْدِ

(١) أرفده : أعطاه ، والرغد : العطاء والمعونة .

(٢) حباه بكذا : أعطاه إياه .

(٣) السوم : النذل .

فمن بين خلخال يُصاغُ وخاتم
ومن دُمْلجٍ يَهْدَى على أثرِ العقْدِ
ومن مُصمَّتٍ يُشْرِى على أثرِ البرْدِ
وعودٍ وكافورٍ نقيٍّ ومن نَدِّ
تجَمَّتْ وأبَدَّتْ جَانِبَ الهَجْرِ والصدِّ
مَقَالِي فَأَنِّي قد نصحتُ لكم جَهْدِي
وأشدني بعض المحذنين لنفسه :

يا صاح إنَّ القِيانَ للغمرِ الـ
يهوين هذا ويشتكين لَذَا
حتى إذا ما اقتنصنَ ذا حُمقٍ
نفضنَه واستلخنَ جِلدَتَه
وصار كالأس في غضارَتِه
نأولنَه المسحَ ثم قُلنَ له
وأشدني بعض الكتاب لفضل الشاعرة :

يا حَسَنَ الوجهِ سَيِّءَ الأدبِ
يا وَاوِيكَ إنَّ القِيانَ كالشَّرِّكَ الـ
شبتَ وأنت الغلامُ باللَّعبِ
منصوبٍ بين الغرورِ والعطبِ (٤)

(١) الغمر : من لم يجرب الأمور . الغر : الشاب الذي لا خبرة له .

(٢) الفتنق : التائق والتمنم .

(٣) المسح : الكساء من شعر ، أو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفا وقهرا للجسد . اليقق : القطن ، أو جمار النخل أى شحمه الأبيض . ويقال : أبيض يقق أى شديد البياض .

(٤) ويك : كلمة مركبة من وى وكاف الخطاب وتقال للزجر ، ويكنى بها عن الويل ، تقول : ويك استمع قولى ، والأصل ويك .

لا يَتَصَدِّقَنَّ لِلْفَقِيرِ وَلَا
يَلْحَظَنَّ هَذَا وَذَا وَذَا وَذَا
بَيْنَا تَشَكَّى إِلَيْكَ إِذْ خَرَجْتَ
وَأَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ غَزَالٍ لِنَفْسِهِ :

إِذَا تَعَرَّضْتَ لِلْقِيَانِ
وَاعْزِمِ عَلَى فَلَسَةِ أَسَافَا
كَمْ مِنْ تُرَاثٍ وَمِنْ تَلِيدٍ
أَتَلَفَهُ مُتَلِفٌ عَلَيْهِمْ
مَا زَالَ يَصُبُّو إِلَى خُلُوبٍ
إِتَّخَذَتْهُ عَشِيقَ مَالٍ
حَتَّى إِذَا اخْتَلَّ ثُمَّ حَسَّتْ
غَنَّتْهُ صَوْتًا لَهَا عَتِيدًا
قَدْ نَفَدَ الْكَيْسُ فَاسْأَلْ عَنِّي
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا :

وَمُسْمِعَةٍ غَنَّتْ فَمِلْتُ بِمَهْجَتِي
فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ثِقٌ بِوَدَّتِي
فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا وَانْقَبِضَتْ كَأَنَّهَا
فَقَالَتْ وَقَدْ أَحْجَلْتُمَا لَتَغْرَنِي

(١) الجذر : عدد مضروب في نفسه ، فالعشرة جذر المائة ، لأنك إذا ضربت عشرة في عشرة حصل مائة .

(٣) هاواه : داراه

(٢) الخلوب : التي تمدح بلطيف الكلام .

(٤) العتيد : الحاضر الميأ .

أراك نشيطاً للسمع تحبه
 فقلت تُراني وبك أعشقُ قينةً
 إذا خرجت من مجلسٍ وتبدلت
 وإن ذكروا قالت ومن كان حائكٌ
 لعمرك ما تهوين إلا دراهماً
 وإني ورب البيت، والله راحمٌ
 بعيني لينح قبل ينفض ريشه
 هو أنا هو يزي عن المرء نعمةً
 فيعشقنا من في يديه بضاعةً
 وقال أيضاً في قصيدة له :

حتى إذا ولت الدارهم غنته
 أسل عني فليست أصلح للضيء
 عندها يأكل المفرط كفيء
 وأنشد للحكمي في مثل ذلك :

قولا لمن يعشقه قينة
 فقد ثوى في كفها نية
 توصل العاشق حتى إذا
 ولت بغدر وقرون القبي

(١) النبيط : جمع نبط : قوم من العجم كانوا ينزلون بين العراقيين ، ثم استعمل في أخلاط الناس وغوامهم ، ومنه يقال : كلبه نبطية أي عامية .
 (٢) القميظ : التام الكامل

ولست إلى غير السماع نشيط
 لها كل يومٍ صاحبٌ وربيط
 سواه بدلاً أولون نبيط^(١)
 وآخر منكوذ المعاش يحيط
 ومن درنها حزم على سليط
 أفكر فيه هل هواه قميظ^(٢)
 وقبل يراه الناس وهو سقيط
 ويترك رب القوم وهو حطيظ
 سفيف إذا بان الرجا وشريط

ه وقد أزمعت على الإنقطاع
 ق ولا يحسن الهوى بالجياع
 ه ويأوى إلى أحسن البقاع

يستف حزنا قبل إفلاسه
 مسرعة في قلع أضرأسه
 ما أخذ العشق بأنفاسه
 تهز بالكشخ على رأسه

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول الشاعر :

مَا لِلأَجْبَةِ فِي التَّخْشَعِ عَارُ سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِلذِّينِ تَحَمَّلُوا
فَاخْشَعُوا وَإِنْ حَافُوا عَلَيْكَ وَجَارُوا لَكِنَّهُمْ غَدَرُوا بَعْدَكَ فِي الْهَوَى
وَنَاوَأُوا وَمَاشَدَتْ لَهُمْ أَكْوَارُ^(١) مَا إِنْ يُبَالُوا إِنْ جَفَوْكَ وَعَرَّجُوا
وَأَخُو الْقَطِيعَةِ جَائِرٌ غَدَارُ لَا بَلْ أَشَدُّهَا عَلَيْكَ مُصِيبَةٌ
نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَوْ طُنُفُوا أَوْ سَارُوا لَا تَعْتَبِنَّ عَلَى الْقِيَانِ وَلَا عَلَى
أَنْ يَفْعَلُوا بِكَ إِذْهُمْ حُضَارُ قَدِّمَ لَهْنٌ مَلَاهِيًّا وَمَضَارِبًا
زَهْوُ الْقِيَانِ فَانْهِنِّ تِجَارُ إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ لُطْفَةٍ وَهَدِيَّةٍ
وَمَلَاوِيًّا يَحْطَى بِهَا الزُّوَارُ أَوْ كُنْتَ صَاحِبَ كَيْفٍ أَنْتَ وَمَرْحَبًا
فَلَاكَ الْهَوَى مِنْهُنَّ وَالْإِيثَارُ مَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ
فَارْحَلْ فَعَيْشُكَ عِنْدَهُنَّ بَوَارُ لَوْ كُنْتَ يُوسُفَ فِي الْجَمَالِ فَإِنَّهُ
لَكَ ثُمَّ إِقْبَالَ وَلَا إِذْبَارُ ثُمَّ امْتَنَعْتَ مِنَ الْهَدِيَّةِ أَنْ تَكْرُوا
فَلَمَّا مَثَلَهُ فِي حُسْنِهِ دِيَارُ عِنْدِي مِنَ الْقِيَمَاتِ خَيْرٌ بَيْنَ
مِنْكَ الَّذِي لَا يُنْكَرُ الْأَخْرَارُ زَارِ ابْنَ أَخْرَ ذَاتَ يَوْمٍ قَيْسَةَ
وَمِنَ الْهَدِيَّةِ مُسْنَدُ آثَارُ حَتَّى إِذَا غَنَّتْهُمْ وَسَقَتْهُمْ
فِي فِتْمِيَّةٍ لَهُمْ نَدَى وَوَقَارُ قَالَتْ لِأَوْلَاهِمُ أَمَا لَكَ ضَايِعَةٌ
وَتَجَاوَبَتْ فِي كَفِّهَا الْأَوْتَارُ قَالَتْ فَأَهْدِ لَنَا إِزَارًا مُعَلَّبًا
فَأَجَابَهَا إِنِّي قَتِي سِمَسَارُ قَالَتْ فَأَهْدِ لَنَا إِزَارًا مُعَلَّبًا

(١) سقيا فلان : دعاء له ، والتقدير : سقاه الله سقيا . رعيا : اسم من راعي بمعنى

حفظ . أكوار : جمع كور : رحل البعير .

ثم انثنت لسؤال آخر منهم
قالت فليس يهمننا ما زرتنا
وإذا ابن أحمَرَ قد أعدَّ جوابها
ثم انثنت لسؤاله فأجابها
فاذا هممت بحفر قبرك فابعني
فتلجلجت خجلاً وطاطت رأسها
وكذا القيان ولا أقول جماعة
ولا ابن أحمَرَ أيضاً :

عذبي ذو الجلال بالنار
ولا تعشقت قينة أبداً
كم من غني تركن ذا عدم
سلبن منه الفؤاد بالنظر الـ
وبالتشاجي أتلفن مهجته
حتى إذا ما مضت دراهمه
ناولته المسح ثم قلن له
فلا تغرنك قينة أبداً
فليس في العدر عندهن إذا
إن هام قلبي بذات أسوار
حتى تراني رهين أحجار
أورثته الذل بعد إكثار
رطب وغنج وغمز أبصار
وحسن لحن وقرع أوتار^(١)
وصار ذا فكرة وتسهار
بيضه بالنهر نهر بشار
ودع وصال القيان في النار
هوين أوشن ذلك من عار

- (١) القسط : عود يتداوى به . الأظفار : أقطاع تشبه الأظفار عطرة الرائحة .
(٢) القسطار : الناقد العارف .
(٣) التشاجي : الحزن .

وأحسن ابن الجهم حيث يقول :

فَأَطْلِقْ يَدَا فِي بَيْتِهِ بِتَفَضُّلِ
أَشْرَبِيْدٍ وَأَغْمَزْ بِطَرْفٍ وَلَا تَخَفْ
وَوَلِّ عَنِ الْمَصْبَاحِ وَالْحَمِّ وَذُمَّهُ
وَسَلْ غَيْرَ مَنْنُوعٍ وَقَلْ غَيْرَ مُسْكَتٍ
لَكَ الْبَيْتُ مَا دَامَتْ هُدَايَاكَ جَمَّةً
تُصَانُ لَكَ الْأَبْصَارُ عَنْ كُلِّ نَظْرَةٍ

واعلم أنه لا وفاء لهن، ولا حفاظ عندهن، ولا يد من علي ود، ولا يفين
لعاشق بعهد، وهو هن مشترك، وحبهن مقسم، وقد أنشدني
بعض الأدباء :

استخبراً زينب عن قولها
أذاك منه حسن جائر
حسبك يا زينب من هجنة
فلا تردي جمع هذا وذا
وأنشدي الأمر إلى واحد
لا يحمل المنبر ردفاً ولا
وعادة السوء إذا استحكت
لست وإن كان الهوى غالباً

فِي رَجُلٍ يَعْبُدُ رَبَّيْنِ
أَمْ لَيْسَ يَرْضَى اللَّهُ دِينَيْنِ
يَسْتَرْزِقُ الدَّهْرَ عَلَى اسْمَيْنِ^(١)
فَالْغَمْدُ لَا يَجْمَعُ سَيْفَيْنِ^(٢)
وَلَا تَكُونِي ذَاتَ بَعْلَيْنِ
يُصْلِحُ مَلِكًا بَيْنَ اثْنَيْنِ^(٣)
عَلَى أَمْرٍ شَرٌّ مِنَ الدِّينِ
أَقْنَعُ بِالشَّيْنِ عَلَى الشَّيْنِ

(١) الهجنة من الكلام : العيب والقيح ، أو ما يعيبه الانسان

(٢) الغمد : جفن السيف

(٣) الردف : التابع ، أو الراكب خلف الراكب

يُحَلِّبُ غَيْرِي وَأَكُونُ الَّذِي يَرْضَى مِنَ الْعَنْزِ بِقَرْنَيْنِ
وَأَحْسَنُ أَبُو ذُوؤَيْبٍ حَيْثُ يَقُولُ :

تُرِيدِينَ كَيْمًا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا وَهَلْ يَجْمَعُ السِّيفَانِ وَيَحْكُ فِي غِنْدِ
وَكَنْتُ كَرَقَرَأَقِ السَّرَابِ إِذَا جَرَى بِقَوْمٍ وَقَدَبَاتِ الْمَطِيِّ بِهِمْ تَخْدِي^(١)
وَقَالَ آخِرُ :

أَلَا يَا عَاشِقَ الْقَيْنَاتِ جَهْلًا أَرَدْتَ بَأْنَ تَكُونُ أَبَا الْبُعُولِ
أَتَرْضَى لِلْهُوَى مِنْ لَيْسَ يَرْضَى عَلَى ضَيْقِ الْهُوَى أَلْفَى خَلِيلِ
وَلَيْسَ هُوَ الْقِيَانُ بِحَمُودِ عِنْدِي ، وَلَا عِنْدَ ذُوِي الْأَدَبِ ، وَأَهْلِ النَّهْيِ
وَالْأَرْبِ ، وَلَا لِأَكْثَرِهِمْ مَيْلٌ إِلَيْهِ ، وَلَا حِرْصٌ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَنْشَدَنِي
صَدِيقٌ لِي قَوْلَهُ فَيَهِنُ :

زَعَمُوا خَلَّةَ الْقِيَانِ غُرُورُ كُلِّ زَعَمٍ مِنَ الْمَقَالَةِ زُورُ
قَسَمًا لِلْقِيَانِ بِالْعَمْدِ أَوْ فِي مَنْ جَوَارٍ تَضْمَنَ الْخُدُورُ
إِنَّمَا زَخْرَفَ الْمَفَالِيسَ هَذَا حِينَ قَلَّتْ صِحَّاحُهُمُ وَالْكَسُورُ
أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ أَطْرَى مِنَ الْآسِ وَكُلُّ مَمُوءَةٍ مَسْنُورُ

وَاحْتِجَّ فِي ذَلِكَ بَأْنَ هُوَ الْقِيَانُ - عَلَى مَا فِيهِنَّ مِنَ الْعِيُوبِ -
أَسْرَعُ إِلَى النَّفُوسِ ، وَأَوْقَعُ فِي الْقُلُوبِ ، وَأَغْلِقُ بِالْأَرْوَاحِ ، وَأَخْلِقُ
لِلنَّجَاحِ ، وَهِنَّ أَقْرَبُ أَمْلًا ، وَأَقْلُّ عِلَلًا ، وَالظَّفَرُ بِهِنَّ أَسْرَعُ مِنَ الظَّفَرِ
بِرَبَاتِ الْخُدُورِ ، وَالْمَحْتَجِبَاتِ وَرَاءَ السُّتُورِ ، وَأَنْهِنَّ مَزُورَاتٍ ، وَأَوْلِيَّكَ
مَعْدُومَاتٍ .

(١) الرقوان : ما يتلألأ . أخدى اخدام : مشى قليلا قليلا .

وزعم من طلب القينة الجدو لمولاها من عشيقها ، وكثرة مؤنتها عليه ،
وطلبها لما لديه ، ومسألتيها الهدايا واللائف ، والبر والتحف ، إنما هو من
رغبتها في هواه ، وميلها إلى رضاه ، ولأنها تؤثره على العالمين ، وتشتهى قربه
دون سائر المحبين ، لأنه إذا وأى جدواها من عند عشيقها ، مع تتابع الطافه ،
وكثرة برّه وإسلافه ، رغب المولى في صفائه ، وطمع في استصفائه ، فأخلاها
معه الأيام الكثيرة ، والليالي المتتابعة .

فهذه جملة من القيان لمن عشق ، ورغبة فيمن ومق ، وليس ذلك عندنا
كذلك ، وإنما هي حيلة ممن احتجّ لهن بالوفاء ، وهن معروفات بالقدر
والجفاء ، ولو كان ذلك كما زعموا لم تتغير له عند اختلاله ، ولا قلته عند
إفلاله ، بل كان يكون منها عند ذلك الاسعاف على هواه ، والمواساة في نفسها
في الحياة ، ولكن هو كما قال المؤمل بن أميل :

والغانيات كذاك هن غوادرٌ أبداً حبال وصاكنٌ تجنم^(١)
يخلبن بالنظر الفتى ويعدنه^٢ نيلاً ودون عداتهن الأنجم^٣
وكما قال بشار بن برد :

فو الله ما أدري وكلُّ مُصيبةٍ بأى مكيدات النساء أكاد^٤
غرورٌ مواعيدٍ كأنَّ جداءها جداءاً بارقاتٍ مزُنهنَّ جماد^(٢)

ومع ذلك فلا نفاق للشيوخ عندهن ، ولا لذوى القبح والعدم مطمع
لديهن . على أنهنَّ يحتملن القبح والشيب مع اليسار ، ويكرهنهما مع الفقر
والإقتار ، فإذا اجتمع القبح والشيب مع الإفلاس في أى إنسان كان من
الناس ، فليس عندهنَّ مطلب ، ولا لديهنَّ سبب ، ولذلك قال العطوى :

(١) جذمه : قطعه بسرعة فانقطع
(٢) الجداء : النفع والعتاء . والجداء : المطر العام . المزن : السحاب أو ذوالماء منه .

تاهتُ عليَّ بحُسنِها وجمالِها وتقول لي : يا شيخ أنت مُخادِعُ
شيخٌ وإفلاسٌ وقُبْحٌ ظاهرٌ أطمعتُ فينا أخلفتك مطامِعُ
فأجبتُها : الإفلاسُ يذهبُه الغنى والشيبُ يذهبُه الخِضابُ النَّاصِعُ
قالت : فقُبْحُ الوجه فيه حِمْلَةٌ والقُبْحُ ليس له دواءٌ نافعُ
يا صدقها ما كان أوضح حجتي لو كان يدفع قبحَ وجهي دافعُ
وقال بعض الأعراب :

طويلاتُ أعناقٍ سباطٌ أكفُّها رقيقاتُ أوساطٍ نبالُ الماءِ كم^(١)
تأزرنَ رملًا وارتدينَ بحلَّةِ من الروضِ ريبًا زهرها جِدًّا ناعمِ
وتصرفُ ودَى نحوهنَّ صبايةً ويصرفنَ عنيَّ الوجهَ نحو الدرهمِ
ومثل ذلك ما روى عن نصيب أنه قال : لقيتني بالطواف امرأة دحداحة^(٢)

مزأحة ، فقالت : أأنت نصيب ؟ فقلت : نعم ، قالت : ألسنت القائل :

إذا البيضُ لا يأتينَ في الحبِّ رِقَّةً يُعابُ ولا يأخذنَ في الودِّ درهماً
وإذهُنَّ يدنينَ الكريمَ بُوْدِه لهنَّ ويرفضنَ الدقيقَ المملوِّماً

قالت : لا أراك تكتب إلا درهمك ، فاعضض ببظر أمك ، من أين

تمشط إحدانا إذن ؟

وأشدني بعض الأدباء :

(١) السباط : الرخصة اللينة . الماء كم : جمع المأكمة : لحمه على رأس الورك . وهي العجيزة ،
وهما إنتان أو لحتان ، وقيل الماء كمان والمأكمتان : اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين .
وقيل : هما بخصتان مشرفتان على الحرقفتين وهما رؤوس أعلى الوركين عن يمين وشمال ،
وقيل : هما لحتان وصلتا بين العجز والمنتين .

(٢) دحداحة : قصيرة

وإذا قلت لها جودي لمن أنت صرّافٌ فآتيك له
قد براه الحبُّ قالت لي أجلٌ (١)
أم بكفيك نقودٌ تحتملُ
قلتُ ما تهوين إلا مؤسراً
ذا هباتٍ وعطاءٍ وحلّلٍ
فأجابتنى بصوتٍ مسمَعٍ
كفٌ عنا أنتَ واللهِ مُقلٌ
أيها الناسُ ألا أخبركم
ليس للحبِّ مع الفقرِ عملٌ

ولقد أحسن أبو الشيص حيث يقول :

حسّر المشيبُ قناعه عن رأسه فرمّينه بالصّدِّ والإعراضِ
ثنتان لا تصبو النساءُ إليهما حلّى المشيبِ وحلّةُ الإنفاسِ
فوعودهنّ إذا وعدنك باطلٌ وبروقهنّ كواذبُ الإيماضِ

وروى عمر بن شبة ، عن موسى بن اسماعيل المنقريّ قال : كان المخبل
السعدى يعشق امرأة من قومه ، فأتلف عليها كل ما يملكه ، حتى صار يبيع
البحر (٢) فاتاها يوماً فزبرته (٣) وطرده ، فانصرف وأنشأ يقول :

إذا قلّ مالُ المرءِ قلّ صديقه وأومتُ إليه بالغيوبِ الأصابعِ
وقال الأصمعيّ : عشق رجل امرأة ، وأظهرت له مثل ذلك ، فبعثت إليه
يوماً تستهديه مالا ، فتعذّر عليه ، ووجهه بنصف ما طلبت ، فغضبت
وهجرته ، فكتب إليها :

يا أيّها الغضبانُ أن سامنى ما مثله ثقيلٌ على المؤسّرِ
فجدتُ بالنصف له كاملاً فقال ليس الحبُّ للمقتّرِ

(١) براه : هزله وأضعفه .

(٢) البحر : رجميع ذات الخف والظلف ، واحده بعة .

(٣) زبرته : رمته بالحجارة .

هَبْنِي غَرِيمًا لَكَ يَا مُنَيَّبِي مَا يَقْبَلُ النِّصْفُ مِنَ الْمُعْصِرِ
فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

إِنْ كُنْتَ فِي حَالِكَ ذَا عُسْرَةٍ فَدَعِ طِلَابَ الشَّادِنِ الْأَحْوَرِ (١)
مَا إِنْ مِنْحْنَاكَ الَّذِي نَلْتَهُ دُونَ ذَوِي الْبَهْجَةِ مِنْ مَعْشَرِ
إِلَّا لِنَقْضِي حَاجَتِي كُلَّهَا فِي حَالِ ذِي الْعُسْرَةِ وَالْيُسْرِ
وَقَالَ الْأَخْطَلُ يَصِفُ نَفُورَهُنَّ عَنِ الْمَشِيبِ ، وَغَدْرَهُنَّ بِالْكَهُولِ
وَالشَّيْبِ :

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهِنَّ فَإِنَّهُ نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالًا
وَإِذَا وَعَدْنَاكَ نَائِلًا أَخْلَفَنَهُ وَوَجَدْتَ عِنْدَ عِدَاتِهِنَّ مِطَالًا
وَقَالَ الْقُطَامِيُّ أَيْضًا :

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهِنَّ فَلَا تُجِبْ فُهْنَاكَ لَا يَجِدُ الصَّفَاءُ مَكَانًا
وَإِذَا رَأَيْنَا مِنَ الشَّبَابِ لُدُونَةَ فَعَسَى حَبَالُكَ أَنْ تَسْكُونَ مِتَانًا (٢)
وَقَالَ جَرِيرٌ :

رَأَتْ مَرَّ السَّمِينِ أَخْذَنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهَلَالِ (٣)
فَقَالَتْ فِيمَ أَنْتَ مِنَ التَّصَابِي مَتَى عَهْدُ التَّشَوُّقِ وَالذَّلَالِ (٤)
فَمَا تَرْجُو وَلَيْسَ هُوَ الْغَوَانِي لِأَصْحَابِ التَّمَنُّحِ وَالسُّعَالِ
وَقَالَ أَيْضًا :

(١) الشادن : ولد الظبية ..

(٢) لدين لدونة : كان لينا .

(٣) السرار : آخر ليلة في الشهر .

(٤) التصابي : الميل إلى اللهو واللعب .

وَإِذَا الشُّيُوخُ تَعَرَّضُوا لِمُودَّةٍ قَلَنَ التُّرَابَ لِسُكْلِ شَيْخٍ أُذْرَدَا^(١)
تَلَمَّتْ الْفَتَاةُ مِنَ الشُّيُوخِ بَلِيَّةً إِنَّ الْبَلِيَّةَ كُلَّ شَيْخٍ أُرْمَدَا^(٢)
وَقَالَ امْرَأُ الْقَيْسِ :

أَرَاهَنَّا لَا يَحِبُّنَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ وَقَوَّسَا
وَأَنْشَدَنِي بَعْضَ الْكِتَابِ لِأَبِي الشُّبَلِ :

عَذِيرِي مِنْ جَوَارِي الْحَايِ إِذْ يَرِغِبُنَ عَنِّي وَصَلِي
رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ أَلْبَسَنِي أُهْمَةً الْكَهْلِ
فَأَعْرَضُنَّ وَقَدْ كُنَّ مِذَا قِيلَ أَبُو الشُّبَلِ
تَسَاعَيْنَ فَرَقَعْنَ الْكُؤَى بِالْأَعْيُنِ النُّجُلِ
وَأَنْشَدْتُ لغيره :

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحٍ بِعَارِضِي فَأَعْرَضُنَّ عَنِّي بِالْحُدُودِ النَّوَاضِرِ^(٣)
وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي سَعَيْنَ فَرَقَعْنَ الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ

وهنَّ على ما فيهنَّ من سرعة الملل ، وما طُبِعن عليه من البذل ، متمكِّنات
من القلوب ، مبرَّآت عند محبتهم من العيوب ، وإن من محمود مذهب
الظرفاء ، الميل إلى مغازلة النساء ، ومداعبة القينات ، وحبُّ النساء عندهنَّ
من حسن الاختيار ، وهو أشبه بمذهب ذوى الاخطار ؛ وليس هوى
الغلمان عندهنَّ بمحمود ، ولا هو في سيرهم موجود ، وإنما آثروا هوى النساء
على الغلمان ، ومدحوهن بكلِّ لسان ، للمليح براعتهم ، وتكامل ملاحظتهنَّ ،

(١) الأورد : من ذهب أسنانه .

(٢) الأرمد : من هاجت عينه .

(٣) العارض : صفحة الحد .

وعجيب شكاهنّ ، وبديع دهنّ ، وفيهنّ أيضا خصال محمودة ، وملاححة موجودة ،
إن عُدِمَت من الجمال ، وُجِدَت في العقل ، وإن عُدِمَت من العقل ، وُجِدَت
في الدلال ، وروائحهنّ أذكى ، وهواهنّ للقلوب أنكى ، والعشق بهنّ أليق ،
وهن للرجال أوفى ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك وملح :

أُحِبُّ النِّسَاءَ وَذِكْرَ النِّسَاءِ وَيُعْجِبُ قَلْبِي لَذِيذُ الْغِنَاءِ
وَهَلْ لَذَةُ الْعَيْشِ إِلَّا النِّسَاءُ وَحُسْنُ الْغِنَاءِ وَشُرْبُ الطَّلَاءِ
رَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقَ تَقَلُّبِهَا النِّسَاءَ مِرَاضٍ^(١)
وَكَأَنَّ أَفْتِدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءَ لِمَتْلَاهَا أَغْرَاضٍ^(٢)
وَقَالَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ :

أَحَبُّ ذَخِيرَةٍ وَأَحَبُّ عِلْقٍ إِلَى الْغَانِيَاتِ وَإِنْ غَنِينَا^(٣)
وَكُلُّ بُكَاءٍ رُبْعٍ أَوْ مَشِيبٍ نُبْكِيهِ فَمَنْ بِهِ عُنِينَا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

فَلَوْ أَنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَوْمًا وَوَلَّيْتُ الْحُكُومَةَ وَالْخِصَامَا
لَقَرَّتْ عَيْنٌ مَنِ يَهْوَى الْجَوَارِيَّ وَعَاقَبْتُ الَّذِي يَهْوَى الْغُلَامَا
سَأَلْتُكَ أَيُّمَا أَحَبِّي حَدِيثًا وَأَطْيَبُ حِينَ تَعَشَّقُهُ الْبِتْرَامَا
أَجَارِيَةٌ مُنْعَمَةٌ رَدَّاحٌ تَرِيدُكَ لِلْغَرَامِ بِهَا غَرَامَا^(٤)

- (١) ونفعها : يروى : وطيبها . مراض : جمع مريضه ، وعين مريضة فيها فتور .
(٢) لمثلها : يروى : لنيلها . أغراض جمع غرض : الهدف الذي يرمى إليه .
(٣) العلق : النفيس من كل شيء .
(٤) الرداح : الضخمة العجز .

أَوْ أَمْرَدُ مُنْتِنِ الْإِبْطِينِ مِنْهُ لَهُ رُفْحٌ كَرُّنَحِكَ حِينَ قَامَا
يُرِيدُكَ لِلدَّرَاهِمِ لَا لِحُبِّ وَتَلِكْ تَذُوبٌ مِنْ كَلْفٍ سَقَامَا
وَأَنْشَدَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّومِيُّ لِنَفْسِهِ :

نَيْكِكَ الْعِلْبَانُ مَا أَمْكَنَكَ النَّسْوَانُ أَفْنُ
إِنَّمَا يَمْشَقُ فِي الظَّهْرِ إِذَا أَعْوَرَ بَطْنُ

وما رأينا أحدا من العرب المتقدمين ، والشعراء المتفضلين ، صمدوا^(١)
في أشعارهم إلى غير ذكر النساء ، ولا صدروا قصائدهم إلا بالتشبيب بوصف
النساء ، هذا حسبان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول :

يَا الْقَوْمِ هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي وَاهِنِ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْومِ^(٢)

شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُو هَا لَجَيْنٌ وَلَوْ لَوْ مَنظُومِ^(٣)

لَوْ يَدِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رَّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبْتُهَا الْكُلُومِ^(٤)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينصب له منبرا في مسجده ، ويدعو
الناس إلى استماع شعره ، وهو يشبب قصائده بهذا وما أشبهه من ذكر
النساء ، وهذا كعب بن زهير ينشد للنبي صلى الله عليه وسلم في مسجده :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيمٌ عندها لم يُفد مغلول^(٥)

(١) صمد : قصد

(٢) واهن البطن والعظام : ضعيفا ، ويروى بدل البطش : البطن . سؤوم : ملول .

(٣) شأنها : يروى : همها . اللجين : الفضة .

(٤) يقول : لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثر فيه وجرحه ، وليس
المراد بالحولى ههنا ما أتى عليه حول وإنما جعله في صغره كالحولى من ولد الحافر والخف ،
وأندبتها : أثرت فيها ، من الندب وهو أثر الجرح . والكولوم : الجراحات

(٥) بانت : فارقت . متبول : أصيب بتبل ، وتبسه الحب : أسقمه . المتيم : المعبد

المنزل الذى استولى عليه الهوى فأذله ، مكبول : محتبس عندها ، والكبل : القيد .

أَكْرَمَ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ مَوْعُودَهَا وَلَوْ أَنَّ النَّصِيحَ مَقْبُولٌ

وَيَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ ، فَيَقُولُ فِيهَا :
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَصَارُمٌ مِّنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْأُولٌ^(١)

والنبي صلى الله عليه وسلم يومئ الى الناس في مسجده أن اسمعوا شعره ، ولو كان ذِكْرُ النِّسَاءِ فِي الشَّعْرِ مَنكَرًا لَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى مَنْ أُنْكَرَهُ ، وَلَوْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ النِّسَاءِ أَوْلَى بِالتَّقْدِيمَةِ فِي الشَّعْرِ مِنْ ذِكْرِهِنَّ لَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى مِنْ أَمْرٍ بِذَلِكَ وَاسْتَقْبَحَهُ ، وَلَوْ كَانَ أَيْضًا فِي الشَّعْرِ ذِكْرُ النِّسَاءِ مِنَ الرَّفْثِ وَالفَحْشِ وَالخُنَا ، لَكَانَ مَا قِيلَ فِي رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْمَدِيحِ أَحَقَّ بِأَنْ يُسْقَطَ مِنْهُ ذِكْرُ الْقَبِيحِ ، كَمَا أُسْقِطَ ذِكْرُ الذُّكُورَةِ ، وَوَصَفُ تَعَشُّقِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْأَشْعَارِ وَمِنْ نِظَائِرِهَا مِنْ مَدِيحِ ذَوِي الْأَخْطَارِ ، وَمَا وَجَدْتُ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَإِنَّمَا عُرِفَ الْآنَ فِي شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ . وَأَيْنَ ظَرَفُ النِّسَاءِ وَحُسْنُهُنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ ، وَأَيْنَ مَلَاحَةُ سَلَامَتِهِنَّ ، وَحِلَاوَةُ كَلَامَتِهِنَّ ، وَمُسْتَحْسَنُ مَدَاعِبَتِهِنَّ ، وَمُحِبُّوبُ مَعَاتِبَتِهِنَّ ، وَمَلِيحُ مِرَاسَلَتِهِنَّ ، لَا سِيَّمَا إِنْ شَبِنَ^(٢) هَوَاهُنَّ بِالْغَيْرَةِ عَلَى مُحِبَّتِهِنَّ ، وَالتَّدْلِيلُ عَلَى مَتَعَشِّقِيهِنَّ ، وَصَدْدُنَّ مِنْ غَيْرِ زَلَّلٍ ، وَهَجْرُنَّ مِنْ غَيْرِ مَلَلٍ ، وَهِنَّ وَاللَّهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِنَّ الْقَاتِلَاتُ بِأَفْعَالِنَّ ، وَصَالِهِنَّ خَتَلُ ، وَصَدُهِنَّ قَتَلُ ، وَهِنَّ الْمَالِكَاتُ لِلْقُلُوبِ ، السَّالِبَاتُ لِلْعُقُولِ ، إِذَا خَلُّونَ مِنْ حَزْنٍ ، وَإِنْ ظَهَرْنَ نِظْرُنَ فِقْتَلَنَ بِلِحْظِ عَيُونِنَّ ، وَصَرَغْنَ بِكُفْرِ جَفُونِنَّ ، وَأَخْيَيْنَ بِقَوْلِهِنَّ الْكَاذِبَ ، وَوَعَدَهِنَّ الْخَائِبَ ، فَلَا شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ مَطْلَمِنَّ ، وَلَا أَلْذَّ مِنْ

(١) الصارم : السيف القاطع .

(٢) شاب الشيء : خلطه .

خُلف وعدهنَّ ، وقد استحسنَت الشعراء ذلكَ منهمَّ ، ومدحتَه في كثيرٍ من الأشعارِ فيهنَّ .

أخبرني أحمد بن يحيى ، عن الزبير بن بكار ، عن سليمان بن عيَّاش السعديِّ ، عن أبيه عن جده . قال : حدَّثني السائبُ راويةً كثيرًا ، قال : كان كثيرًا رجلاً مذبوباً^(١) لا يستقر في مكان ، فقال لي ذات يوم : اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نمتحدِّث عنده ، فأتيناها ، فاستنشد ابن أبي عتيق كثيرًا فأنشده :

أبائنةٌ سعديٌّ ، نَعَمَّ ستَينُ كما أنبتَ من جبلِ القرينِ قرينُ
أأن زُمَّ أجمالٌ وفارقَ جيرةً وصاحَ غرابَ البينِ أنتَ حزينُ
كأَنَّكَ لم تسمعَ ولم ترَ قبلها تفرُّقَ آلافِ لهنِ حنَّينُ
حنينٌ إلى الألفينِ وقد بدا لهنِ من الشكِّ الغداةَ يقينُ

حتى إذا بلغ إلى قوله :

فأخلفن ميعادي وخنُّ أماتي وليس لمن خان الأمانةَ دينُ
فقال ابن أبي عتيق : أو على الدينِ محبتهم يا ابن أبي جمعة ، ذلك أملح
لهن وأدعى للقلوب اليهن ؛ عبيد الله بن قيس الرقيَّات أشعر منك ،
حيث يقول :

حبِّذا الإِدلالُ والغنَّجُ والتي في طرفها دَعجُ
والتى إن حدَّثتْ كذبتْ والتي في وصلها خَلجُ
وترى في البيتِ صورَّها مثلَ ما في البيعةِ السُّرجُ
خبروني هل على رجلٍ عاشقٍ في قبلةٍ حَرَجُ ؟

(١) مذبوب : كثير الحركة .

فقال : لا إن شاء الله، وانصرف.

وقال القطامي ، يستحسن ذلك من أفعالهن ، ويصف ملاحاة اعتلاهن :

وأرى الغواني إنما هي جنة^١ شبه الرياح تملون الألو^٢ وأنا^٣
وإذا حلفن فهن أكذب حالف^٤ حلفاً وأملح كاذب أيماناً^٥

وقد أحسن محمود الوراق حيث يقول :

اصطَبِحْ كَأْسَ شَرَابٍ وَاغْتَبِقْ كَأْسَ تَصَابِي^٣

وَاجْعَلِ الْأَيَّامَ قَسَمًا بَيْنَ عَثِبٍ وَعِتَابِ

ووصال واهتجار وبعاد^٤ واقتراب^٥

واجتناب^٦ في دنو^٧ ودنو^٨ في اجتناب^٩

ورسول^{١٠} بكتاب^{١١} وانتظار^{١٢} لجواب^{١٣}

وقنوع^{١٤} من حبيب^{١٥} بالمواعيد^{١٦} الكذاب^{١٧}

ليس في الحب ولا الصبوة^{١٨} حظ^{١٩} للصواب^{٢٠}

وقال بعض المحدثين^(٤) :

ليس يستحسن في حكم الهوى عاشق^{٢١} يحسن^{٢٢} تأليف^{٢٣} الحجج^{٢٤}

بني الحب على الجور^{٢٥} فلو^{٢٦} أنصف^{٢٧} المعشوق^{٢٨} فيه^{٢٩} لسمح^{٣٠}

وقال آخر وأحسن في قوله :

(١) الغواني : النساء ، والغانية : المتروجة ، ثم قيل لكل شابة : غانية .

(٢) يروي بديوانه :

وإذا وعدن فهن أكثر واعد خلفاً وأملح حانث أيماناً

(٣) اغتبق : شرب بالعشى .

(٤) علية بنت المهدي ،

ألا إنني راضٍ بما حكمتُ جُلُ
وإن كان لي فيه البليّةُ والقَتْلُ
فكروا على العَدْلِ فيها فإنني
رأيتُ الهوى فيها يُجَدِّدُهُ العَدْلُ
وما كان جثمتها لبذلِ رجوته
لديها فأخشى أن يُغيِّره البُخْلُ
ومن ذلك قول جميل بن معمر العذريّ :

ولستُ على بذلِ الصَّفَاءِ هويتها
ولكن سببتني بالدلالِ مع البُخْلِ
وقال أيضا :

ويقلن أنك يا بُمّينَ بخيلةٌ
نفسى فداؤك من ضمّينِ باخِلِ
ويقلن أنك قد رَضِيتَ بباطلِ
منها فهل لك في اعتزالِ الباطلِ
ولباطلٍ مِن أَلْدِ وأشتهى
أذنى إلى من البغيضِ الباذلِ
ودخلت عزةً على هشام بن عبد الملك بن مروان ، فقال : يا عزة أتعرفين
قول كثير :

وقد زعمتُ أنى تغيّرتُ بعدها
ومن ذا الذى يا عَزَّ لا يتغيّرُ
تغيّرَ جِسمي والخلِيقَةُ كالذى
عهدتِ ولم يُخْبِرِ بِسِرِّكَ مُخْبِرُ ؟
فقلت ما أعرف هذا ، ولكنى أعرف قوله :

كأنى أناجى صخرةً حين أعرَضتُ
من الصمِّ لو يمشى بها العَصمُ زَلتِ
صَفُوحٌ فما تلقاك إلا بخيلةً
فَمَنْ مَلَّ منها ذلك الوصلُ مَلتِ
وأنشدنى أحمد بن عبيد لرفاعة الفقعسىّ :

ألم تعلما أم لا وكلُّ بليّةٍ
من الدهر يفتى بوُسها ونعيمها
ولم تجدا بلجاء إلا بخيلةً
وإن أيسرت واحتاج يوماً غريمها
وأنشدنى محمد بن يزيد لكثير عزة :

وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي هَلْ سَأَلْتَهَا فَقُلْتُ نَعَمْ لَيْلَى أَرْضَنُ خَلِيلِ
وَأَبْعَدَهُ نَيْلًا وَأَسْرَعَهُ قَلِي وَإِنْ سَأَلْتِ نَيْلًا فَشَرُّ مَنْبِيلِ

وَأُنشِدُنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْجَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ الْعُذْرِيُّ :

وَهَجَرَكِ مِنْ تَيْمَاءَ بَلَاءٌ وَشِقْوَةٌ عَلَيْكَ مَعَ الشُّوقِ الَّذِي لَا يَفَارِقُ
أَلَا إِنَّهَا لَيْسَتْ تَجُودُ لِنَدَى الْهُوَى بَلِ الْبُخْلِ مِنْهَا شَيْمَةٌ وَخَلَّاقُ

وَأُنشِدُنِي ابْنَ أَبِي خَيْثَمَةَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ :

وَزَادَكَ إِغْرَاءً بِهَا طَوْلُ بُخْلِهَا عَلَيْكَ وَأَعْرَى لِحْمِ أَعْظَمِكَ الْهَمُّ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدِ الْأَنْصَارِيِّ :

وَزَادَنِي كَلْفًا بِالْحَبِّ أَنْ مَنَعْتِ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا^(١)

كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ وَلَوْ صَحَّ الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعًا

وَقَالَ جَرِيرٌ يَذْكَرُ طَوْلَ الْمُطَّلِ وَالْخُلْفِ :

وَإِذَا وَعَدْتِكَ نَائِلًا أَخْلَفَنَهُ وَإِذَا طَلِبْتِ لَوَيْنَ كُلِّ غَرِيمٍ^(٢)

يَرْمِينِ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنِ فِيهَا السَّقَامُ وَبِرُؤُ كُلِّ سَقِيمِ

وَقَالَ أَيْضًا :

لَعَمْرُ الْغَوَائِي مَا جَزَيْنَ صَبَابِي بَهَنٍّ وَلَا يُحِبُّنَ نَسِجَ الْقَصَائِدِ^(٣)

رَأَيْتُ الْغَوَائِي مَوْلَعَاتِ بِنْدَى الْهُوَى بِطُولِ الْمُنَى وَالْخُلْفِ عِنْدَ الْمَوَاعِدِ

وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَمْ تَرَنِي بَدَلْتُ لَهْنًا وَدِي وَكَذَّبْتُ الْوُشَاةَ فَمَا جَزَيْنَا

(١) أكلف به : أحبه حباً شديداً وأولع به .

(٢) لوى فلانا دينه وبدينه : مطله ، ولوى بحقه : جرده إياه .

(٣) يحبن : تروى : تحبير ، أى تحسين وتزيين .

إذا ما قلتُ جازَ لنا التَّقاضي
بِحِلْمٍ بِعَاجِلٍ وَمَطْلَنَ دِينًا
وقال أيضا:

يقلن إذا ما حلَّ دَيْنُكَ عندنا
لك الخَيْرُ لا نَقْضِيكَ إِلَّا نَسِيئَةً
من الدَّيْنِ أَوْ عَرَضًا فَهَلْ أَنْتَ قَابِلُهُ؟^(١)
وقال أيضا:

وإذا وَعَدْتِكَ نَائِلًا أَخْلَفْتُهُ
وَجَعَلَنَ ذَلِكَ مِثْلَ بَرَقِ الْخُلْبِ^(٢)
إِنَّ الْغَوَائِيَّ قَدْ قَطَعَنَ مَوَدَّتِي
بعد الصفا ومنعن طيبَ المشربِ
وقال كعب بن زهير:

كانت مواعيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مِثْلًا
وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
فَلا يَغُرُّنَكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ
إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ
وقال نصيب:

أَلَلْبَيْنِ يَا لَيْلَى جَمَالَكَ تُرْحَلُ
لِيَقْطَعَ مَنَا الْبَيْنُ مَا كَانَ يُوصَلُ
تَعَلَّمْنَا بِالْوَعْدِ لَيْلَى وَتَفْتَنِي
بِوَعُودِهَا حَتَّى يَمُوتَ الْمَعْلَلُ
وقال كثير:

وإني لأرضى من نوالِكِ بالذي
لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَأَشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ
بلى وبأن لا أستطيعَ وبألمنى
وبالوعدِ والتسويفِ قد ملَّ أملهُ
وقال آخر:

يَارَبِّ خُذْ لِي مِنَ الْمِلَاحِ فَقَدْ
هَجَنَ لِقَلْبِي مِنَ الْهَوَى خَبَلًا

(١) النسيئة: التأخير. العرض: المتاع وكل شيء سوى الدراهم والدنانير، و عرض الشيء: أعطاه إياه مكان حقه
(٢) البرق الخلب: الذي يكون في سحاب لا مطر فيه فكأنه يخدع.

مِنَ اللّوآتِي يُقْلَن لَنْ وَنَعَمَ وَهَا وَحْتِي وَقَدْ وَسَوْفَ وَلَا
والذي جاء في ذلك كثير ، يطول شرحه ويُعَي وصفه ، وقد مضى من
الفصل ما فيه كفاية لذوى العقل ، وقد أفردنا كتاب القيان لِذَمِّ عَظْمِ
القيان ، فأغنى ما في ذلك الكتاب عن تكثير هذا الباب ، فاعرفه إن
شاء الله .

واعلم أن الهوى والحُبَّ والبُخل والعشق والغزل ، يحسن بأهل النعمة
واليسار ، ويُزرى بأهل الإملاق والإقتار ، ولسنا نقول إنه محرّم على
هؤلاء لإعسارهم ، ولا محلّل لأولئك لیسارهم ، وليس بالغنى ما يدخل أهل
الجهالة في الوصف ، ولا بالفقر ما يُخرِجُ أهل الأدب من الظرف ، وقد
قال بعض الشعراء

قد يُدركُ الشرفُ الفتى وِرداًؤُهُ خَلَقَ وَجِيبَ قَمِيصِهِ مَرِقوعُ
وليس أسباب الهوى مبيّنة عن اليسار والسعة والغناء ، والبذل والعطاء ،
والنفقات الغزيرة ، وَالصَّلَاتِ الكَثِيرَةِ ، وَالهبَاتِ الهَنِيئَةِ ، وَالهدايا السريّةِ ؛
وَالْمُخْتَلِّ المَعْدِمِ ، وَالْمَقِلُّ المَعْسِرِ ، لا حيلة له في ذلك ، فمن تعرض للهوى ،
وَمال إلى الصَّبِي ، لم يحسن ذلك به لإفلاسه ، وَقلة ذات يده وَإِقْلالة ،
وَمَا هلك امرؤُ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَأَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ عدا طَوْرَهُ ؛ وَقَدْ قال بعض
السخفاء يعيب بجهله على الظرفاء : ألم يعلم أنه لا يكون لفقير ظرفٌ ،
وَلَا يُرْفَعُ إليه ظَرْفٌ ، وَلَا يقع عليه وَصْفٌ ، والفقير مذمومٌ بكلِّ لسان ،
والغنى محبَّبٌ إلى كلِّ إنسان ، وأنشد قول عروة بن الورد :

ذَرِينِي لِلْغِنَى اسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمُ الْفَقِيرِ
وَأَخْفَرُهُمْ وَأَهْوَنَهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِن أَمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخَيْرٌ

يَبَاعِدُهُ الدَّنَى وَتَزْدِرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وقد أخطأ العائب لهم في مقاله ، وتكسح في حيرته وضلاله ، لأن
عروة لم يذهب إلى ثلب الأذباء ، ولا إلى تعنيف الظرفاء ، وإيما عنف على
طول الإهمال ، وحث على تكسب الأموال ، وهذا مثل قول الآخر :

لَعَمْرُكَ إِنَّ المَالَ قَدْ يَجْعَلُ الفَتَى نَسِيبًا وَإِنَّ الفَقْرَ بِالْحُرِّ قَدْ يُزِرِي
وَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الدِّينِيَّةَ كَالْغَنَى وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ السَّكْرِيَّةَ كَالْفَقْرِ
ومثل ذلك قول الآخر :

الفقر يُزِرِي بِأَقْوَامٍ ذَوَى حَسَبٍ وَقَدْ يَسُودُ غَيْرَ السَّيِّدِ المَالُ
وكتقول الآخر :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صرْتَ إِلَى الغِنَى وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي العُيُونِ جَلِيلٌ
إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى المَرءِ حَوَّلَتْ إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ تَمِيلُ

فهؤلاء لم يذهبوا إلى تفنيد المتظرفين ، ولا الطعن على المتفننين ، وكيف
والتظرف بهم أليق ، وسمة الظرف عليهم أصدق ، وهذا الباب قد ذكرته على جملته
في كتاب نظام التاج ، في صفة الأنوك^(١) المرزوق والظريف المحتاج ، وجعلنا
جملة ما مر في كتابنا نصفه بيننا وبين من زعم أن الأمر ليس كذلك ، والذي
زعم أنه لا يكون للفقير ظرف ، قد تجاوز في الجهالة والسخف ، بلى إن
الظرف بذى التقلل مليح ، ولكن الهوى والعشق بهم قبيح ، وذلك أن الفقير
إن طلب لم ينل ، وإن رام بلوغاً لم يصل ، وإن استوصل لم يوصل ، فهو
كهد القلب ، عازب^(٢) اللب ، حزين النفس ، ميت الحس ، ذاهل العقل ،

(١) الأنوك : الأحمق ، والعاجز الجاهل .

(٢) عازب : غائب .

بعيدُ الوصل ، فتركه التعرُّضَ لما لا يقدر على بلوغ إتمامه ، أو لى من تلبسه
بما يزيد في اغتمامه ، وقد يجوز أن يكون ظريفاً بغير عشق ، كما كان عاشقاً
بغير فسق ، لأنه لا تهياً له إقامة حدودِ العشق ، والظرفُ بلياقته ونظامته ، وتخلقه
وتعلمه ، ومداراته ومساعدته ، ولا يتهيأ له القيامُ بحدود العشق ، إذ لا مال له
فيعينه على هواه ، ولا مقدرة له فتملغه رضاه ، وإن بلى بمن يستهديه ويستكسبه ،
ويطلب برّه ، ويريد فضله ، وهو لا يقدر على ذلك ، فهي الطامة الكبرى ،
والمصيبة العظمى ، والحسرة التي تبقى ، والسكد الذي لا يفنى ، فليتحرز
الأديب من الهوى قبل وقوعه في العطب ، وليتحفظ منه قبل طلبه التخلُّصَ
من شركه ، فلا يقدر على الهرب ، وقلَّ من رأيت وقع في هوى فنجا من غمِّ ،
أو أمكنه التخلُّصُ من حبله ، ولن يقدر على التخلُّص من الهوى بعد الوقوع
في درك البلا إلا مالك لقلبه ، مانع لغزبه^(١) ، حازم في فعله ، جامع لعقله ،
فان الأديب إذا كان بهذه الصفة ، ورأى آيات الملل ، وعلامات الزلل ،
وأمارات الغدر ، ودلالات الهجر ، بادر فريسته ، وتخلص مهجته . وزجر
قلبه ، وصرف حبه . ولم يتم على طول الجفاء . ولم يعرض نفسه لطول
البلاء . ولم يستعبد بالتذلل ، والخشوع والتضرع ، ولكسبه يصر فيها صرف
مقتدر عيوف^(٢) ، ويمنعها منع مالك عزوف^(٣) ، وقد شرحتُ لك ما قيل
في المصارمة^(٤) باباً لتقف عليه ، ويبين لك صحة ما فيه ، إن شاء الله
ولا قوة إلا بالله .

(١) الغرب : الدمع .

(٢) عاف الشيء : كرهه فتركه .

(٣) العزوف : الذي لا يكاد يثبت على مودة خليل .

(٤) صارمه : قاطعه .

٢١ - باب ما جاء في مصارمة قوى الغرر

والمبادرة عند الملل والهجر

اعلم أن صَبْرَ المحب على هجر الحبيب ، تجرُّه للغصص والتعذيب ،
ومعالجة الزفير والنحيب ، وتقلُّل القلب لفرق الوجيب ، من العجز
الظاهر ، والموت الحاضر ، والمبادرة بالانصراف ، بعد تغير الألاف ، من
الحزم المكين . والرأى الرصين . وإن من أحسن ما قيل في المصارمة
قول زهير بن أبي سلمى ، حيث يقول :

ألا لقومٍ للصبي إذ يقودني وللوصل من أسماء إذا أنا طالبة
فليتك قأليني فلا وصل بيننا كذلك من يستغن يستغن صاحبه
ومما يتعلق بهذا قول المتلمس :

فإن تقبلي بالودُّ نُقبِلُ بهمله وإلا فإننا نحن أنأى وأشمس^(١)
ومثله قول نافع بن خليفة :

بآية ما قالت غنيتَ بغيرنا ونحن سمغني عنك مثلاً ونصيف^(٢)
وقال آخر :

فإن تقبلي بالودُّ نُقبِلُ بهمله وإن تدبري أدبر إلى حال باليسا
ألم نعلني أني قليل لبعاتي إذا لم يكن شيء لشيء مؤاتياً^(٣)
وقال آخر :

فإن تقبلي بالودُّ نُقبِلُ بهمله وإن تؤذنيننا بالصريمة نصرم

(١) الشماس : الامتناع ، ومنه شماس الدابة وهو ألا تتمكن من الاسراج والالجام .

(٢) صدف : ارتد وانصرف .

(٣) اللبائة : الحاجة التي يهيم الانسان قضاؤها .

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة :

سَلَامٌ عَلَيْهَا مَا أَحَبَّتْ سَلَامَنَا فَإِنْ كَرِهَتْهُ فَالسَّلَامُ عَلَى أُخْرَى
ومثله قول الآخر :

وَكَانَتْ إِذَا خَلِيلٌ رَامَ صَرْمِي وَجَدْتُ لَدَى مُنْفَسِحًا عَرِيضًا
وَأَجَادَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذْلِيَّ حَيْثُ يَقُولُ :

فَإِنْ وَصَلَتْ حَبْلَ الصَّفَاءِ فَدُمُّ لَهَا وَإِنْ صَرْمَتْهُ فَانصَرَفَ عَنْ تَحَامُلِ

ومثله قول ابراهيم بن العباس :

بِقَلْبِي مِنْ هَوَى الْبَيْضِ انصِرَافٌ وَتَعَجِبْنِي مِنَ الْبَيْضِ الْقِصَافُ ^(١)
فَإِنْ أَنْصَفْنَا فِي وُدِّي وَإِلَّا فَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ تَلْبِي خِلَافٌ
وقد أحسن الذي يقول :

كَمْ مِنْ أَخِي نِقَّةٍ قَدْ كُنْتُ أَمَلُهُ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيَاحُ الْغَدْرِ فَانْتَقَضَا
أَهْمَلْتُهُ حِينَ لَمْ أَمْلِكْ صِيَانَتَهُ ثُمَّ انْقَبَضْتُ بُودِي مِثْلَ مَا انْقَبَضَا
وَقَلْتُ لِلنَّفْسِ عُدِيهِ قَى نَزَحَتْ بِهِ النُّوَى أَوْ مِنَ الْقَرَضِ الَّذِي انْقَرَضَا
فَمَا بَكَيْتُ عَلَيْهِ حِينَ فَارَقَنِي وَلَا وَجَدْتُ لَهُ بَيْنَ الْحِشَا مَضَضَا ^(٢)

وقال عميد الله بن عبد الله بن طاهر :

أَمِطْ لِي الْهَوَى إِنْ شِئْتَ عَنِّي فَانْقَضَى عُمُودَ الْهَوَى وَاسْتَرْزَقِي اللَّهَ فِي سِتْرِ
فَلَوْ كُنْتُ لِي عَيْنًا إِذَا الْفَقَأَتْهَا وَلَوْ كُنْتُ لِي أُذُنًا رَمَيْتُكَ بِالْوَقْرِ ^(٣)

(١) قصف : نحف ودق .

(٢) المفضض : وجع المصيبة .

(٣) الوقر : نقل الأذن ، أو ذهاب السمع كله ،

ولو كنت لي كفاً إذا لقطعتها
سألتك هل للنواقض العهد والذى
فان شئت فأقليني وإن شئت فأعرضي
ولقد أحسن الخليل حين يقول :

هو يئسكم جهدي وزدت على الجهد
فان أئس فيكم زاهداً بعد رغبة
لعمري لقد أغضيت فيكم على التي
تأنيتكم بقية الصديق لتقصدا
تعزوا بيأس عن هواي فإني
أبي القلب إلا نبوة عن جميعكم
أرى الغدر ضداً للوفاء وإنني
إذا خنتم بالغيب عهدى فما لكم
صلوا فافعلوا ففعل المدل بوصله
فكم من نذير كان لي قبل فيكم
فوا أسفاً من صبوة ضاع شكرها
وأنشدني بعض المحدثين :

هجرت حبيبا كنت أحسب أنني
سأ قضى حياتي قبل هجرانه وجداً

(١) نبا الشيء : بعد وتأخر عن مكانه . السحق : البعد .

(٢) صد عنه : أعرض ومال .

(٣) صبا إليه صبوة : حن إليه .

وذلك أني كنتُ صبياً بحبه
فقالني من قلة الحفظ للوفا
فقلت لقلبي بالملامة فاضطرب
فطاوعني قلبي فبئتُ مسلماً
أجاوزُ للافراط في حبه الحدأ
بأن خانني ودّي ولم يرع لي عهدأ
ورم سلوة تلتقي بسلوتك الرشدأ
أفتش عن ودّي فلا أجد الودأ

وأشده أبو الطيب لنفسه في مثل ذلك :

عَبَبْتُ عَلَيْكُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْلَ لَيْسَ بِنَافِعِي
زَجَرْتُ فُوَادِي زَجْرَةً عَنْ هَوَاكُمْ
أَفِقُّكُمْ كَمَا يَكُونُ الْهَجْرُ يَمُنُّ تَحِبُّ
وَصَبْرُكُمْ لَوْ تَدْرِي عَلَى الْهَجْرِ سَاعَةٌ
تَعَزُّ فَإِنَّ الْعَدْرَ مِنْهُ سَجِيَّةٌ
تَعَزُّ فَإِنَّ الْيَأْسَ يَذْهَبُ بِالْهَوَى
تَعَزُّ وَدَاوِ الْقَلْبَ مِنْكَ بِهَجْرِهِ
فَطَاوَعَنِي قَلْبِي فَبِئْتُ أَرَى الْهَوَى
وَأَصْبَحَ قَلْبِي فَارِعَاً مِنْ هَوَاكُمْ
وَأُضْحَى وَمَا فِيهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْهَوَى

ولقد أحسن الذي يقول :

وَدِدْتُكَ لَمَّا كَانَ وَدُّكَ خَالِصًا
وَأَعْرَضْتَ لَمَّا صَارَ نَهْبًا مَقْسَمًا

(١) التعذال : الملامة .

(٢) الغلة : العطش الشديد .

ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه
على كثرة الوراد أن يتهدما
وقال آخر :

لا أشتهى رنق الحياض ولا التي
ولا أشتهى إلا مشارب أحرزت
وأشدني أحمد بن يحيى :

وإني لأستحي من الله أن أرى
وأشرب رنقا منك بعد مودة
وإني للماء المخالط للقذي
ومثله قول الآخر :

لقد زعمت ريبك أنك غادر
وأنت للشرب الغداة عيوف
لقد كذبت ما إن أعيج بشرب
أجاج ومالي في الوصال رديف^(٢)

وأخبرني أحمد بن يحيى ، عن الزبير بن بكار ، قال : كان نصيب يأتي خلة^(٣)
له بالأبواء ، وكان إذا أناها رحبت به أمها وأكرمته ، وفرشت له إلى جنب
ابنتها ، فجاء يوما وعندها فتى أصفر كأنه مسر ، يتولج^(٤) عليهم بيثهم بغير
إذن ، ويختلط بهم اختلاطا يكرهه نصيب ، فوثب إلى رحله فشدّه على راحلته ،
فعلقت به الجارية وقالت : ألا تبوء عندنا يا أبا محجن كعادتك ؟ فقال :
أراك طموح العين طارفة الهوى لهذا وهذا منك ود مؤالف

(١) رنق الماء : كدر .

(٢) عاج بالشيء ، : عبأ به ، يقال ما عجت بالشيء ، أى مارضيت به . أجاج الماء : صار
أجاجا ، أى ملحا مرا .

(٣) الخلة : الصداقة والصديق ، والزوجة .

(٤) يتولج : يدخل .

فَإِنْ تَحْمَلِي رِدْفَيْنِ لَا أَكُ مِنْهُمَا فَجِيئِي بِفَرْدٍ إِنِّي لَا أُرَادِفُ
وَأُنشِدُنِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ النَّحْوِيُّ لِنَفْسِهِ :

يَا مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّنَا نَهْوَاهُ وَنَذُوبُ شَوْقًا إِنْ نَأَى مَهْوَاهُ
كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ فِي بَعَادِكَ رَاحَةً إِذْ كُنْتَ مِّنْ مُّهْجَتِي تَسْأَلَاهُ
لَا يَجْمَعُ الْقَلْبُ الْقَرِيحُ صِبَابَةً وَتَأْذِيًا مِنْهُ مِنْ يَهْوَاهُ
لَكِنْ إِذَا حَلَّ الْأَذَى صَرَفَ الْهَوَى فَانزَاحَ عَنِ قَلْبِ الْمُحِبِّ هَوَاهُ
وَمِثْلَ ذَلِكَ قَوْلُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيِّ :

خَذَى الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيئِي مَوَدِّي وَلَا تَنْطِقُ فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ (١)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبِثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَصَلُّتُكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ وَاصِلًا وَبَاعَدْتُ حَبْلَ الْبُوصْلِ لَمَّا بَدَا لِكَا
تَوَهَّمْتُ مِنْكَ الْحِفْظَ وَالرَّغْبَى لِلْهَوَى يَكُونُ فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ فَعَالَكَ
زَجَرْتُ فُؤَادِي وَاجْتَمَعْتُكَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ وَنَحَيْتُ الْهَوَى عَنِ أَنْائِكَ
فَإِنْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّ فِي النَّاسِ عَاشِقًا سَلَا سُرْعَةَ يَوْمًا فَإِنِّي ذَالِكَ
وَأُنشِدُنِي غَيْرَهُ أَيْضًا :

مَنْحَتِكُمْ صَفْوَةَ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَى وَأَفْرَطْتُ حَتَّى جُرْتُ فِي ذَلِكَ الْحَدَا
وَأَعْطَيْتُكُمْ مِنِّي الْقِيَادَ وَلَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيهِ مِنْ أَهْوَى وَلَوْ شَفَّنِي وَجَدَا
فَقَابَلْتُمُونِي ضِدًّا مَا قَدْ مَنْحَتِكُمْ وَمَا كَانَ حَقِّي أَنْ أُقَابِلَهُ ضِدًّا

(١) العفو: خيار الشيء وأطيبه، ومن المال: ما يفضل عن النفقة ولا عسر على صاحبه في إعطائه، وأعطاه للمال عفواً أي بغير مسألة. السورة: الثورة والوثبة.

فقد نلتُ مما كان مني من الهوى
فإن شتمتُ جدوا الوصال من الهوى
فإني بريء لا ذكرت مودةً
وأشددني أيضا لنفسه :

مَنْ سَلَا عَنْكَ فَاسْأَلْهُ
لَا تَقُولَنَّ لَمْ وَكَمْ
فَالْعَسَى يَعْقِدُ الْهَوَى
كُلُّ حُبٍّ إِذَا انْقَضَى
لَكَ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ
وَعَسَى أَوْ لَعْلَلُهُ
وَالْتَعَزَّى يَحُلُّهُ
بَعْضُهُ هَانَ كُلُّهُ
وأشددني أبو عبد الله بن مسرّف لنفسه :

أُذِنُ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ يَدُنْ شِبْرًا
وَإِذَا مَا نَأَى ذِرَاعًا فَرِدُهُ
سَمٌّ لَا تَطْعَنَنَّ يَوْمًا عَلَيْهِ
وَهَذَا الْبَابُ عَلَى كَثْرَتِهِ ، وَاتِّسَاعِ الْقَوْلِ فِي صِحَّتِهِ ، يَعْزَى عَلَى الْأَدِيبِ فَعَلُهُ ،
وَيَنْعَهُ مِنْ اتِّبَانِهِ شَغْلُهُ ، لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى التَّخْلِصِ مِنَ الْهَوَى بَعْدَ الْوُقُوعِ
فِي شَرَكِهِ ، وَإِشْرَافِهِ عَلَى مَهْوَلٍ مَهْلِكِهِ ، إِلَّا بَعْدَ هَمٍّ دَخِيلٍ ، وَسَقَمٍ طَوِيلٍ ،
وَفِكْرٍ قَاتِلٍ ، وَشُغْلٍ شَاغِلٍ . فَتَجَرُّزُ ذَوَى النَّهْيِ مِنَ الْهَوَى بِالنِّزْوَعِ ، أَوْلَى مِنْ
إِعْمَالِ الْحِيلَةِ فِي طَلَبِ التَّخْلِصِ وَالرَّجُوعِ .

واعلم أنه لا يصلح العشق إلا لأربعة : لذوى مروّة ظاهرة ، أو زِيٍّ
ظاهرة ، أو ذى مالٍ واسع ، أو ذى أدبٍ بارع ؛ ويقبح من سواهم ، لأن

الفقير إذا تعدى طوره ، ورام أن يجاوز قدره ، قبح ذلك به ، كما أنه يقبح
بذى الغنى ترك التعرض لأسباب الهوى ، وذلك لصغر نفسه الدنية ،
وسقوط همته الرديئة ، لا يمنع من طلبه قلب ذات يده ، ولا تعذر الجدد ، بل
فساد الطبع ، وعدم الحاسة ، وموت الذات .

وبعدُ فإن كنا في تقدّمنا في غرض خطابنا ، وفصول كتابنا ، بإباحة العشق
والهوى ، ودعونا إليه الأدباء ، وحثنا عليه الظرفاء ، ومألانا بذلك كتابنا ،
فإننا نفرّد للنصيحة فيه باباً يميل إليه أهل التدبير ، وأهل المعرفة والتبجّر ،
ويرغب فيه العاقل ، ويزهد فيه الجاهل ، لأنى لم أخله من كلام منشور ، وشعر
مشهور ، فقف على ما أصلت^(١) بين لك ما فرعت^(٢) ، إن شاء الله .

٢٢ - باب النهى عن الرهوى

والتعرض لأسباب الضنى

اعلم أنه يقبح بالرجل الأديب ، والعاقل اللبيب ، أن يستخذى فى هواه ،
ويملك قلبه سواه ، ويكون خادم قلبه ، وأسير حبه ، لاسيما مع تعبير الزمان ،
وغدر الأحاباب والخلائن ، ما يجد فيهم خليلاً صادقاً ، ولا يصاحب إلا ما ذقاً^(٣) ،
ثم أن أجهل الجهالة ، وأضل الضلالة ، صبر الفقى الأديب على غدر الحبيب ،
فإن الصبر على الخيانة والغدر ، يضع من المروّة والقدر ، وقد قال بعض
الشعراء فأحسن :

وإني وإن حننت إليكم ضمائرى فما قدر حتى أن يذلّ له قدرى
فلا ينبغى لأحد أن يذلّ لهواه ، فيشمت بنفسه أعداه ، ولا يركن إلى

(١) أصله : بين أصله أو أصلته .

(٢) الماذق : الذى لم يخلص الود .

واحدة من النساء الحرائر والاماء ، فبكلهن في الغدر سواء ، وما لواحدة
منهن عهد ولا وفاء ، ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
حيث يقول :

ألا أيها القومُ المحبُّونَ وَيَنحَكُمُ تَعَزَّوْا عَنِ الْأَحْبَابِ وَاحْتَسِبُوا الْأَجْرَا
فما واحدٌ منهم يُوَافِي لِوَاحِدٍ وَصَاحِبِي تَجْزِي وَفَأَيُّ لَهَا غَدْرَا
فلو كُنْتُ مِنْ صَخْرٍ لَمَا كُنْتُ صَابِرًا وَمَا أَنَا مِنْ صَخْرٍ وَمَا أَتْرُكُ الصَّبْرَا

وقد بلغنا أن ببعض بلاد الهند قوما لا يعشقون ، ويرونه ضربا من
السحر والجنون ، وذلك لمن فيهم الفلسفة ، ولهم الحكمة والتجربة .

وزعموا أن سبب العشق سبب النوى ، وفيه المذلة والعناء ، ومنه يكون
السقم والضعف ، وأكثر من في النساء وفاء . أسرعن خيانة وجفاء ،
وأعطاهن حلفا وإيمانا ، أسرعن خبثا وسلوانا ، فيأرحمتي للأدباء ، وشفقتي
على الظرفاء ، فما أطولَ بلاءهم ، وأكثرَ شقاءهم ، وأسخنَ عُيونهم ، يبتلى
العزيرُ منهم بالذليلة ، والكثيرُ منهم بالقليلة ، والشريفُ بالدنية ، والنبييلُ
بالزرية ، فيطول في عشقها سهره ، ويكثر في أمورها فكره ، وتنهل عليها
إذا نأت دموعه ، ويطول لديها إذا قربت خضوعه ، وهي تُظهر له المحبة ،
وتُبدى له الرغبة ، وتحلف بالايان المحرَّجات ، والعهودِ الموكدات ، انه
حظها من الآدميين ، وشغلها دون سائر العالمين ، وتُريه الجزع عند الفراق ،
والفرح عند التلاقي ، فتملأ قلبه هُما ، وتورثه ضنى وسقما ، وهي تكاتب
سواه ، ولا تبعأ بهواه ، لها في كل زاوية ربيط ، وفي كل محلة خليط ، لم
يَعُدُّهَا^(١) قول الشاعر :

(١) عدا الأمر وعن الأمر : تركه .

فِيَا مَنْ لَيْسَ يُقْنِعُهَا مُجِبٌ وَلَا أَلْفًا مَحَبٌّ كُلَّ عَامٍ
أَظُنُّكَ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَضْرِبُونَ عَلَى طَعَامٍ
أَتَيْتُ فُؤَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الرَّحَامِ
وَلَا قَوْلُ الَّذِي أَنشَدَنِي قَوْلَهُ أَيْضًا :

الْحَانَ يُعْجِزُ عَنْ قَوْمٍ إِذَا كَثُرُوا لَكِنَّ قَلْبِكَ مِثْلُ الْخَانِ أضعافُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ خَمْسُونَ بِشَقِّهِمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَهُ أَلْفٌ وَآلَافُ
وَحِكِي الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ : أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ هُوِيَ جَارِيَةٌ ، فَتَمَسَّكَ
بُودَّهَا ، وَرَكَنَ إِلَى مَحَبَّتِهَا ، ثُمَّ أَطَّلَعَ عَلَى أَنَّهَا لَا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ ، فَقَطَعَهَا
وَأَنشَدَ يَقُولُ :

أَلَا حَتَّى أَظْلَلَا لِوَأَسِعَةِ الْحَبْلِ أَلَوْفٍ تَسَوَّى صَالِحِ الْقَوْمِ بِالرِّذْلِ^(١)
فَلَوْ أَنَّ مَنْ أَضْحَى بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ إِلَى الرَّمْلَةِ الْقُصْوِيِّ بِسَاقِطَةِ النَّعْلِ
جُلُوسًا إِلَى أَنْ يَقْضِرَ الظِّلُّ عِنْدَهَا لَرَأَوْا وَكُلُّ الْقَوْمِ مِنْهَا عَلَى وَصْلِ
وَمِنْ أَكْثَرِ الْمَحَالِ ، وَأَحْمَقِ الْمُقَالَ ، قِنَاعَةُ الْمَرْأَةِ بِصَدِيقٍ ، وَصَبْرُهَا عَلَى
رَفِيقٍ ، أَحْسَنُ مَنْ فِيهِنَّ حَالًا ، وَأَقْلَمُنَّ أَشْغَالًا ، مَنْ لَهَا صَاحِبٌ مَشْهُورٌ ،
وَخَلِيلٌ مُسْتَوْرٌ ، وَرَبِيبٌ تَرَاوَسَهُ ، وَصَدِيقٌ تَحَامَلَهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِأَمَالٍ ،
وَلَا لَطَمَعٍ وَأَمَالٍ ، فَقَدْ كُنَّا تَقَدَّمْنَا فِي بَابِ صِفَةِ الْقَيْنَاتِ ، وَمَا طُبِعَ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَكْرِ وَالْخِيَانَاتِ ، أَنَّهُنَّ يَكْتَسِبْنَ بِالْهَوِيِّ وَالْعَشْقِ ، وَيُدَاكِرْنَ بِالتَّعَلُّقِ
وَالرَّفْقِ ، وَلَيْسَ بِنَاتِ الْبِيوتِ فِي الْخُدُورِ ، وَرَبَّاتِ الْحِجَالِ^(٢) وَالْقُصُورِ ،
كَذَوَاتِ الْمَذِقِ مِنَ الْقَيْنَاتِ ، وَكَذَوَاتِ التَّمَكُّبِ مِنَ الْمُتَقَنِّيَاتِ ، فَإِنَّ هُوَ لَأَمْ

(١) الحبل : الوصال . الرذل : القبيح .

(٢) الحجال : جمع الحجلة : ستر يضرب للعروس ، أو بيت يزين لها .

معروفات بطلب الدراهم والأموال ، منسوبات الى التكبُّب بتعشُّق الرجال ،
لا يقدم عليهم إلا مغرور ، ولا يثق بهم إلا مسحور ، وإنما يذهب على
أهل الألباب ، وأهل التطرف والآداب ، مكرُ البنات المخدَّرات ،
والغواني المحجَّبات ، اللواتي لم ترهن العيون ، ولم تكثرفيهن القالة والظنون ،
اللواتي يبذلن نفيسَ الأموال لمن يتعشَّقنه ، ويعنِّين من راسلته وكاتبته ،
وتزعم أنهن وراء الحجاب ، ودون الأقفال والأبواب ، وأنهن لا فرجَ
لهن إلا في المكاتبه ، ولا فرجَ إلا في المراسلة ، ولا سرور إلا في النظر من
بعيد ، ولا يقدرن على اللقاء إلا في الخروج في كلِّ عيد ، وأولئك اللواتي
تخف أمورهن ، وتعنى سرائرهن ، ويطمع الجاهل فيهن ، ويصبوا النزق^(١)
إليهن ، وينق بحبهن الأحداث والأطفال ، ولا يتمسك بهودتهن إلا الجهال ،
مع أن مكرهن أخفى من الخيال ، وأعظم من راسيات الجبال ، تنفذ حيلهن
على الرجال ، ويتمكَّن كيدهن من الأبطال ، وفيما خبر الله جل ثناؤه في بعض
القرآن من عظيم كيدهن ، ولطف حيلهن ، ما يغنى عن شرح كثير من سرهن ،
وإن في قصة زليخا ويوسف ما يستغنى به ذوو العقل والافهام من مكرهن
القوى ، وكيدهن الخفي ، ولن يحترز منهن إلا المجرب ، ويتقى منهن
الامدرب ، فإن ذا الحكمة إذا كان بهن عليما ، وكان في أمورهن حكيما ،
أخذ من حبهن عَفْوَه ، وشرب من هواهن صفوَه ، ولم يعلق بهن فؤاده ،
ولم يلمكن قياده ، وذلك الحسن الحال ، والرخي البال ، لم تُورقه الغموم ،
ولم تُنضجه الهموم ، لا كالذي غلب عليه الشتاء ، وأُتيح له البلاء فركن

(١) نزق الرجل : نشط وطاش وخف عند الغضب .

الى حبّهن ، ودعته الرغبة الى ودّهن ، فتمكن منه الهوى ، وتفرد به الضنى ،
وتلك لا تشعر بسهره ، ولا تعباً بفكره ، وبالله أقسم صادقاً لو حلفت ،
أنهن لا يعرفن شيئاً من الوفاء ما حنثت ، ولو بحث المغرور بهن ، المخدوع
بجهن ، عن صحيح أخبارهن ، وفحص عن مكنون أسرارهن ، لو قف على
صورة غدرهن ، ولبأن له جملة من مكرهن ، وهن عليه بعد الكرامة ،
ولرجع على نفسه بالملامة ، كما أنشدني بعض الأدباء لنفسه :

أَوْصَلَكِ أَرْجُو بَعْدَ أَنْ رَثَّ حَبْلُهُ
لَقَدْ ضَلَّ سَعْيِي إِذْ رَجَوْتُ مَلُولًا
أَتُوبُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ تَوْبَةٍ
فَقَدْ هُنَّتْ فِي عَيْنِي وَكُنْتَ جَلِيلًا
إِذَا لَمْ يَجِدْ الْفِي عَنِ الْغَدْرِ مَذْهَبًا
وَجَدْتُ إِلَى حُسْنِ الْعَزَاءِ سَبِيلًا
فَوَاللَّهِ لَا أَرْضَيْتُ دَاعِيَةَ الْهَوَى
إِلَيْكَ وَلَا أَغْضَبْتُ فَيْكَ عَدُولًا

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا :

سَأُغْدِرُ حَتَّى تَعْجَبُوا مِنْ خِيَاتِي
فَمَا لِي ذَنْبٌ غَيْرُ حُسْنِ وَفَائِي
وَلَوْ لَا أُمُورٌ عَارَضَتْ مَا سَبَقْتَنِي
إِلَى الْغَدْرِ حَقًّا لَوْ تَرَكْتِ وَرَائِي
سَأَنْزِفُ دَمْعِي حَسْرَةً وَتَنْدَمًا
عَلَى مَا مَضَى مِنْ صَبَوْتِي وَعَنَائِي

وَأَنْشَدَنِي لِلْحُسَيْنِ الْخَلِيعِ :

تَرَاكَ عَلَى الْأَيَّامِ تَنْجُو مُسَلِّمًا
وَلَسْتَ تَرَى مِنْ غَدْرَةٍ أَبَدًا بَدًّا
السُّتَ الَّذِي آلَيْتَ بِاللَّهِ جَاهِدًا
يَمِينًا وَخُنْتَ اللَّهَ مَوْثِقَهُ عَمْدًا
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدٌّ بَدَلْتُهُ
لِمَنْ خَانَنِي وَدَّى وَلَمْ يَرْعَ لِي عَهْدًا
عَدِمْتِكَ مِنْ قَلْبٍ أَقَامَ لِنِجَادِ
عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُنِي جِدًّا

ومن ذلك قول الحكمي :

ألا في سبيل الله ودُّ بذلته
سوى ما إذا فمكرت فيه وجدتنى
وأُنشدنى بعض الأدباء لنفسه :

توَأفَيْتَ لِي حَتَّى حَسِبْتُكَ مُعْرَمًا
وَمَالِكُ شَيْءٍ مِنْهُمَا غَيْرُ أَنْبَى
وَمَا كُنْتُ أُدْرِي كَيْفَ يَصْبِرُ عَاشِقٌ
فَأَنْقَذْتَنِي بِالْغَدْرِ مِنْ غَمْرَةِ الْهُوَى
وَلَوْ لَمْ تُخَلِّصْنِي بِغَدْرِكَ لَمْ أَجِدْ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْلَ شَخْصِكَ ظَالِمًا
فَجُوزَيْتَ عَنِّي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
سَيَنْدُمُ إِنْسَانٌ لِعَهْدِ خَلِيلِهِ
وَأُنشدنى أيضاً :

يا قلب قد بان من كلفت به
شغلك بالفكر في تغيره
قد يسلم العاجز الضعيف وقد
وقد يفوت القريب مطلبه
فإن يذقك الوصال حسرتة

لمن لم يكن مني لمعشكاه أهلاً
أفوز به أنى اكتسبت به عقلاً

وأعرضت حتى خلت نفسي مجرماً
أراك ترى نقض المواقيق مغمماً
ولا كيف يسلى بعد أن يتيمماً
وعلمت قلبي الصبر حتى تعلماً^(١)
إلى سلوة حتى القيامة سلماً
تعمد أن يجنى فأصبح مغمماً
فكل أمرى يجزى بها قد تيمماً
وقل لمن لم يرع أن يتندماً

نفل عنك البكاء من أثره
أعظم مما لقيت من حذره
تتلف روح القوى من غيره
وقد يؤوب البعيد من سفره
فقد جنيت اللذيد من ثمره

(١) غمرة الشيء : شدته .

(٢) غير الدهر : أحداثه .

فَارْحَلْ فَمَنْ لَا يَحِلَّ مَوْرِدُهُ يُفَضُّ بِهِ صَفْوَهُ إِلَى كَدْرِهِ

ولقد أحسن الحكمي حيث يقول :

أَيُّهَا الْمُتَّابُ عَنْ عَفْوِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلَى وَلَا سَمْرَةَ^(١)
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ^(٢)

وأنشدني محمد بن خلف أحد الفقهاء ، وأحسن في قوله :

إِذَا كُنْتُ لَا أَنْفَكَ مِنْكَ مَرَوَّنَا بَعْدُ فَإِنَّ الْهَجْرَ لَيْسَ بِرَائِعٍ^(٣)
إِذَا خَانَنِي مَنْ كُنْتُ أَهْوَى وَصَالَهِ فَلَسْتُ بِجِنَاتِ الْخُلُودِ بِقَانِعٍ
أَبْتُ عَزَمَاتِي أَنْ يَقُودَ زِمَامَهَا إِلَى غَادِرٍ بِالْعَهْدِ ذُلَّ الْمَطَامِعِ
فِيَا مَنْ بِهِ كَانَتْ حَيَاتِي حَبِيبَةً إِلَى وَمَنْ لَوْلَاهُ قَلْتُ رَوَائِعِي
تَعَزَّ بِبِئْسَ عَنْ تَذْكَرٍ مَا مَضَى فَلَسْتُ لِمَنْ لَمْ يَرَعْ عَهْدِي بِتَابِعٍ
وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ يَرُقْ دَمْعِي تَأْسُفٌ عَلَيْكَ فَمَا قَلْبِي إِلَيْكَ بِرَاجِعٍ

وأجود ما قيل في هذا الباب قول أبي ذؤيب الهذلي :

فَإِنْ تُعْرِضِي عَنِّي وَإِنْ تَتَبَدَّلِي خَلِيلًا وَإِحْدَاكُنَّ سَوْءٌ قُصَارَهَا^(٤)

(١) المتتاب لك : القاصدك المتردد عليك . والعفر : طول العهد . لست من ليلى : لست من سمارى ليلا . والخطاب لصديقة ، اتصلت بصديق له ، يبرأ منها ، وإن كان في الظاهر لذكر ، إذ المقصود الشخص .

(٢) ذاد عنه : حماه ودافع عنه ، والبيت للشميل ، يقول : لأحميك بعد خيانتك .

(٣) لا أنفك : لا أزال . مروع : فزع . الرائع : المعجب .

(٤) قصارها : مصيرها الذى تصير اليه ، أى الغاية التى تحبس عندها وتقف فلا تتعداها ،

ويروى : فان تصرمى حبلى وإن تبدلى

فإني إذا ما خُلِّتَ رَثَّ حَبْلُهَا وَجَدَّتْ لِصِرْحِي وَاسْتَمَرَ عِذَارُهَا ^(١)
وَحَالَتْ كَحَوْلِ الْقَوْسِ طَلَّتْ وَعُطِّلَتْ ثَلَاثًا فَأَعْيَى رَدُّهَا وَظَهَارُهَا ^(٢)
فإني قَمِينٌ أَنْ أُودِعَ عَهْدَهَا بِحَمْدٍ وَلَمْ يُرْفَعِ إِلَيْنَا شَرَاهَا ^(٣)

وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول :

ألم تر أن المرءَ تدوى يمينه فيقطعها عمداً ليسلم سائرهُ
وكيف تراه بعد يُمنّاه صانعاً بن ليس منه حين تدوى سرأثرهُ
فهكذا العمرى ينبغي أن يفعل الأدباء ، وبمثل هذا فليتعظ الظرفاء ، وقد
يجب على العاقل المتأدب وذوى الحنكة والتجارب أن يجعل المرأة بمنزلة
الريحانة ، يتنعم بنضرتها ، ويتمتع بزهرتها ، حتى إذا جاء أوان جفافها ،
وحالت عن حالها في وقت قطافها ، نبذها من يده وألقاها ، وباعدها من مجلسه
وقلاها ، إذ لم يبق فيها بقية لمستمع ، ولا لذة لمستمع ، والله درّ الذى يقول :
تمتع بهما ما ساعفتك ولا تكن عليك شجاً فى الخلق حين تبين
وإن هي أعطتك اللبان فإنها لآخر من خلانها ستلين
وإن أقسمت لا ينقض النأى عهدها فليس لمخضوب البنان يمين
ومثل ذلك قول النمر بن تولب :

وكلُّ خليلٍ علته الرعا ثُ والحَبَلاتُ كذوبٌ مَلِقُ

- (١) الخلة : الخليفة . رث : خلق . واستمر عذارها : انقتل ، يقال : أمرت الحبل فاستمر ، أى قتلته قتلاً شديداً فانقتل ، وهذا مثل ، يقال : لوى عنى عذاره : إذا عصى
(٢) حال : تحول من حال إلى حال . طلت : أصابها الندى (الطل) . ظهار القوس : ظهرها .
يشبه خليلته في تحولها وعدم استقامتها على وده بقوس أصابها الطل فنديت ، وعطلت ، أى ألقى
وترها ثلاثة أشهر ، فاعوج مقبضها وظهرها ، وأعيت تلك القوس أن ترجع إلى استقامتها .
(٣) القمين : الخلق الجدير . الشنار : العيب والكلام القبيح .

ومن جيد ما قيل في هذا الباب ، مما يجب قبوله على ذوى الألباب ، قول

الحكم بن معمر الخضرى ، أحد بنى حِصْنِ بن مُحَارِبِ :

وبعضُ الهوى داءٌ وفي اليأسِ راحةٌ إذا انبتَّ وصلُّ لو نبأ بك منزلٌ^(١)
وذو العقل لا يأسى على وصلِ خلةٍ إذا لم يكن يوماً عليها معولٌ
فلاترضَ بالأمر الذى ليس بالرضى إذا كنتَ تعتمأُ الأمورَ وتفصيلٌ^(٢)
إذا المرءُ لم يُحبِّبِك إلا تكررهما فدعُه ولا يعجزُ عليك التحوُّلُ
وفي الأرضِ أكفاءٌ وفيها مرأغمٌ عريضٌ لمن خاف الهوانَ ومرحلٌ^(٣)
وأن يُقطعَ الأمرُ الذى أنتَ قادرٌ على جدِّه منه أعفُ وأجملُ^(٤)

والكلام في هذا الباب مطرد^(٥) ، والقول فيه منسرد^(٦) ، ولكن كرهت

به إطالة الكتاب ، واقتصرت على قليل من الخطاب ، وأبدت نصيحتى
للأدباء ، ر أهل المعرفة والعقلاء ، وأخبرت بما صحَّ عندى ، وبالغت في
النصيحة جهدى ، فان رغب فيها رغبٌ فغير ملوم ، وان زهد فيها زاهدٌ
فغير مذموم ، وأنا أعود الى ذكر الظرف والهوى ، فقصد مضى من هذا
الباب ما كفى .

واعلم أن للعشق سُمَّةً مقصودة ، وللظرف شرائعٌ محدودة ، ورأينا أربابه

(١) انبت : انقطع

(٢) عتم عن الأمر : كف عنه بعد المضى فيه

(٣) المرأغم : المهرب والمذهب .

(٤) جدّه : قطعه فانقطع . أجمل : أحسن

(٥) اطرد الأمر : تبع بعضه بعضاً واستقام وتمثلت أحكامه ، ومنه حكم مطرد ،
أى عام لاشذوذ فيه .

(٦) منسرد : متتابع في نظام .

وأهله وطلابه متبعين لسبلها^(١)، متمسكين بحبلها، متى حالوا عنها شموا بغير اسم الظرفاء عند أهل الظرف، ودعوا الى غير سمة العشاق والأدباء، ولهم فيما استحسناه من الزي والطيب والنياب، والهدايا والطعام والشراب، حدٌ محدود، مستحسن معلوم، وزى بين الطائفتين مقسوم، لا الرجال يتجاوزون ما حد لهم الى حد متظرفات النساء، ولا النساء يتجاوزن حدهن الى حد الرجال الظرفاء، وأنا أصف لك زى الفريقين من الظرفاء والمتظرفات، وأشرح لك ما عليه هؤلاء وهؤلاء من الزي والهيئات، إن شاء الله.

٢٣ - باب ذكر زى الرجال الظرفاء في الألباس
المستحسن عند سروات الناس^(٢)

اعلم أن من زى الرجال الظرفاء: وذوى المروّة والأدباء، الغلائل^(٣) الرقاق، والقمص السفاق^(٤)، من جيد ضروب الكتان، الناعمة النقيّة الألوان، مثل الدبيقي^(٥) والجنّابى والمبطنات التاختج والخامات، ودراريع البردجرد^(٦) والاسكندراني، والملحم الخزى^(٧) والخراساني، ومبطنات القوهي^(٨) الرطب، وأزر القصب الشرب، والأردية المحشاة العدنية، والطيايسة

(١) السبل: جمع السيل، الطريق.

(٢) سروات الناس: سادتهم.

(٣) الغلائل: جمع الغلالة، شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع.

(٤) سفق الثوب: كان سفيقا، أى كشيئا.

(٥) الدبيقي: نسبة الى دبيق، وهى قرية من قرى دمياط تنسب اليها الثياب المثقلة.

(٦) الدراريع: جمع الدراعة: جبة مشقوقة من الإمام. وبردجرد: بلدة بين الكرخ

وهمدان.

(٧) الأثواب الملحمة: المسدودة من قدام. والخز: الحرير، أو مانسج من صوف وحرير

(٨) القوهي: ثياب بيض.

الملحَم النيسابورية، والمُصمَّمة الدَّبِيقِيَّة، والجِباب النيسابورية، والمُصمَّمة الطَّرَازِيَّة، والوَشَى السَّعْدِيَّة، والخزُّوز الكوفية، والمطارف السُّوسِيَّة، والأَكْسِيَّة الفارسيَّة، والطَّيَالِسَةُ التُّومَسِيَّة الزُّرُق السُّلُولِيَّة، وكلُّ ما أشبه ذلك وقاربه، ودنا منه وصاحبه؛ وليس يُستحسن لبس الثياب الشَّيعة الألوان، المصبوغة بالطَّيب والزعفران، مثل الملحَم الأصفر، والدبِيق المعنبر، لأن ذلك من لبس النساء، ولبس القينات والإماء، وقد يلبسون ذلك في الفصد والعلاجات، ووقت الشراب والخَلَّوات الغلائل الممسَّكة، والقمص المعنبرة، والأردية الملونة، والأزر المعصفرة، وربَّما استعملوها لفرشهم، ولبسوها في وقت قصفهم^(١)، وتظرفوا بها في مجالسهم، وتخفَّفوا بها في منازلهم، والظهور فيها قبيح بالسوقة والظرفاء، مستحسن من أهل النعم وأبناء الخلفاء وليس يُجيز أهل الظرف والأدب لبس شيء من الثياب الدنسة مع غسيل، ولا غسيل مع جديد، ولا الكتَّان مع المرُوي، ولا البياض مع القوهي أيضا، وأحسن الزيِّ ما تشاكل وانطبق، وتقارب وانفق.

٢٤ - باب زي الظراف

في التَّكِّ والنعال والخفاف

ومن زيِّهم لبس النعال الزَّيجِيَّة، والثخان الكَنْبَاتِيَّة، والمشعرة اليمانية، والحذو اللطاف، والمختمة الخفاف، ويشرك أسودها بأحمر، وأصفرها بأسود، ويلبسون الخفاف الهاشمية، والمكسورة الكتَّانية، ومن الأدم للنخين، والأسود الرزين، بالجوارب الخزُّ، والمرعزي والقز، ويعميون

(١) القصف: الإقامة في الأكل والشرب واللهو

لبسَ الأحمر من الخفاف ، ولبسَ الدارشيّة الخفاف ، ويتخذون التّكك الإبريسمية ، والتكك الخزيّة ، والمطارف القطنية ، والمنقوشة الأرمنيّة .

٢٥ - باب زيّهم المخصوص

في الخواتيم والفصوص

التختم بالعقيق الأحمر ، والفيرُ وزج الأخضر ، والفِضة المحرقة ، والياقوت الاسمانجوني ، والبجاذي الخراساني ، والمعراية الحجر ، والياقوتية الصفر ، واليانية السود ، الحسنة القدود ، على الخواتيم المهرانية ، والمضروبة المتوكّلية ، ولا يتختمون بالذهب ، وليس من زي ذوى الأدب ، وإنما هو من لبس النساء ، ولبس الصبيان والاماء .

٢٦ - باب زيّهم في التعمّط والطيب

الذي من خالفه كان غير مصيب

ومن زيّهم في التعمّط والطيب بالمسك المسحول^(١) ، بماء الورد المحلول ، واستعمال العود المعنبر ، بماء القرّ نفل الخمر ، والنّد السلطاني ، والعتبر البحرائي ، والعبير والذرائر المفتوقة بالعبائر ، وسوى ذلك من الطيب لا يقربونه ، والكافور لعلّة برده لا يستعملونه ، إلا من حرارة ظاهرة ، أو من علّة غالبية ، أو موضوعا على الحجر ، مخلوطا بعبير المسك وزعفران الشّعْر ، وهو بهذه الصفة أطيب البخور ، وليس البرمكيّة وما أشبهها عليهم ؛ حظور ، وإنّ الجيّد من البرمكيّة ، من البخور الذّكيّة ، وإنّما يكره استعمالها المتطرّفون

(١) المسحول : المسحوق .

إذ هي مما يستعملونه المتقللون . وكذلك اجتنبوا ماء الخلق^(١) لأنه من طيب النساء . والغالية^(٢) إذ هي من طيب الصبيان والاماء ، ولا يستعملون شيئاً من الطيب الذفر^(٣) ، مما يبدو له لون ويبقى له أثر ، وفي ذلك حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : طيب الرجال ما ظهر رائحته^(٤) ، ومتى استعملوا شيئاً من الغالية أو طيب النساء ، كانت في أصول الشعر ، بحيث يشم ولا يرى له أثر .

٢٧ - باب في منظر فوات النساء

في اللباس المخالف لزيّ الظرفاء

لبس الغلائل الدخانية ، والأردية الرشيدية ، والشروب المزرة ، والأردية الطبرية ، والقصب الملوّن ، والخير المعين ، والمقانع النيسابورية ، وأزر الملحّم الخراسانية ، والجربانات^(٥) الخناقية ، والسكّام المفتوحة ، والسرراويلات البيض المذيلة ، والمعاجر^(٦) السود المسنبكة ، ولا يلبس شيئاً من التلك ، ولا شيئاً من المرشوش والمطيّب ، ولا النقيّة الألوان ، ولا من الثياب البياض الكتّان ، إلا ما كان ملوّناً في نفسه ، أو مصبوغاً من جنسه ، أو مغيراً بلون من أجناس الممسك والمصنّدل ، وأجناس المعنبر والمسنبل ، ليحول بالطيب عن تلك الحال ، إذ لبس البياض عندهم من زيّ الرجال ،

(١) الخلق : ضرب من الطيب أعظم أجزاءه الزعفران .

(٢) الغالية : أخلاط من الطيب .

(٣) ذفر الشيء : ظهرت رائحته واشتدت ، طيبة كانت أو خبيثة ، وأغلبه في الخبيثة .

(٤) أجامع الصغير للسيوطي : طيب الرجال ما ظهر ريحه وخنق لونه ، وطيب النساء

ما ظهر لونه وخنق ريحه .

(٥) الجربان : طوق القميص .

(٦) المعجر : ثوب تشده المرأة على رأسها .

ولا يلبس أيضا من الثياب الأصفر والأسود والأخضر، والمورّد، والأحمر،
إلا ما كان جنسه الصفرة أو التزريق، والخضرة والتوريد والحمر، مثل اللاذ
والحرير والقز، والديباج، والوشى والحز، لأن لبس المورّد والأحمر،
والسنيرى الأخضر، إنما هو من لبس النساء النبطيات، ولبس الاماء
المتقينات. والبياض عندهم من لبس المهجورات، والأزرق والحذاد من
لبس الأرامل والمقرّعات. وأحسن الذى عندهم ما ذكرناه، وليس يتجاوز
حد ما رسمناه.

٢٨ - باب زيهرى المتخالف لزي الرمال

فى لبس التكم والخفاف والنعال

لبس النعال الكتبانية المشعّرة، والمدهونة المخضّرة، والخفاف الزنانية،
والمكسورة والرهاوية، والتكك الابريسية، والرجال يشركونهن فى التكك
الابريسية، ولا يشركن الرجال فى التكك الديباج المنسوجة، وشرايات
الابريسيم المفتولة، والزنانير العراض، ولا يذهبن فى ألوانها إلى البياض،
ولما كان منها كثير الألوان والتخطيط، ويتطيرن من الألوان، وقد يلبس
أيضا التكك الخزية المطرقة القطنية.

ومن زيهن أيضا فى الطيب، الذى ليس للرجال فيه نصيب، استعمال
اللخاخ والصندل، والصياح والقرنفل، والساهرية والأدقال، والمعجونات
والزعفران، والخلوق وماء الخلوق، والكافور وماء الكافور، والمثلثة
الخزائنية، والبرمكية السلطانية، وسائر صنوف الأدهان، من البنفسج
والزنبق والبان، إلا أنهم اجتمهبن استعمال الترشنام، والرجال لا يستعملون

شيئا من ذلك ، وَالنِّسَاءُ يَسْتَعْمَلْنَ جَمِيعَ طَيِّبِ الظَّرْفَاءِ ، وَالظَّرْفَاءُ لَا يَسْتَعْمَلُونَ
شيئا من طيب النساء .

وَمِنْ زِينَةِ الْمَعْلُومِ ، فِي لِبْسِ الْحُلِيِّ الْمَنْظُومِ ، لِبْسُ مَخَانِقِ ^(١) الْقُرْنَفِ
الْمَخْمَرِ ، وَمَراسِلِ الْكَافُورِ وَالْعَنْبَرِ ، وَالْقَلَائِدِ الْمَفْصَلَةِ ، وَالْمَعَادَاتِ الْمَخْرَمَةِ ،
بِشَرَابَاتِ الذَّهَبِ الْمَشْبُوكَةِ ، وَالْأَبْرِيَسْمِيَّةِ الْمَسْمُوكَةِ ، وَاتِّخَاذِ السَّبَّجِ ^(٢) اللَّطِيفِ ،
مِنَ الْمَخْرُوطَةِ الْخَفَافِ ، وَمِثْلِ السَّبَّجِ الْحَلِكَ ، وَالْكُوهْرِ وَالْكِرْكِ ، وَالْبَلُّورِ
النَّقِيِّ ، وَحَبِّ اللَّوْلُؤِ السَّرِيِّ . وَالْحَبُّ الْأَحْمَرُ ، وَالكَارِبَا الْأَصْفَرُ . وَسَائِرُ
صَنُوفِ الْيَاقُوتِ وَالْجَوْهَرِ ؛ وَيَنْظُمْنَ بِالْحَبِّ وَصَنُوفِ الْجَوْهَرِ كِرَازِنِينَ ^(٣) ،
وَيَنْقِشْنَ بِالْأَبْرِيَسِيمِ وَالذَّهَبِ عَصَائِمَهُنَّ ، وَيَتَّخِذْنَ خَوَاتِيمَ الْمُقَرَّنَةِ ، وَالْمُنَاقِيرِ
الْمَطْبُوقَةِ ، بِفُصُوصِ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ ، وَالزُّمُرِّ الْأَخْضَرِ ، وَالْأَسْمَانِجُونِيِّ
وَالْأَصْفَرِ ، وَلَا يَحْسِنُ بَيْنَ التَّخْتُمِ بِالْمِينَا وَالْعَقِيقِ ، وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ ، وَالْمَلُوحِ
وَالْفَيْرُوزِجِ ، وَالْبِجَازِيِّ وَالْمَسَانِيحِ ، وَذَلِكَ مِنْ لِبْسِ الرِّجَالِ وَالْإِمَاءِ ، وَلَيْسَ
مِنْ لِبْسِ مَتَطَرِّفَاتِ النِّسَاءِ ؛ وَلَا يَتَّخِذْنَ مِنْهَا مَا ضَاقَ وَعَسُرَ ، وَلَا مَا جَفَا
وَكَبُرَ ، وَقَدْ تَطَيَّرَ بَعْضُ الظَّرْفَاءِ مِنْ هَدِيَّةِ الْخَاتَمِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى
الْقَطِيعَةِ ، وَتَهَادَاهِ آخَرُونَ وَأَقَامُوهُ مَقَامَ التَّذْكَرَةِ وَالْوَدِيعَةِ ، فَأَمَّا الَّذِينَ
تَطَيَّرُوا مِنْهُ فَيَنْشُدُونَ :

وَمَا كَانَ هَذَا الْهَجْرُ مِنْ طَوْلِ بَعْضَةٍ
مَزْحَتُ لِحْيَتِي مَرَّةً بِخَوَاتِيمِ
فَصَدَّتْ وَلَمْ تَعْلَمِ عَلَى خِيَانَةٍ
وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَزْحِ لِلرِّءِ قَاتِلُ
لَاخِذَهُ حَلَّتْ عَلَى النَّوَازِلِ
وَطَوْلُ صُدُودِ الْخَلِّ لِلْعَقْلِ سَامِلُ ^(٤)

(١) الخانق : جمع الخنقة ، القلادة

(٢) السَّبَّجُ : جمع السَّبْجَةِ وَهِيَ كِسَاءٌ أَسْوَدٌ

(٣) الْكِرَازِنُ : جمع الْكِرْزَنِ وَهُوَ تَاجُ مَلُوكِ فَارِسٍ وَهُوَ مَرْصَعٌ بِالذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ

(٤) السَّامِلُ : الْخَلْقُ الْبَالِي

وينشيدون أيضا :

إني مزحتُ ولم أعلم بِخاتمِهِ
قد كنتُ ما قال أهلُ الظرفِ أنكرَهُ
إنَّ الخواتيمَ فيها قطعُ وصلِكمُ
حتى أبتليتُ فكان الحقُّ قولَهُمُ
فكان منه ابتداءُ الهجر والغضبِ
وكان قولُهُمُ عندي من اللَّعبِ
فقلتُ هذا لعمرى غايةُ الكذبِ
أخذُ الخواتيمَ فيه أكثرُ العطبِ

وأُشدني صديق لي في ضدِّ ذلك :

يقول أناسٌ في الخواتيمِ إنَّها
بأنَّ خواتيمَ الملاحِ وصولةٌ
تقطعُ أسبابَ الهوى وأقولُ
وخاتمٌ من تهوى الملاحُ وصولُ

والعلةُ فيما كرهه الظرفاءُ ، وتطير منه الأدباءُ ، من هديَّة التُّسكة والخاتم ،
حتى صار مستفيضاً في العالم ، أن هذين وحديهما من جميع اللباس أن يُستظرفا
فيستلبا ، ويُستحسنا فيستوهبا ، وأن الواحد إذا أهدى الى خليله ، وأرسل
الى حبيبه ، بخاتمة أو توكّته ، ففقد ذلك من يده أو حزّته ، بعثه باعثٌ من غيرته ،
على قطيعته وهجرته ، فأما من يتلقّى هديّة اخائه بالقبول ، ويُنزها منه بالمنزل
الجليل ، ويحفظها كحفظه لبصره ، ويشفق عليها من الدهر وغيره ، فهو آمنٌ
من المجانبة ، مستريحٌ من المعاتبة .

وقد رأيناهم ربّما أهدوا ذلك ، فيهدونه على سبيل البيع ، ويأخذون
منهم الشيء الطفيف اليسير ، كالدرهم الصغير ، والقطعة من البخور ، فيخرج
بهذا البيع عن حدِّ الهدية ، ويأمنون ما فيه من مكروه البلية .

وقد بلغني أن أبانواس دخل على خالد خيلويّه ، فنظر في أصبعه الى خاتم ،
فقال : أرينيه . فدفعه اليه ، وكان علامة بينه وبين جارية يحبّها ، فانصرف

فاستعمل واحدا على مثاله ، ثم بعث به اليها ، فأنكرت الفص ، فبعثت به اليه ولم تأته ، فدخل على حياله ، فلما رآه مثل بين يديه وأنشأ يقول :

تَفْدِيكَ رُوحِي يَا أَبَا جَعْفَرٍ جَارِيَةً كَالْقَمَرِ الْأَزْهَرِ
تَعَلَّقْتَنِي وَتَعَلَّقْتَهَا طِفْلَيْنِ فِي الْمَهْدِ إِلَى الْمَكْبَرِ
كُنْتُ إِلَيْهَا تَهَادَى الْهَوَى بِخَاتَمٍ لِي غَيْرِ مُسْتَنْكَرِ
فَأَنْكَرْتَهُ إِذْ رَأَتْ فَصَّهُ فَأَدْرَكْتَهَا غَيْرَةَ الْمُنْكَرِ
قَالَتْ لَقَدْ كَانَ لَهُ خَاتَمٌ أَحْمَرُ يَهْدِيهَا إِلَيْنَا سَرِي
فَالْيَوْمَ قَدْ عُلِقَ غَيْرِي فَقَدْ أَهْدَى لَهُ الْخَاتَمَ لَا أُمْتَرِي
آمَنْتُ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ إِنْ أَنَا لَمْ أَهْجُرْهُ فَلْيَضْبِرْ
أَوْ يَأْتِ بِالْحُجَّةِ فِي تَهْمَتِي إِيَّاهُ فِي خَاتَمِهِ الْأَحْمَرِ
فَارْدُدْهُ تَرُدُّدًا وَضَلَّهَا إِلَيْهَا قُرَّةُ عَيْنِي يَا أَبَا جَعْفَرِ

فأخرجه من أصبعه فدفعه اليه ، فهذا دليل على إجازة تهادى الخواتيم ، وحفظها لأربابها ، وشدة الغضب والغيرة عند ذهابها .

فأما الطعام فعيوبه أشد الأشياء على الظرفاء ضرراً ، وهم من عيوبه أشد توقيهاً وحذراً ، لتكاثف عيوبه ، وكثرة معيبه ، وأنا أبين زيبهم في ذلك ، وما استحسَنوه في ذلك واستعملوه ، وما استعجبوه فاجتنبوه ، إن شاء الله .

١٩ - باب ذكر زيب الظرفاء في الطعام

الذي بانوا به عن منزلة اللثام

اعلم أن أول ما استعملوه تصغير اللقم ، والتجالل عن الشره والنهم ،

وأكل الأوساط الرقاق ، والبهز ما ورد الدِّقَاق ، وليس يأكلون العَصَبَةَ^(١) والعضلة^(٢) ، ولا العرق والكلوة ، ولا الكرش والقبة^(٣) ، ولا الطحال والرئة ، ولا يأكلون القديد^(٤) ، ولا يأكلون الثريد ، ولا ما في القدر من الورق ، ولا يتحسسون المرق ، ولا يتبعون مواضع الدسم ، ولا يملأون أيديهم بالزهم^(٥) ، ولا يجللون الملح ، وهو عندهم من أكبر القبح ، ولا يكوكبون في الخلل ، ولا يمعنون في أكل البقل ، ولا يأكلون الطلمع^(٦) ، لشبهه راحته برائحة الماء الدافق ، ولا يمششون^(٧) من العظام كراديس^(٨) قصب الساق الغليظ ، وإنما مشاشهم ما لان وصغر ، ولا ما غلظ وكبر ، يأخذون ما ثقل من المشاش على ظهر الأصابع ، ويطحرونه ناحية من الخوان ، ولا يزهمون ما بين أيديهم من الرغفان ، ولا يتعدون مواضعهم ، ولا يلمطعون أصابعهم ، ولا يملأون باللقم أفواههم ، ولا يدسمون بكبرها شفاهم ، ولا يقطرون على أكفهم ، ولا يعجلون في مضغهم ، ولا يأكلون بجانبى الشدقين ، ولا يزاوجون بين الاثنين ، ولا يجاوزون ما بين أيديهم شئ من الفتات ، ولا يأكلون قدرا بائنة ، ولا قدرا مسخنة ، ولا يغمسون في مرقة ، ولا يضعون لقمة . ولا يأكلون شيئا من السكوريج والصحناء^(٩)

(١) العصب : واحدة العصب : أطناب المفاصل التي تلتئم بنيتها وتشدها وهي منتشرة في الجسم كله وبها تكون الحركة والحس .

(٢) العضلة : كل عصبه معها لحم مجتمع .

(٣) القبة : العظم الناقى من الظهر بين الإليتين .

(٤) القديد : اللحم المقدد .

(٥) الزهم : الشحم

(٦) الطلمع : ما يبدو من ثمرة النخل في أول ظهورها

(٧) مش العظم : مص اطرافه

(٨) الكراديس : جمع الكردوسة : كل عظم اجتمع عليه اللحم

(٩) الصحناء : السمك الصغير المملوح

ولا الرُّبَيْدَاءُ وَالسَّمِيكَاتُ ، وَلَا شَيْئًا مِنَ الْكَوَامِيخِ ^(١) وَالْمَالِحِ ، وَأَسْكَلُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْفَضَائِحِ ، إِلَّا أَنْ الْقَمِينَاتِ الْمُنْتَظَرَّاتِ ، وَالنِّسَاءِ الْقَصْرِيَّاتِ ، رُبَّمَا تَظَرَّفْنَ بِأَكْلِ الْمَالِحِ وَالْمَمْلُوحِ فِي مَنَازِلِ مُتَعَشِّقِيهِنَّ ، وَبِيُوتِ مُرَابِطِيهِنَّ ، فَيُذْهِبُنَّ مَذْهَبَ طَرَحِ الْمُوُونَاتِ ، وَخَفَّةَ لِلنَّفَقَاتِ ، وَلَا يَأْكُلُونَ الْجِرَادَ وَالْأَرْبِيَانَ ، لِعِلَّةِ شَبَهِهِمَا بِالْأَشْيَاءِ الْقَمِيحَةِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، وَلَا يَأْكُلُونَ الْحَبُوبَ الَّتِي تُسَبِّجُ الْأَرْيَاحَ ، وَتُولِدُ الْقَرَقِرَةَ وَالْإِنْتِفَاحَ ، وَلَا يَأْكُلُونَ فِي النَّهَارِ أَكْثَرَ مِنْ أَكْلَةٍ ، وَيَكْثُرُونَ الْقِيَامَ فِي مَجَالِسِهِمْ ، وَلَا يَكْثُرُونَ مِنَ الضَّحِكِ وَالكَلَامِ ، عِنْدَ حُضُورِ الْمَائِدَةِ وَالطَّعَامِ ، وَلَا يَتَخَلَّلُونَ عَلَى الْمَائِدَةِ قَبْلَ أَنْ تَفْرُغَ ، وَلَا يَتَحَفَّزُونَ لِمَجِيئِهَا قَبْلَ أَنْ تَوْضَعَ ، وَإِذَا غَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ لَمْ يَطْلُبُوا الْغَسْلَ قَبْلَ طَلْبِ إِتْيَانِهَا مِنَ الْوَسْخِ وَالكَدْرِ ، وَلَمْ يَقْصِدُوا التَّقْصِيرَ الَّذِي يَبْقَى مِنْهُ رَائِحَةُ الْغَمْرِ ^(٢) ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا إِذَا تَمَدَّلُوا فَعَلُوا كَمَا فَعَلَهُمْ إِذَا غَسَلُوا .

فَأَمَّا النُّقْلُ فَانْهَمُ يُحْضِرُونَهُ مَوَائِدَهُمْ ، وَيُطْعَمُونَهُ وَلَا تَدْهَمُ ، وَلَا يَكْثُرُونَ مِنْ أَكْلِهِ ، وَلَا يَأْتُونَ عَلَى كَلِّهِ ، وَإِنَّمَا يَعْبَثُونَ مِنْهُ بِالشَّيْءِ الْيَسِيرِ مِنَ النَّعْنَعِ ^(٣) ، وَيَجْتَنِبُونَ مِنْ ذَلِكَ الْهَنْدَبَا ^(٤) وَالْأَكْشُوتَ ^(٥) لِبَرْدِهِمَا ، وَالْفُجْلَ وَالْحَرْفَ لِتَنْهَمَا . وَالسُّكَّرَاتِ وَالْبَصَلَ لِأَمَحَّتِهِمَا ، وَالْفَدَاحَ ^(٦) وَالْحَنْدَقُوقَ ^(٧) لِخَشْنِهِمَا ،

(١) الكواميخ : جمع الكامخ : أدام يؤتدم به ، وخصه بعضهم بالمخللات التي تستعمل لتشهي الطعام

(٢) الأوربيان : نوع سرطان بحري

(٣) الغمر : رخ الحم

(٤) النعنع : بقل طيب الرائحة يؤكل ويتداوى به

(٥) الهندبا : بقل يؤكل

(٦) الأكشوت : نوع من النبات

(٧) الفداح : أطراف النبات الغض

(٨) الحندقوق : بقلة أو حشيشة

لأنهما أيضا يُخضّران الأسنان والعمور ، ويُحدِثان الرأحة والتغير ، وإن يقع الثوم في قدر فيذوقونه ، ولا البصل فيقرّبونه ، ولا يلفظون باسم الطرخون^(١) لا بتداء اسمه ، وشناعة لفظه ، فيكثرون عنه فيضيفونه الى النعنع ، وقد سماه بعضهم بقلة الجياح ، وسماه آخرون كافور الفؤاد ، وكلُّ يقصد الى معناه ، والخس لا يقربونه لموضع تفتيته ، والخيار لا يأكلونه لعلّة برده ، والجزر يتجاللون عن مسّه ، ولا يرون النظر اليه دون أكله ، وكذلك القثاء والهلليون^(٢) ، ولموضع النوى أيضا رغبوا عن أكل الزيتون ، ورغبوا عن ماخالطه النوى من فاكهة الضيف والشتاء ، مثل القسب^(٣) والبسر^(٤) ، والمشقق أيضا والتمر ، وكذلك سائر الأرباب ، والمشمش والنبق والعنّاب ، وكذلك في الخوخ والشاهلوج والإجاص ، وهو عندهم من أكل العوام لا من أكل الخواص ، ولا ينفق عندهم الرمان والتين ، وهذان عندهم والبطيخ من تهجين ، خاصة إذا انشقت الرمانة ، وتصدّعت البطيخة إذا انكسرت ، وجوزة ولوزة وتينة وموزة ؛ ولا يدفع بعضهم إلى بعض وردة واحدة ولا لوزة واحدة للنفيل ، ولما يقع فيه من التمثيل ؛ ولا تقول متظرّفة لأخرى هذه وردتك ولوزتك ونبقتك وجوزتك ورمانتك

(١) الطرخون : نبات يكبس في اللبن أو الماء المالح ويؤكل وقال ابن الطيّار في مفرداته : هونبات طويل الورق دقيق الساق يعلو على وجه الأرض نحوامن شبر إلى ذراع ونصف ، وهو من بقول المائدة ينهض الشهوة ويطيب النكهة وإذا شرب الماء عليه طيبه .

(٢) الهليون : نبات له قضبان رخصة تؤكل ، وقال ابن البيطار في مفرداته : الهليون ورقه كورق الشبث ، ولا شوك له البتة . وله بذر مدور أخضر ثم يسود ويحمر ، وفي جوفه ثلاث حبات كأها حب النليل صلبة ، منه برى كثير الشوك .

(٣) القسب : تمر يابس يتفتت في الفم .

(٤) البسر : التمر إذا تلون ولم ينضج .

تيمنتك وذلك عندهم أجلّ العيوب ، تشمئز منه القلوب ، ويحتنبون له أشد
الاجتناب ، ويكتئبون له أمرًا اكتئاب ، وكذلك لا تقول واحدة لأخرى :
ارفعى رجلك ولا ذيلك ولا اقعدى عليه ، ولا أدخليه ولا أخرجيه ، ولا
أصعديه ، ولا صُبيّه ، ولا انفخيه ، ولا سميّ ، ولا سرّحى ولا شيلي ، ولا انتحى ،
ولا اعلى ، ولا قد عملت ، ويحتنبون ذلك وما أشبهه من الكلام ، مما أكثر
استعماله في خطاب العوم ، ولا يكادون يلفظون به ، ولا يُطيف بالسنتهم ،
ولا يجيزونه في شيء من مخاطبتهم ، ويحذرونه ويتوقون منه ، ويعيبون
المتكلم به ، وَيُعْرِضُونَ عَنْهُ .

٣٠ - باب ذكر زيهرهم في الشراب

الذي يتخيره ذوو الألباب

أما ما عليه الظرفاء ، وأهل المروّة والأدباء ، فإنهم لا يشربون من الشراب أسوده ،
ولا يشربون إلاّ أجوده ، مثل المشمس والزبيبيّ والمعسل ، والمطبوخ والطلاء
والمعدّل ، ولا يقربون ما لاءمه الخثر^(١) ، ولا ما خالطه الكدّر ، ولا يشربون
إلا ما صفا من الشراب ، ويتمجاللون عن المسحورى الدوشاب ، إذ هو من
شراب العامة والرّاع ، وشرب السوّقة والأتابع ، ولا ينتقلون على شرابهم
بالأشياء الرذلة ، مثل الباقليّ والبلموط ، والبُسْر المقلوّ ، والقريثاء والخنطة ،
والغبيراء والشاهبلموط والخرنوب الشأمي ، وما أشبه ذلك من الأنقال ؛
وأكثر ما ينتقل به المتظرفون ، ويعبت به المتزيّكون ، مملوح البندق ،
ومقشّر الفستق ، والملح النّفطى ، والعود الهنديّ ، والطّين الخراساني ، والملح

(١) خثر اللبن : ثخن واشتد .

الصَّنْعَانِي ، وَالسَّفْرَجَلِ الْبَلْخِي ، وَالتَّفَاحِ الشَّامِي ، وَيَتَخَذُونَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ
الْآيَةِ أَسْرَاهُ ، وَمِنْ الزَّجَاجِ أَجُودَهُ وَأَنْقَاهُ .

وَأَمَّا مَا اجْتَنَبُوهُ مِنَ الْهَدَايَا ، وَتَخَوَّفُوا مِنْ هَدَيْتِهِ الْبَلَايَا ، فَأَشْيَاءُ يَكْثُرُ
بِهَا الْعَدَدُ ، وَيَطُولُ بِهَا الْأَمَدُ ، وَأَنَا أَذْكَرُ مِنْ يَسِيرِهَا ، مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى
كَثِيرِهَا .

٣١ - باب ذكر الأسياء التي يتطير الظرفاء من أهدائها

وَيُرْغَبُونَ عَنْهَا لِشِنَاعَةِ أَسْمَائِهَا

فَمِنْ ذَلِكَ الْأَتْرَجُ ^(١) وَالسَّفْرَجَلُ وَالشَّقَائِقُ ^(٢) وَالسُّوسَنُ ^(٣) وَالنَّمَامُ ^(٤)
وَأَطْبَاقُ الْخَلَّافِ ^(٥) وَالغَرْبُ ^(٦) وَالْبَانُ ^(٧)

فَأَمَّا الْأَتْرَجُ ، فَانْ بَاطِنُهُ خِلَافُ ظَاهِرِهِ ، وَهُوَ حَسَنُ الظَّاهِرِ ، حَامِضُ

(١) الأترج : نبات حامضه مسكن غلبة النساء ، ويجلو اللون والكلف ، وقشره في
التياب يمنع السوس .

وقال ابن البطار : الأترج كثير بأرض العرب ، وهو مما يغرس غرسا ولا يكون برياً ،
وورقه مثل ورق الجوز ، وهو طيب الرائحة ، ونواره شبيه بنوار النرجس إلا أنه
ألطف ، وله بزر شبه الكثرى .

(٢) الشقائق : نبات أحمر الزهر مبعق بنقط سوداء .

(٣) السوسن : نبات من الرياحين برى وبستاني ويعرف بالزنبق ، وهو أبيض
وأصفر وأزرق .

(٤) النمام : نبت له بزر كالريحان عطري قوى الرائحة سمي بذلك لسطوع رائحته .

(٥) الخلاف : صنف من الصفصاف ، وحبه أكبر من الحمص ، وله لب لين دهني .

(٦) الغرب : شجرة حجازية ضخمة شاذة .

(٧) البان شجر يسمو ويطول في استواء ، وخشبه خوار خفيف ، وقضبانه سمحة

خضر ، وهدبه ينبت في القضيبي وهو طويل أخضر شديد الخضرة . وثمرته تشبه قرون
اللويبا إلا أن خضرتها شديدة وفيها حب فإذا انتهى انفتق وانتثر حبه ، وهو أبيض أغبر
نحو الفستق .

الباطن ، طيب الراحة ، مختلف الطعم ، ولذلك يقول فيه الشاعر :
أهدى له أحبابه أُرْجَةٌ فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَاةٍ زَاجِرٍ^(١)
خاف التلون إذ أتمه لأنها لو نأن باطنها خلاف الظاهر
فَرِقُ الْمُتَمِّمُ مِنْ مَّوْضِعِ لُبِّهَا وَاللُّونُ زَيْنُهَا لِعَيْنِ النَّاطِرِ
وأما السفرجل ، فلأن فيه اسم السفر ، وقد قال فيه الشاعر :

مُتَحِفِي بِالسَّفَرِ جَلَّ لَا أُرِيدُ السَّفَرَ جَلًّا
إِسْمُهُ لَوْ عَرَفْتَهُ سَفَرٌ جَلٌّ فَاعْتَلَى

وقال آخر

أَهْدَتْ إِلَيْهِ سَفَرَ جَلًّا فَتَطِيرًا مِنْهُ وَظَلَّ مَتِيمًا مُسْتَعْبِرًا
خاف الفراق لأن أول اسمه سفر فحق له بأن يتطيرًا
وأما الشقائق ، فليشطر اسمه ، ولقول الشاعر فيه :

لَا تَرَانِي طَوَالَ دَهْرِ رِي أَهْوَى الشَّقَائِقَا
إِنْ يَكُنْ يُشْبِهُ الْخُدُو دَ فَنِصْفَ اسْمِهِ شَقَا

وقال آخر :

لَا يُحِبُّ الشَّقَائِقَا كُلُّ مَنْ كَانَ عَاشِقَا
إِنَّ نِصْفَ اسْمِهِ شَقَا إِذَا فُهِتَ نَاطِقَا

وأما السوسن ، فلأن اسمه السوء ، وقال فيه الشاعر :

سُوسَنَةٌ أَعْطَيْتَنِيهَا وَمَا كُنْتُ بِاعْطَائِكُمَا مُحْسِنَةً
شَطْرُ اسْمِهَا سُوءٌ فَانْجِثْ بِالْآخِرِ مِنْهَا فَهُوَ سُوءٌ سِنَّةٌ

(١) العياقة : التكن . زجر الطير : أطاره فتعامل به إن كان طيرانه عن اليمن ، أو تطير به إن كان عن اليسار .

وَأَنْتِ إِنْ هَاجَرْتِنِي سَاعَةً قُلْتُ أَتَتْ مِنْ قَبْلِ السُّوسَنَةِ
وقال آخر :

يا ذا الذي أهدى لنا سُوسَنًا ما كنتَ في إهدائه مُحْسِنًا
أولهُ سُوءٌ فقد ساءَني ياليت أُنِّي لَمْ أَرَ السُّوسَنًا
وأما الياسمين ، فلهبداً اسمه تطير منه ، ولقول الشاعر :

إِنِّي لِأَذْكُرُ بِالرَّيْحَانِ رَائِحَةً مِنْهَا فَلَقَلْبَ بِالرَّيْحَانِ إِيْنَسُ
وَأَمْنَحُ الْيَاسْمِينَ الْبُغْضَ مِنْ حَذَرِي لِلْيَاسِ إِذْ كَانَ فِي بَعْضِ اسْمِهِ يَاسُ
وقال آخر :

أَبْصَرْتُهُ فِي الْمَنَامِ نَاوَلَنِي مِنْ كَفِّهِ الْيَاسْمِينَ وَالْغَرْبَا
فَكَانَ يَاسُ فِي الْيَاسْمِينَ وَفِي الْغَرْبِ اغْتِرَابٌ يَاشُومٌ مَا وَهَبَا
وقال آخر :

أَهْدَى حَبِيبِي يَاسْمِينًا فِي مَن سِرِّهِ الطَّيْرَةُ وَسَوَّاسُ (١)
أَرَادَ أَنْ يُؤَيِّسَ مِنْ وَضَلِهِ إِذْ كَانَ فِي شَطْرِ اسْمِهِ الْيَاسُ
وأما النَّمَامُ ، فلهت ناعاة اسمه . وقول الشاعر فيه :

حَيِّمَتُهَا بِتَحْيِيَّةٍ فِي مَجْلِسِ بَقْضِيْبِ نَمَامٍ مِنَ الرِّيحَانِ
فَتَطَيَّرَتْ مِنْهُ وَقَالَتْ أَفْصِهِ لَا تَقْرَبَنَّ مُضِيْعَ الْكِسْمَانِ

وأما الآس (٢) ، فقد تطير منه قوم ، وزعموا أنه إياس ، وتفاءل به آخرون ،
وزعموا أنه مؤاساة وأساس ، قال الشاعر :

(١) الطيرة : ما يتشاءم به .

(٢) الآس : خضرته دائمة ، وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة ، وثمرته سوداء ، ومنها ما هو أبيض كاللؤلؤ بين ورقه كالزبرجد ، ويحلو إذا أبيض ، وعصارة ثمره رطبة تفعل فعل التمرة ، وهي جيدة للعدة ، مدرة للبول ، وطبخ الثمر يصبغ الشعر .

ما أَحْسَنَ الآسَ فِي عَيْنِي وَأَطْيَبَهُ
لولا اتَّصَلَ حُرُوفِ الآسِ بِالْيَاسِ
ماضِرٌّ مَنْ كَانَ أَهْدَى الآسَ مِنْ يَدِهِ
لَوْ قَالَ رِيحَانَةٌ يَعْنِي بِهِ الآسِي (١)
لولا الَّذِي أَتَمَّنِي مِنْ طَيْرَتِي بِهِمَا
ما فَارَقَا أَبَدًا تَاجًا عَلَى رَاسِي
كذلك تطيروا من الخُلاف ، لموضع الخُلف ، والغرب للاغتِراب ،
والبيان للتمايُن ..

وروى عن كثير عزة أنه بلغه أنها علميلة ، وانها تتشوقه ، فخرج يريد لها
وهي بمصر ، فرأى غرابا ساقطا على بانة ينتف ريشه ويطايره على رأسه ،
فتطير من ذلك ، وأتى عرافا من نهد أخبره بما رأى ، فأيسه (٢) من حياتها ،
وأخبره بوفاتها ، فلما وصل الى مصر خبر بهوتها ، فأنشأ يقول :

فما أَعْيَفَ النَّهْدِيُّ لِأَدْرَدْرِهِ
وأَعْلَمَهُ بِالزَّجْرِ لِأَعَزِّ نَاصِرِهِ (٣)
رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ بَانَةٍ
يَنْتَفِ أَعْلَى رِيشِهِ وَيَطَايرُهُ
فَأَمَّا غُرَابٌ فَاعْتَرَابٌ مِنَ الْهُوَى
وَبَانَ قَبَيْنٌ مِنْ حَيْبِ تُعَاشِرُهُ
وقال أبو الشَّيْصِ :

أَشَاقَكَ وَاللَّيْلُ مُلْقَى الْجِرَانِ
غُرَابٌ يَنْوَحُ عَلَى غُصْنِ بَانَ (٤)
أَحْصُ الْجَنَاحَ شَدِيدُ الصِّيَاحِ
يُبَكِّي بَعِينَيْنِ مَا تَدْمَعَانِ (٥)
وَفِي الْبَيَانِ بَيْنَ بَعِيدِ التَّدَانِي (٦)

(١) الآسى : الطيب .

(٢) ينس : قنط أو قطع الأمل .

(٣) لادر دره : لاكثر خيره .

(٤) الجران : من البعير : مقدم عنقه ، ويقال : ألقى البعير جرائه ، أى برك . والمراد :

ظلمة الليل .

(٥) الأحص من الطيور : ما تناثر ريش جناحه .

(٦) نعب الغراب : صوت أو أنذر بالبين على زعمهم .

وقال بعض الأعراب :

وكنْتُ قد اندَمَلْتُ فهاج شوقِي
تجَاوَبَتَا بلحْنِ أعْجَمِي
فقلتُ لصاحبيّ وكنْتُ أُحْرَى
فقالا الدارُ جامعةٌ بسُعدِي
وكان البانُ أن بانَت سُلَيْمِي
وقال نُصَيْبُ :

ألا راع قلبي من سلامة أن غدا
فأزجرُ ذاك البانَ يبتاً مواشكا
غرابٌ على عُصْنٍ مِنَ البانِ يَنْعَبُ
وغُرْبَةٌ دارُ ما تَدَانِي فيصْقَبُ^(٢)

وقد استحسِنوا هدايا كثيرة ، وتفاءلوا فيها بقول الشاعر . وإن كان بعضها مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه من طريق الظرف ، واجتنبوه لعلّة التسفيل ، وأحبّوه من حسن التّفوّل ؛ فمن ذلك الرُّمان ، وهو مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه لما فيه من التسهيل ، وما يقع فيه من التمثيل ، وكذلك الشاهلوج والنَّبِق والورد والبنفسج ، فأما الرُّمان فقد قال فيه الشاعر :

أهدتُ إليه بظرفها رماناً
قال الفتى لما رآه تفوّلاً
رَمٌّ يَرْمُ تشعُّي بوصولها
لقد التّفوّلُ صادقاً قد كانا

وأما الشاهلوج ، فهو مما فيه النوى ، وقد تهاداه قوم لموضع تفوّل الشاعر به ، إذ يقول :

(١) ونى : فتر وضعف .

(٢) مواشكا : سريعاً . صقب : قرب ، بعد .

أهْدَتْ إِلَيْهِ الْآنَ شَاهِلُوجَا تَنْبِيهِ أَنْ لَوْجَاءَ كَانَ وَ لُوجَا
فَضَى عَلَى فَالِ الْهَدِيَّةِ جَاسِرًا عَمْدًا فَصَارَ مُدَاخِلًا خَرِيحًا
وَأَمَّا النَّبِقُ ، فَهُوَ يُسْتَقْبَلُ ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

أَيَا أَحْسَنَنَا خُلُقًا وَمَنْ فَاتَ الْوَرَى سَبِقًا
تَفَأَّتْ بَانَ تَبَقَى فَأَهْدَيْتَ لَنَا النَّبِقَا
فَأَبْقَاكَ إِلَهُ النَّاسِ مَا سَرَّكَ أَنْ تَبَقَى
وَأَشَقَى اللَّهَ شَانِيكَ وَحَاشَى لَكَ أَنْ تَشَقَى

وَأَمَّا الْبِنْفَسِجُ ، أَيْضًا ، فَقَدْ قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

أَهْدَتْ إِلَيْهِ بِنْفَسِجًا يُسَلِّيهِ تَنْبِيهِ أَنْ بِنْفَسِجًا تَفْدِيهِ
فَارْتَاخَ بَعْدَ صِبَابَةٍ وَكَابَةِ وَرَجَا لِحُسْنِ الظَّنِّ أَنْ تَدْنِيَهُ

وَأَمَّا الْخَوْخُ ، فَقَدْ أَطْنَبُوا فِي وَصْفِهِ ، وَأَكْثَرُوا فِي مَدْحِهِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ
أَشْبَهَ شَيْءًا بِالْحُدُودِ مِنَ التَّفَاحِ ، وَأَقْرَبَ شَبْهًا بِالْوَجْنَاتِ الْمَلَاخِ ، لِأَنَّهُ يَشَارِكُهَا
فِي الْبَيَاضِ وَالسَّمْرَةِ ، وَالْأَدَمَةَ^(١) وَالصَّفْرَةَ ، وَالتَّوْرِيدَ وَالْحَمْرَةَ ، وَالزَّوْغَبَ
الَّذِينَ الْبَشْرَةَ ، وَهُوَ أَطْيَبُ مَلْتَمٍ ، وَأَعْدَبُ مُقْبَلٍ ، وَأَذْكَى مَشَمٍّ ، وَهُوَ عِنْدَ
طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى أَجَلٌ مَرْتَبَةٌ مِنَ التَّفَاحِ ، لَوْلَا مَا خَالَطَهُ مِنَ النَّوَى الَّذِي
يَشْمَتُ مِنْهُ الظَّرْفَاءُ ، وَيَشْنَاهُ الْأَدْبَاءُ ، وَأَنَّهُ مَفْقُودٌ ، وَالتَّفَاحُ مَوْجُودٌ

وَأَمَّا الْوَرْدُ ، فَقَدْ تَفَأَّلَ^(٢) بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الظَّرْفَاءِ ، وَذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ،

أَنْشَدَنِي بَعْضَ الْأَدْبَاءِ :

(١) الْأَدَمَةُ : السَّمْرَةُ .

(٢) تَفَأَّلَ بِهِ : ضَدَّ تَشَاءَمَ .

أَهْدَى لَهُ وَرْدًا فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي الْوَارِدِينَ وَلَمْ يَكُنْ وَرَادًا
فَارْتَاخَ مِنْ فَرَحٍ بِطَيْبِ وَفُودِهِ وَعَدَا لَهُ وَرْدُ الْحِيَاءِ فَزَادًا

وليس عندهم في الروض شيء يشبهه ، ولا في عروض الروض ما يدركه ،
وقد ذكرت ذلك في باب لطيف ، لرغبتي في اقتصاد التأليف ، فقفت عليه
واعرفه .

٣٢ - باب ما قيل في صفة الورد

ومحلّه من قلوب ذوى الوجد

اعلم أنّ أهل الظرف قد أكثروا من تفضيل الورد ، ومدحتنه الشعراء ،
وقد أطنبت فيه ، وأفرطوا في نعت حسنه ، واشتهوا رائحته ، حتى شهوه
بالوجنات الحمر ، وقايسوه إلى الخمر ، ومثّلوه بالأشياء الملاح ، كفعلمهم
بالتفاح ، وهما عندهم في مرتبة واحدة ، قال العباس ابن الأحنف :

أُبْغِضَ الْآسَ وَالْحِلَافَ جَمِيعًا لِمَكَانِ الْخِلَافِ وَالْيَأْسِ مِنْهَا
وَأَحِبُّ التُّفَاحَ وَالْوَرْدَ حَتَّى لَوْ وَزَنْتِيهِ بِالْجِبَالِ وَزَنْهَا
أَشْبَهَا رِيْقَهَا وَنَسَكَةَ فِيهَا فَمَا يُنْبِئَانِ بِالطَّيْبِ عَنْهَا^(١)

وقال آخر :

عَشِيَّةَ حَيَّانِي بَوْرَدٍ كَأَنَّهُ خُدُودٌ أُضِيفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ
وَوَلَّى وَفِعَلَ الْخَمْرُ فِي حَرَكَاتِهِ فَعَالٌ نَسِيمَ الرِّيحِ بِالْعُصْنِ الْعُضِّ

(١) النسكمة : ريح السم . الطيب : كل ذي رائحة عطرة .

وقال آخر:

بِخَدَّيْكَ مُقِيمٍ	يَضْحَكُ الْوَرْدُ إِلَى وَرْدٍ
نِ لِحَاظِ النَّدِيمِ	جَمْعًا شَاكِلِينَ وَقَفِيٍّ
بِكَ فِي كُلِّ نَسِيمٍ	غَيْرَ أَنْ الْمِسْكَ أَوْلَى

وقال آخر:

إِذَا الْخُدُودُ أَعَارَتْ حُسْنَهَا بَصْرِي	سَيَعْلَمُ الْوَرْدُ أَنِّي غَيْرُ ذَاكِرِهِ
وَبَيْنَ وَرْدٍ قَلِيلِ الْمَسْكَ فِي الشَّجَرِ	كَمْ بَيْنَ وَرْدٍ مُقِيمٍ فِي أَمَاكِنِهِ
وَذَاكُ مُتَمَنِّئِينَ فِي كُلِّ مُحْتَضِرٍ	هَذَا جِيٍّ مَصُونٌ فِي مَنَابِتِهِ

وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر:

حَيِّ مُحِبِّكَ قَالَتْ عَنْهُ لِي شُغْلٌ	مَرَّتْ وَفِي كَفِّهَا وَرْدٌ فَقُلْتُ لَهَا
وَرْدًا جَنِيًّا وَذَا بِالْكَفِّ يُبْتَدَلُ	فَقُلْتُ بَخْلًا، فَقَالَتْ قَدْ وَهَبْتُ لَهُ
فَقَدْ جَنَّتُهُ لَهُ الْأَحَاظُ وَالْمَقَلُ	إِنْ كَانَ لَمْ يَجْنِهِ مِنْهُ أَنَا مِلُهُ

وقال آخر:

أَبَدًا لَيْسَ يَرِيمُ (١)	وَرْدٌ خَدَّيْكَ مُقِيمٌ
مَا بَدَا مِنْهُ نَعِيمٌ	أَنَا مِنْهُ فِي نَعِيمٍ

وقال آخر:

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْجَعَكَ إِلَّا فَنَاقُوهُ	تَمَتَّعَ مِنَ الْوَرْدِ الْقَلِيلِ بِقَاوُهُ
وَدَاعَ حَبِيبٍ بَعْدَ حَوْلٍ لِقَاوُهُ	وَوَدَّعَهُ بِالتَّقْبِيلِ وَالشَّمِّ وَالْبَسَا

(١) رام المكان : فارقه .

وقد تطير منه آخرون ، وسموه الغدار ، وغضوا دونه الأَبصار ، لقللة لبثه ،
ويسير مكثه ، وسرعة زواله ، وتغيره وانتقاله .

وخبرتُ أن قينةً أهدت إلى ربيط لها غصن آس ، فسُرَّ به وأنشأ يقول :
والآسُ يَبْقَى وإن طال الزمانُ به والوردُ يَفْنَى ولا يَبْقَى على الزَّمنِ
وأهدت له وردا تطير منه وقال :

أنتِ وردٌ وبقَاءُ الوردِ وردٌ شهرٌ لا شهرٌ
يذهبُ الوردُ ويفنى وإلى الآسِ نصيرُ

فكتب إليه بعض إخوانه :

سُرَّ بالآسِ الذي أهدت له ثمَّ لما أهدتِ الوردَ جزعُ
ذاك أن الآسَ باقٍ دائمٌ ولأنَّ الوردَ حينًا ينقطعُ
وقال بعض الشعراء :

وصَلتَ وكان الوردُ أولَ ما بدأ فلما تَوَلَّى الوردُ وتَلَّى مع الوردِ
فيا ليتَ أن الوردَ آسٌ فإنه يدوم على الحالين في الحرِّ والبردِ

وفضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها ، أو يبلغ أمدها ، وقد أفردتُ
لذلك كتابا ، بوبته أبوابا ، وترجمته بكتاب العقد ، وشحنته بفضل الورد ،
فأغنى ما في ذلك الكتاب ، عن إعادة ذكره في هذا الباب .

والتفاح أعظم عندهم قدرا ، وأجلَّ أمرا ، وأعلى درجة ، وأرفع رتبة ،
لسلامته من البياض والتوريد ، وقد ذكرت فضائل التفاح في كتاب التفاحة
في غير باب ، فأغنى عن إعادته في هذا الكتاب ، غير أني أذكر في كتابنا
هذا جملة مما وصفته به الأدباء ، ومدحته به الشعراء . ولست أذكر في عرض

هذا الكتاب ، شيئاً مما في ذلك الكتاب ، لئلا يُبتلى بشيء من المِجَن .
فِيُنْسَبُ إِلَى ضَيْقِ الْعَطَنِ ^(١) ، وبالله التوفيق .

٣٣ - باب ذكر التفاح

وما كره الأدباء من أكله

اعلم أنَّ التفاح عند ذوى الظرف والعشاق وذوى الاشتياق ، لا يعدله
شيء من الثمر ، ولا النور ^(٢) والزهر ، كيف وبه تهدأ أشجانهم ، وبوروده
تسكن أحزانهم ، وعنده يضعون أسرارهم ، وإليه يُمدون أخبارهم ، إذ كان
عندهم بمنزلة الحبيب والأنيس ، وبموضع الصاحب والجليس ، وليس في
هداياهم ما يعادله ، ولا في الطافهم ^(٣) ما يشاكله ، لغلبة شبيهه بالحدود الموردة ،
والوجنات المضرجة ، وهو عندهم رهينة أحبائهم ، وتذكر أصحابهم ، الى
وُردته يتطربون ، وبرؤيته يستبشرون ، ولهم عند نظرهم اليه أنين ، وعند
استنشاق رائحته حنين ، حتى إن أحدهم إذا غلب عليه القلق ، وأزعجه الأرق ،
لم يكن له معول إلا عليه ، ولا مشتمكي إلا اليه ، وأنشدني بعض أهل الأدب :

لَمَّا نَأَى عَنِ مَجْلِسِي وَجْهَهُ وَدَارَتِ السَّكَّاسُ بِمَجْرَاهَا
صَيْرَتْهُ تَفَّاحَةً بَيْنَنَا إِذَا ذَكَرْنَاهُ شَمَمْنَاهَا
وَأَهَّا لَهَا تَفَّاحَةً أَشْبَهَتْ خَدَّيْهِ فِي بَهْجَتِهَا وَأَهَّا
وقال الحكيم :

تَفَّاحَةٌ جَاءَتْ وَقَدْ عُلِقَتْ وَرُكِّبَتْ بِالْوَرْدِ وَالْأَسِ

(١) العطن : المناخ حول المورد . ومن المستعار : فلان واسع العطن ، إذا كان
رحب الذراع .

(٢) النور : الزهر ، أو الأبيض منه .

(٣) الألفاظ : جمع اللطف : الهدية .

أَشْرَبَ مِنْ كَأْسِي عَلَى رِيحِيهَا
وَقَالَ آخِرُ:
بِالرَّغْمِ مِنْ أَهْلِي وَجُلَاسِي^(١)

تَفَاحَةٌ أُهْدِيَتْ ظَرْفًا مَعْضُضَةً
بِيضَاءُ فِي حُمْرَةٍ عُلَّتْ بِغَالِيَةٍ
قَدْ أَتَحَفَّنِي بِهَا فِي النُّومِ جَارِيَةٍ
لَوْ كُنْتُ مَيْتًا وَنَادَيْتَنِي بِنَعْمَتِهَا
وَقَالَ آخِرُ:

حَيَّاهُ مَنْ يَهْوَى بِتَفَاحَةٍ
جَادَ وَلَمْ يَبْتَخَلْ بِهَا بَعْدَ مَا
قَدْ عَضَّ أَعْلَاهَا بِأَسْنَانِهِ
عَذَّبَهُ دَهْرًا بِجِرَانِهِ
وَقَالَ آخِرُ:

تُفَاحَةٌ تَأْكُلُ تُفَاحَةً
فَالثَّمَرَ وَالثَّغَرَ لِكَيْ أَشْتَمِنِي
يَالَيْتَنِي كُنْتُ الَّذِي يُوَكَّلُ
بِعِلَّةِ الْأَكْلِ وَلَا أُوَكَّلُ
وَقَالَ آخِرُ:

تُفَاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تُفَاحَةٍ
أَحْبَبَ بِهَا تُفَاحَةٌ أَشْبَهَتْ
قَرِيبَةَ الْعَهْدِ بِكَفِيهَا
حُرَّتُهَا حُمْرَةً خَدِيهَا
وَقَالَ آخِرُ:

تُفَاحَةٌ حُمْرَاءُ مَنْقُوشَةٌ
فَلَمْ تَزَلْ فِي كَفِّ نَدْمَانِنَا
رَكِبْتُهَا فِي خُضْرَةِ الْأَسْرِ
تَدُورُ مِنْ كَأْسٍ إِلَى كَأْسٍ

(١) الرِّغْمُ: الْكِرْهُ.

وقال آخر:

تُفَاحَةٌ من عند تَفَاحَةٍ ضَمَّخَهَا المَهْدَى لها بالعَبِيرِ^(١)
يا مَهْدَى الحَسْرَةَ يا قَاتِلِي أَهْدَيْتَ لِي وَاللَّهِ قَضَمَ الظُّهُورِ
قد كنت في بحرٍ من حُبِّكم فَصَرْتُ مُذْ أَهْدَيْتُهَا فِي بَحُورِ
وقال آخر:

فلو أَنِّي اشْتَكَيْتُ لِأَجْلِ حُزْنِي وما أَلْقَاهُ فِي دَارِ الخُلُودِ
وكان طَعَامُنَا فِيهَا جَنِيًّا من التُّفَّاحِ والوردِ النَّضِيدِ^(٢)
لَقَلْتُ دَعُوا لَهَا حِصَصِي فَإِنِّي أَشَبَّهَهَا بِأَلْوَانِ الخُدُودِ^(٣)
وقال آخر:

حِيَّاهُ من يَهْوَى بِتَفَاحَةٍ قد جَنَيْتُ بِاللَّحْظِ من خَدِّهِ
معضوضةٌ بِاللَّحْظِ مَجْهُوفَةٌ بَعَسَكَرِ الأَجَالِ من صَدِّهِ
لو شَمَّهَا الخَلْقُ لَمَاتُوا مَعًا لَعُشْرٍ ما يَلْقَاهُ من جَهْدِهِ
وقد مضى من هذا الباب مَقْنَعٌ^(٤) ، وهو كثير متسع .

ولهم أشياء من زِيَّهِم جَمِيلَةٌ ، وَتُتَفَّ من مَنَاقِبِهِم نَبِيلَةٌ ، أَنَا أَصْفَهَا لَكَ
فِي مَوْضِعِهَا ، وَأَقْطَعُهَا من مَقَاطِعِهَا ، مِنْهَا السُّوَاكُ الَّذِي صَيَّرُوهُ كَأَحَدِ
الفُرُوضِ الواجِبَةِ ، وَالْأُمُورِ الإرَادِيَةِ ، وَقَدْ شَرَحْتُ فِيهِ بِأَبَا لَتَقْفِ عَلَيْهِ ،
ان شاء الله .

(١) ضمخه بالطيب : لطحه به . العبير : : أخلاط من الطيب .

(٢) ثمر جنى : جنى من ساعته ، نضيد : ضم بعضه إلى بعض متمسقا أو مركوما .

(٣) الحصص : جمع الحصة : النصيب .

(٤) مقنع : ما يقنع ويرضى به .

٣٤ - باب ما جاء في السواك

وما قيل في عود الأراك^(١)

اعلم أن من زى الظرفاء، وأهل المروّة والأدباء، وأرباب الديانة والترقى، استعمال السواك والتسوك، فهو أنبل النظافة، وأحسن الطهارة، وأكمل المروّة، ويرغب فيه أهل الظرف والفتوة، وله خصال مستحسنة، وهو أيضا من السنّة. وقد روى في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: طهروا أفواهكم فإنها سالك التسميح.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: السواك مطهرة للضم مرضاة للرب.

وحدثنا أبي قال: حدثنا ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن إدريس، عن محمد بن اسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمر، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: السواك مطهرة للضم مرضاة للرب.

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل تسوك.

وعن ابن الملبح، عن وائلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أمرت بالسواك حتى حسبت أن يكون يكتب على.

وعن ابن أبي مليكة قال: عائشة تقول: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وليمتي ويومي وبين سحري^(٢) ونحري^(٣) وخلطت ريقه بريقي، فقلت: يا أم المؤمنين، وكيف خلطت ريقه بريقك؟ قالت: دخل عبد الرحمن

(١) الأراك: شجر، واحده أراكة.

(٢) السحر: الرثة.

(٣) النحر: أعلى الصدر.

ابن أبي بكر وبیده سواک ، فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : قد
اشتهى السواک ، فأخذتُ سواکه فضعته ، ثم أعطيته فاستاك عليه السلام .
فلم يُشغِلِ النبي صلى الله عليه وسلم نزول الموت عن طلب السواک ، إذ هو
أظرف ما استعمل ، وأنبِل ما استُحسِن ، لأنه يبييض الأسنان ، ويصفي
الأذهان . ويطيب النكمة ، ويطفىء المرّة ، وينشف البلغم ، ويشدّ اللثة ،
ويقوى العمور^(١) ، ويجلو البصر ، ويحدّ النظر ، ويفتح السدّد ، ويشهي
الطعام ، وقد استعملوا أمر المساويك الأراك ، والشكر ، وأصول
السوس ، وعود الخلب ، وعروق الأذخر^(٢) ، وعقد العاقر قرحاً ، وكلما
أغربوا في اتخاذ ذلك كان أكمل لظرفهم ، وأبلغ في معاني وصفهم .

وللمساويك أوقات معلومة ، ومواضع محدودة ، لا تستعمل في غير
أوقاتها ، ولا يتجاوز بها عن ساعاتها ، فحائز استعمالها بالغدوات والعشيات ،
وأوقات الظهيرات . وقبل الغداة ، وبعد الصلاة ، وعلى الريق ، وعند النوم ،
وفي نهار الصوم .

ولا يجوز السواك عندهم في مواطن شتى ، منها الخلاء والحمام ، وقارعة
الطريق ، ومحفل الناس ، ولا يستاك أحدهم وهو قائم ، ولا متكى ، ولا نائم ،
ولا حيث يراه أحد ، ولا يستاك ويتكلم ، والسواك في الخلاء والحمام من
فعل السفلة والعوام ، وهو أيضا يرُخى اللثة ، ويغير النكمة ، وليس ذلك
عندهم من فعل الأدباء ، ولا من فعل ذوى المروّة والظرفاء .

وقد اتخذ أهل الظرف للمساويك طسوتا لطافا ، وأباريق الشبّه^(٣)

(١) العمور : جمع العمر : لحم ما بين الأسنان .

(٢) الأذخر : نبات طيب الرائحة .

(٣) الشبّه : النحاس الأصفر .

الخفاف ، وَ كراسى الأبنوس المصدّقة ، وَ الخيزُرَان المشبّكة ، وَ الأحقاق
المخروطة ، وَ المسواك دانات المدهونة ، وَ السنونات^(١) المعمولة ، وَ وقتوا له
الأوقات المعلومة ، التى جعلوها كالفرائض المكتوبة ، وَ السنن المفروضة ،
يتأهّبون لوقته ، وَ لا يستعملون رأس المسواك مدة طويلة ، وَ ذلك عندهم
من الأفعال الذليلة ، وَ يتخذون لها اللفائف الخبز ، وَ عصاب القز ، ليصونوها
بذلك عن الدنس ، وَ يوقّوها من الغبار وَ النجس .

وَ قد تهادى أيضاً أهل الظرف المساويك ، وَ أقاموها مقام الرهينة وَ التذكرة ،
وَ الوديعه وَ القبلة ، كما فعلوا باللبان الممضوع ، وَ التفاح المعضوض ، وَ قال
العبّاس بن الأحنف :

طَالَ لَيْلِي بِجَانِبِ الْمِيدَانِ مَعَ جَوَارِي الْمَهْدِيِّ وَ الْخِيزُرَانِ
أَرْسَلْتُ بِاللَّبَانِ قَدْ مَضَعْتَهُ بَيْنَ تَفَاحَتَيْنِ فِي رِيحَانِ
وَ بِمَسْوَاكِهَا الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ هُ لَيْفِيهَا مِنْ طَيِّبِ الْأَغْصَانِ
فَكَأَنِّي وَجَدْتُ رِيحًا مِنْ الْفِرِّ دَوْسَ فَاحَتٍ مِنْ رِيحِ ذَلِكَ اللَّبَانِ
قال أيضاً :

لَمَّا وَهَبْتُمْ خَاتَمًا فَرَدَدْتُهُ لِمَعْرِقِي أَنْ الْخَوَاتِيمَ تَقَطَعُ
فَأَهْدِي سِوَاكَ مَسَّ فَانْ فَانَهُ يُسَكِّنُ نَارًا فِي جَوَى الْقَلْبِ تَلْدَعُ
وَ قال بشار بن برد العُقَيْلِيُّ يذُكُرُ ذَلِكَ أَيْضًا :

تَسَوَّكْتُ لِي بِمَسْوَاكِ لِتَعْلِيَّتِي مَا طَعَمْتُ فِيهَا وَمَا هَمَّتُ بِإِصْلَاحِ
لَمَّا أَتَانِي عَلَى الْمَسْوَاكِ رِيْقَتُهَا مَثْلُوجَةً كَزُلَالِ الْمَاءِ بِالرَّاحِ

(١) السنون : المسحوق الذى تدلك به الأسنان لتنجلي .

قَبِلْتُ مَامَسَّ فَاهَا ثُمَّ قَلْتُ لَهُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ذَا الْمَسْوَاكِ يَأْصَاحُ
وقال أيضا :

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ
إِنَّ الَّذِي رَاحَ مَغْبُوطًا بِنِعْمَتِي
وَلَوْ وَهَبْتِ لَنَا يَوْمًا نَعِيشَ بِهِ
يَارِحْمَةَ اللَّهِ حُلِّيَّ فِي مَنَازِلِنَا
وقال أيضا :

يَطِيبُ مَسْوَاكِهَا مِنْ طِيبِ نَسْكَهَتِهَا
وإنَّ أَلْمَ بَجَلِدِ جِلْدِهَا طَابَا
وقال آخر :

وَبِرَّاقَةٍ تَفْتَرُّ عَنْ مَتَبَسِّمٍ
إِذَا مَضَعَتْ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنَ الضَّحَا
سَقَتْ شُعْبَ الْمَسْوَاكِ مَاءُ غَمَامَةٍ
كَنُورِ الْأَقَاحِيِّ طَيْبِ الْمُنْتَدِوقِ^(١)
أَنْبَابِ عَيْدَانَ الْأَرَاكِ الْخَلْقِ
فَضِيضًا بِمَمْزُوجِ الْعُقَارِ الْمَصْفُوقِ^(٢)

وقال جرير :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسَ مِنْ شَيْءٍ بَرَزَ قِهِمْ
كَأَنَّهَا مُزْنَةٌ غَرَاءُ وَأَضْحَمَةٌ
مَكْسُورَةُ الثُّدْيِ فِي لَبِّ يَزِيئُهَا
إِلَّا أَرَى أُمَّ نُوحٍ فَوْقَ مَا وَصَفُوا
أَوْ دُرَّةً لَا يُوَارِي لَوْنَهَا الصِّدْفُ^(٣)
وَفِي الْمَنَاصِبِ مِنْ أَنْبَابِهَا عَجْفُ^(٤)

(١) الأقاحي : جمع القحوان والأفحوان : نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة يشبهون بها الأسنان .

(٢) صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء ليصفو .

(٣) الغراء : البيضاء .

(٤) منصب الأسنان : منابتها .

تَسْقَى أَمْتِيَا حَانَ دَى الْمَسْوَاكِ رِيْقَتَهَا كَمَا تَضْمَنُ مَاءَ الْمَزْنَةِ الرَّصْفِ^(١)
وقال الفرزدق :

دَعَوْنَ بِقَصْبَانِ الْأَرَاكِ الَّتِي جَنَى لَهَا الرَّكْبُ مِنْ نَعْمَانِ أَيَّامَ عَرَفُوا^(٢)
فَمِحْنَ بِهِ عَذْبًا رُضَابًا غُرُوبُهُ رِقَاقٌ وَأَعْلَى حَيْثُ رُكِبْنَ أَعْجَفُ^(٣)
وقال ذو الرمة :

جَرَى الْإِسْحَلُ الْأَحْوَى بِطِفْلِ مَطْرَفٍ
عَلَى الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا فَهِيَ نَضَعُ^(٤)

وقال آخر :

نَظَرْتُ بَعِيْنِي شَادِنٍ وَتَبَسَّمَتْ بِظَمِيَاءَ عَنْ غُرٍّ لَهَا غُرُوبُ^(٥)
جَوَى الْإِسْحَلِ الْأَحْوَى عَلَيْهِنَّ أَوْ جَرَى عَلَيْهِنَّ مِنْ مَاءِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ
وقال جرير :

يَجْرَى السَّوَاكُ عَلَى أَغْرَ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحْذَرُ مِنْ مُتُونِ غَمَامٍ^(٦)
إِقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى سَعَادٍ وَقُلْ لَهَا يَوْمًا تَرُدُّ رَسُوْلَنَا بِسَلَامٍ

(١) الامتياح : استخراج الريق بالمسواك .

(٢) عرفوا : أتوا عرفات حين حجوا .

(٣) ماح : اغترف الماء بكفه ، ويريد سقين به . الرضاب : الريق . الغروب : جمع الغرب ، وهو أول كل شيء ، ويريد بغروبه تقطع أسنانه وذلك الحدائة . أعجف : هزيل . ويريد أن اللثة قليلة اللحم ، وهو مما تنعت به المرأة .

(٤) الإسحل : شجر يتخذ منه المساويك . أحوى : يضرب لونه إلى السواد من شدة خضرته . طفل : رخص ناعم . يعني كفها . مطرف : مخضوب الأطراف بالحناء . نضع : شديدة البياض . ويروى : على الزهر من أنيابها والزهر : البيض ، (٥) الشادن : ولد الظبية .

(٦) البرد : حب الغمام المعهود ، وهو ماء الغمام يسقط جامدا لشدة البرد ، ويريد بالبرد : الأسنان البيضاء . ومتن الشيء : ما ظهر منه .

وقال أيضا :

إِنَّ الشَّقَاءَ وَإِنْ ضَمْتُ بِنَائِلِهَا
فَرَعُ البَشَامِ الَّذِي تَجْلُو بِهِ البَرَدَا (١)

مَا فِي فُوَادِكَ مِنْ دَاءٍ يُخَامِرُهُ

إِلَّا الَّتِي لَو رَأَاهَا رَاهِبٌ سَجَدَا

وقال جميل بن معمر :

بَشَرٌ قَدْ سَقَيْنَ المِسْكَ مِنْهُ
مَسَاوِيكَ البَشَامِ وَمِنْ غُرُوبِ

وَمِنْ مَجْرَى غَوَارِبِ أَقْحَوَانِ

شَتَيْتِ النَّبْتَ فِي عَامِ خَصِيبِ

وقال آخر :

وَعَادِينَ بِالْقَضِيَانِ كُلِّ مُفَاجٍ
بِهِ الظُّلْمُ لَمْ يُفْلَلْ لَهْنَ غُرُوبِ (٢)

رُضَابًا كَطَعْمِ الشُّهْدِ بِجَلْوِ مَتُونِهِ

مِنَ الأَيْكَ أَوْغَضَ البَشَامُ قَضِيبِ (٣)

أُولَئِكَ لَوْلَاهُنَّ مَا سَقَتْ نَضْوَةَ

وَلَا قَابَلْتَنِي فِي البِلَادِ جَنُوبِ (٤)

وقال أيضا :

إِذَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الشَّمَالِ تَنَسَّمَتْ
وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا عَلَى كَبْدِي بَرَدَا (٥)

تَحَيَّرْتُ مِنْ نَعْمَانَ عَوْدِ أَرَاكِي

لِهِنْدٍ وَلَسَكِنْ مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدَا

وَأَنشَدَنِي أَبُو الحَسَنِ بْنُ عَلِيلِ العَنَزِيُّ قَالَ : أَنشَدَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ :

أَنشَدَنِي أَبُو مَسْلَمِ السِّكَلَابِيُّ لِمَهْدِيِّ بْنِ المَلُوحِ السِّكَلَابِيِّ :

نَمِيتَ لِيَلِيَّ وَقَدْ كُنَّا نُبَخِّلُهَا
قَالَتْ : سَقَى اللهُ ذَاكَ المَرْبَعِ الجَدْبَا

يَا حَبِذَا رَاكِبًا كُنَّا نَهْشُ لَهُ

يَهْدِي لِنَامِنِ أَرَاكَ المَوْسِيَّ القُضْبَا

(١) البشام : شجر عطري الرائحة يستاك بقضبه ، ووجه يعرف عند الصيادلة

بجذب اللسان .

(٢) الظلم : بريق الأسنان .

(٣) الشهد : العسل ما دام لم يعصر من شجعه .

(٤) النضو : المهزول من الحيوان .

(٥) الريا : الريح الطيبة .

وقال القطامي :

مُنْعَمَةٌ تَجْمَلُو بِخَوْطِ أَرَاكَةِ ذَرَى بَرْدِ عَذْبِ شَتِيتِ الْمُنَاصِبِ^(١)
كَأَنَّ فُضِيضًا مِنْ غَرِيضِ غَمَامَةٍ عَلَى ظَمًا جَادَتْ بِهِ أُمُّ غَالِبِ^(٢)
لِمُسْتَهْلِكٍ قَدْ كَادَ مِنْ شِدَّةِ الْهَوَى يَمُوتُ وَمِنْ طَوْلِ الْعِدَاتِ الْكُوَاذِبِ^(٣)

وقال بعض الأعراب ، وَتُرْوَى لِلْأُمَيْلِسِ :

مُنْعَمَةٌ هَيْفَاءُ عَجْزَاءُ خَدَلَةٌ تَمَسُّ مَثَانِي شَعْرِهَا قُضْبًا خَزَلًا^(٤)
وَتَجْمَلُو بِمَسْوَاكِ الْأَرَاكِ مَفْلَجًا عِذَابِ الشَّيَابِ لِأَقْصَارًا وَلَا نُعْلَا^(٥)

وَقَالَ الْعَطَاوِيُّ :

عِنْدَكَ الْفَوَادُ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ فِي يَدَيَّ ذَاتِ دَمْلِجٍ وَوِشَاحِ^(٦)
وَتُنَابِيَا رَقِيقَةَ كَعْدِيرٍ مِنْ مُدَامٍ وَرَوْضَةَ مِنْ أَقْحَاحِ
فَمَسَاوِيكُهَا بِهَا كُلَّ يَوْمٍ فِي رِيَاضٍ مِنْ اصْطَبَاحِ الرَّاحِ

(١) الخوط . الغصن الناعم لسنة ، أو كل قضيب . أراكه : شجرة يؤخذ منها السواك .

ذرى : أعلى . الشتيت من الثغر : المفلاج . ويروى : شنيب ، والشنب : برد وعذوبة في الأسنان ، أو نقط بيض فيها . أوحدة الأنياب كالغرب تراها كالمشمار . المناصب : المنابت ، ويريد مراكز الأسنان ، يعني أنه مفلاج .

(٢) فضييض : ماء سائل ، وكل ما سقط من السماء فهو فضييض من الماء . غريض : طرى . ظمًا : عطش .

(٣) مستهلك : هالك في الشوق ، والمستهلك : الجاد في الأمر ، كأنه جعله ها هنا للجد في الحب . العدات : جمع العدة : الوعد .

(٤) هيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر . عجزاء : عظيمة العجز ، مؤخر الجسم . خدلة : ممتلئة الأعضاء من اللحم مع دقة العظام . الخزل من الإبل : ما ذهب سنانه . ويريد : قضبا مستقيمة

(٥) نعلت أسنانه : تراكبت فوق بعضها .

(٦) الدملاج : حلى يلبس في المعصم .

وقال علي بن الجهم :

حَجُّوا مَوَالِيكَ يَا بَرَّهَانَ وَاعْتَمَرُوا
فَأَتْخَفَيْتَنِي مِمَّا أَتَخَفُوكَ بِهِ
وَلَسْتُ أَرْضَاهُ حَتَّى تُرْسِلِينَ بِهِ
وَأَبَى الطَّيِّبُ فِي ذَلِكَ :

شَهِيدِي عَلَى طَيْبِ اللَّثَامِ وَرَيْقِهَا
كَأَنَّ حَبَابَ الرَّيْقِ حِينَ تَمُجُّهُ
رَشَاشُ ذِكِّي الْمَسْكِ شَيْبَ بَعْنَبِرٍ
وَقَالَ مِرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

أَنَا بَيْبُ عِيدَانِ الْأَرَاكِ الْمَفْرَعِ
عَلَى شُعْبِ الْمَسْوَاكِ غَيْرُ مَمْرَعِ^(٢)
أَوْ الرَّاحِ مِنْ صَفْوِ الْعُقَارِ الْمَشْتَعِشِ^(٣)

شِفَاءُ الصَّدَى مَاءُ الْمَسَاوِيكِ وَالَّذِي أَجَدُ

تَنِي الرَّيْقُ مِنْ نَخْلٍ يُتَنَازِلُهَا طِفْلُ
فِيَا حَبْنًا ذَاكَ السَّوَاكِ وَحَبْنًا
بِهِ الْبَرْدُ الْعَذْبُ الْغَرِيضُ الَّذِي يَجْمَلُو

وَأَحْسَنُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَإِذَا سَأَلْتِكَ بِعَضِّ رَيْقِكَ قَلْتِ لِي
أَيُجُوزُ عِنْدَكَ أَنْ يَكُونَ مَتِيمٌ
مَاذَا عَلَيْكَ جُعِلْتُ قَبْلَكَ فِي الشَّرَى
أَخْشَى عَقُوبَةَ مَالِكِ الْأَمْلَاكِ
يَهْوَاكَ عِنْدَكَ دُونَ عَوْدِ أَرَاكِ
مَنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيفَةَ الْمَسْوَاكِ

(١) برهان : من جوارى المتوكل .

(٢) الحباب : الفقايق التي تعلو الماء أو الخمر . مع الماء وبالماء من فمه : رمى به .

(٣) العقار : الخمرة . شعشع الشراب . مزجه بالماء .

وهذا باب تنظب فيه الشعراء ، ويتسع لها القول في ذكره ، وقد مضى
من بعضه ، ما أغنى عن شرح كله .
وأنا أصف لك جملة من جميل مناقبهم ، وما يؤثّر من حسن مذاهبهم ،
إن شاء الله تعالى .

٣٥ - باب صفة ذوى النظرف

ومبايقتهم لذوى التكلف

اعلم أن من كمال أدب الأدباء ، وحسن تظرف الظرفاء ، صبرهم على
ما تولدت به المسكارم ، واجتماعهم لحسيس المآثم ، وأخذهم بالشيم السنية ،
والأخلاق الرضية ، وأنهم لا يداخلون أحدا في حديثه ، ولا يتطلعون على قار
في كتابه ، ولا يقطعون على متكلم كلامه ، ولا يستمعون على مسر سره ،
ولا يسألون عما ورى عنهم علمه ، ولا يتكلمون فيما حجب عنهم فهمه ، يتسرعون
إلى الأمور الجليلة ، ويتبطون عند الأشياء الرذيلة ، فهم أمراء مجالسهم ،
بهم يفتح عسر الأغلاق ، وبهم يتألف متناظر الأخلاق ، تسمو إليهم الآماق ،
وتنشئ عليهم الأعناق ، ولا يطمع في عيبهم العائب ، ولا يقدر على مثالهم الطالب ،
الأتري أنهم لا يفتجعون^(١) ، ولا يتبصقون ، ولا يتشاءون ، ولا يستنثرون^(٢)
ولا يتجشؤون^(٣) ، ولا يتمطون ، وذلك عيب عند الظرفاء ، فمكروه عند العلماء .
وفيه حديث ما أور ، حدثني عبيد بن شريك قال : حدثنا ابن أبي مريم قال :
أخبرني يحيى بن أيوب قال : أخبرني ابن عجلان عن سعيد المقبري ، عن أبي
هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله يحب العطاس ويكره
التشاوب ، وأن أحدكم إذا قال هاها فان ذلك الشيطان يضحك في جوفه .

(١) تنجع بالدم : تلتخ به . (٢) تنثر الشيء : تساقط متفرقا .

(٣) تجشأ : أخرج من فم الجشاء ، وهو ریح يخرج من الفم مع صوت .

والظرفاء لا يتشاءبون ولا يتمطون ، ولا يوقعون أكفهم ، ولا يشبكون أصابعهم ، ولا يمدون أرجلهم ، ولا يحكّون أجسادهم ، ولا يمسّون آنافهم ، خاصة إذا كان أحدهم بين يدي خليطة أو ربيطة أو حبيبة ، أو من يحتشمه ومن يُكرمه ، ولا يدخل أحدهم الخلاء من حيث يراه أحد ، ولا يبول بين يدي أحد .

وليس من زيّهم الاقعاء^(١) في الجلسة ، ولا السرعة في المشية ، ولا الالتفات في طريق قصدوه ، ولا الرجوع في طريق سلكوه ، ولا ينفضون الغبار عن أرجلهم في المواضع المكنوسة ، ولا يستريحون في الأماكن المرشوشة ، ولا يجلسون في مجلس فينتقلون منه ، ولا يقعدون بحيث يقامون عنه ، ولا يشربون ماء الأحباب ، ولا الماء في دكاكين الشراب ، ولا ماء المساجد والسبيل ، وذلك مشني عند ذوى العقول ؛ ولا يدخلون دكان هرّاس^(٢) ، ولا دكان رواس ، ولا يجتازون بدكان مرّاق ، ولا يأكلون شيئاً مما يتخذ في الأسواق ، ولا يأكلون على قارعة الطريق ، ولا في مسجد ولا في سوق ، وفي ذلك حديث مأثور ، وخبر مشهور ، حدّثنيه أحمد بن الهيثم المعدّل قال : حدّثني سهل بن نصر وإسحاق ابن المنذر قال : حدّثنا محمد بن الفرات قال : حدّثني سعيد بن لقمان بن عبد الرحمن الأنصاري . عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الأكل في السوق دناءة .

وظريف لا يأخذ شعره في دكان حجّام ، ولا يدخل بغير مئزر الى الحمام ، وقد حدّثني أحمد بن محمد بن غالب صاحب الخليل ، قال : حدّثني أحمد بن

(١) أقمى الكلب : جلس على استه .

(٢) الهراس : صانع الهريسة ، أو بائعها .

عبد الله بن هُشيم ، عن معنزة ، عن ابراهيم قال : النظر في مرآة الحِجَامِ دناءةٌ .
 وحدثنا أحمد بن محمد بن غالب قال : حدثنا اسماعيل بن محمد بن راشد بن
 سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : من قلّة مروّة الرجل نظره في مرآة
 الحِجَامِ واطّلاعه في بيت الخائِئِكَ .

وقد ينبغي للظريف أن يدخل الحمام على خلوة ، ثمّ لا ينظر فيه إلى سوءة ،
 ولا يمدّ عينه إلى أحد ، ولا يعلق ثوبه على وتد ، ولا يدلى رجله في البئر
 التي ينصبُّ إليها الماء ، فان ذلك ممّا يفعله الأذنياء ، ولا يدلك يديه بخرقه ،
 فان ذلك ممّا يستعمله السخفاء ، ولا يتمرّع على حرارة أرض الحمام ، فان
 ذلك ممّا يفعله سفلة العوام ، بل ينبغي له أن يدخله متّزراً ، ويقعد فيه معتزلاً ،
 ولا يقعد مستوفزاً ^(١) على رجله ، فان ذلك طعنٌ على عقله ، ولا يميل مضطجعاً ،
 بل ينتصب مترّبعا ، حتى إذا نضب العرق من بدنه ، وتحدر على جسده ،
 وكان عرقه بين الكثير والقليل ، نشّفه عن بدنه بمنديل ، ثمّ دعا لرأسه
 بالغسول ، والأشنان ^(٢) المنخول ، فان كان من أهل المروّات والنعم ، وأهل
 البيوتات والقدير ، ممّن لا يُنسب ، في فعله إلى شيء ليس من شكاه ، فليبتدىء
 دخوله الحمام بالامساك عن الكلام ، والتجرّع من الماء الحارّ ثلاث جُرْع ،
 وليقعد للعرق فوق نِطْع ^(٣) حتى إذا عرق سلت بدنه ، وجمع عرقه فوزنه ،
 وهذا الفعل لا يصلح إلا لذوى نعمة أو شريف ، أو متأدّب فيلسوف ، وأما
 سائر الناس من أهل الظرف ، فانهم يُنسبون بهذا الفعل إلى السخف .

ولا ينبغي للظريف أن يمشی بلا سراويل ، ولا يتزّز بمنديل ، ولا يمشی

(١) استوفز في قعدته : قعد غير مطمئن وكأنه يتهيأ للوثوب .

(٢) الأشنان : ما تغسل به الأيدي من الخض .

(٣) النطع : بساط من جلد .

محلول الأزارار ، ولا مسبل الأزار ، ولا يماكس في الشرى ، ولا يركب حمار
الكرى ، ولا ينزل في خراب ، ولا يقبض على كتاب ، ولا يشارط صانعا ،
ولا يصاحب وضعيا ، ولا يشاتم رفيقا ، ولا يغتاب أحدا ، ولا يذكر بسوء
أخا ، ولا ينم بسريرة ، ولا يظهر خبيثة ، ولا يخون عهدا ، ولا يخلف وعدا ،
ولا يضرب ^(١) بين اثنين ، ولا يفسد بين خليلين ، ولا يسعى إلى سلطان ،
ولا يغمز بانسان ، ولا يهتك حرمة ، ولا يتعرض لسرقة ، ولا يتجلى بالكذب ،
ولا يستهدف للريب ، ولا يجاهر بالزنى ، ولا ينطق بالخنا ، ولا يفسد حرمة
الأخ الصديق ، ولا حرمة الجار اللزيق ؛ وأجود ما في هذا المعنى قول
الأحوص بن محمد الأنصارى :

قالت ، وقلت : تخرجني وصلي حبل امرئ وبوصالك ص ^(٢)
صاحب إذا بعلي ، فقلت لها : الغدر متى ليس من شعبي
ثنتان لا أدنو لوصلهما عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فليست خلفه والجار أوصاني به ربّي

ومن تكامل ظرف الظريف : ظهور بزته ، وظهور طيب رائحته ، ونقاء
درنه ^(٣) ، ونظافة بدنه ، ولا يتسخ له ثوب ، ولا يدرن له جيب ^(٤) ، ولا ينفثق
له ذيل ، ولا يرى في دخاريصه ^(٥) ميل ، ولا في سراويله ثقب ، ولا يطول

(١) ضرب : أغرى ، وشجع وخرض .

(٢) تخرج : تجنب الإثم .

(٣) الدر : الوسخ .

(٤) الجيب من القميص : طوقه .

(٥) الدخاريص : جمع الدخريص : بنية الثوب ، وهي ما تجعل في نحر الثوب

له ظفر ، ولا يكثر له شعر ، ولا يفوح لابطه دفر ^(١) ولا لبدنه غمر ^(٢)
ولا يسيل له أنف ، ولا يسود له كف ، ولا يظهر له شقاق ، ولا يرشش
له بصاق ، ولا يقف في ماقه رمد ، ولا صواره زبد ^(٣) .

ومن زيهم في مصاحبة الأوداء ، ومعاشرة الأخلاء : حفظ العهود ،
وإنجاز الوعود ، والدوام على الوفاء ، وقلة الرغبة في الجفاء ، وحسن المؤاتاة
لأودائهم ، والمساعدة لأخلائهم ، والبشر بمن لقوا ، والتفقد لمن فقدوا ،
والمساعفة بأبدانهم ، والمعونة بأموالهم ، وتخفيف المؤن على إخوانهم ،
وكف الأذى عن جيرانهم ، والصفح عن المسيء لهم عند إساءته ، ومقابلة
المحسن باحسانه ، والترحيب بالصغير ، والتبجيل بالكبير .

وقد حدثني محمد بن يونس القيسي قال : حدثنا يزيد بن بيان قال : حدثنا
أبو الرجال ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ما من شاب أكرم شيخاً عند سنه إلا إلاقض الله له من يكرمه عند سنه .
وقد يجب أيضاً على أهل المروءة ، مثل الذي يجب على أهل الظرف والفتوة ،
والأدب ، لأنهما ليسا باللذاة والقصف ، ولا بالمفاخرة والحسب ، وإنما
هما بكمال المروءة والأدب . ولن يعرف الفتي جميل مواهب الفتوة إلا بساوك
طرائق المروءة ؛ وقد ذكرت الفتوة عند بعض العلماء فقال : إن الفتوة
ليست بالفسق والفجور ، ولكنها طعام موضوع . وأذى مرفوع . ونائل
مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، واجتناب للقبیح ، وأدب ظاهر ،
وخلق ظاهر ، وترك مجالسة أهل الشرور ، والسمو إلى معالي الأمور ،
والاحسان إلى من أساء ، ومكافأة من أحسن ، وقضاء حوائج الناس .

(١) الدفر : خبث الرثجة .

(٢) الغمر : زنج اللحم .

(٣) الزبد : الخبث .

فهذه جملة من زيمهم في حسن مناقبتهم ، ومستحسن جميل مذاهبتهم .
ولهم أيضا رقة الطبع ، والتلطف في كل الأمور ، والمدارة والتلق ،
والتأني والترفق ، ومن ذلك قولهم ؛ مَنْ حَبَّ طَبَّ : أي رفق ودارى ؛
ومن ذلك سمي الطبيب طبيا ، لترفقه ومدارته والعرب تقول : هو طب
بالأمور ، أي عالم رقيق ، قال عمر بن أبي ربيعة :

فَأَتَتْهَا طِبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلُطُ الْجِدَّ مِرَاكِرًا بِاللَّعِبِ
تَرْفَعُ الصَّوْتَ إِذَا لَأَنْتَ لَهَا وَتُرَاخِي عِنْدَ سَوْرَاتِ الْغَضَبِ

ولهم حسن التأني فيما يريدونه ، ولطيف الحيل فيما يحاولونه ، وخفي
التلطف لما يطالبونه ، حواجتهم سرية ، وسرايرهم مخفية ، وأمورهم باطنة ،
وحيلهم لطيفة ، يوردون الأمور مواردها ، ويصدرونها مصادرها .

ولهم فيما استحسنوا من الهدايا بينهم ، والبر والملاطفة والمكاتبة والتحف
من غيرهم ويستصغر ؛ ومن ذلك أنهم ربما أهدوا الأترجة الواحدة ،
والتفاحة الواحدة . والدستنبوية اللطيفة ، والشمامه اللطيفة ، والغصن من
الريحان ، والطاقة من الترجس ، والرطل من الشراب ، والقطعة من العود
والمخزنة من الطيب ، والشيء اليسير ، والوهط الصغير ، ونظير ذلك من
الأشياء القليلة الحقيمة والدليلة ، التي لا قدر لها عند ذوى العقول ، فيستكثر
ذلك منهم ويلقى بالقبول ، وتستحسن هداياهم وتستظرف ، ويفرح بها
وتستظرف ، ورغبة غيرهم من الناس في الأشياء الجليلة ، والهدايا النبيلة ،
والظرف السرية ، والتحف السنية ، غير أهل الظرف ، فانهم اقتصروا على
اللطف اللطيف ، والبر الخفيف .

ومن ذلك كتبهم الملاح ، وألفاظهم الصجاح ، التي يستعطفون بها القلوب ،

ويسترون بها العيوب ، ويستقيلون بها العثرات ، ويستدركون بها الهفوات^(١) التي قد استخلصوها من بديع الحرير الصيني ، ومليح الملحمن النيسابوري ، وصفيق الديبقي الحفي ، ونقي التاختج والقوهي .

وتغلغلوا إلى الكتاب في ذلك بالذهب والمسك ، والزعفران والسك^(٢) واتخذوا لها طرائف المناديل الرقاق ، وجماد الزنا نير الدقاق ، وطيبوها بالمسك والذرائر^(٣) وَعَنَوْنُوهَا بمتظرفات الأمثال والنوادر ، وختموها بالغالية المستمسكة ، وطبعوها بِنَتْفِ الألفاظ المهلكة ؛ وقد ضمننت من مليح المكاتبه ، وطرائف المعاتبه ، وجميل المطالبه ، وشكيل المداعبه ، ما يقربون به البعيد ، ويهونون به الشديد .

وقد بينت ذلك أحسن البيان ، وشرحته بأخص المعاني ، ووصفت ما يتوصلون به من الرسائل ، وما يضمّنونه كتبهم من الرسائل ، في كتاب مفرد ، وكلام مجرد ، ترجمته كتاب فَرَحِ المَهْجِ ، وجعلت ما فيه ذريعة إلى الفرح ، فأغنى عن تطويل هذا الباب ، مامراً في ذلك الكتاب ، وأنا أصف لك أيضا في كتابنا هذا جملة ما استحسّنوه بينهم من المكاتبه ، وما استعملوه بينهم من المعاتبه ، وأقصد في ذلك إلى مداعبه الكتاب ، ومعاتبه الأحياب ، وما تعاتبوا به من الآبيات ، واختاروه من المقطعات ، وما ذكروا على العنوانات من الكلام ، وما ضمّنوه في كتبهم من السلام ، على غير نقص مني لكل ما في ذلك من الأشعار ، إذ كان قصدي في كل أبواب الكتاب إلى الاختصار . وبالله أستعين وأستكفي ، وإيَّاه أسترشد وأستهدى .

(١) الهفوات : جمع الهفوة : السقطة والذلة .

(٢) السك : ضرب من الطيب .

(٣) الذرائر : جمع الذرور : ما يذر من عطر ونحوه .

٣٦ - باب ما اُخبر من ألفاظ الأرباب في المعاتبات

واستحسن من الظرفاء من مליح المعاتبات

أخبرني الوضاح بن ثابت الكاتب قال : كنتُ عند بعض الكتّاب ، إذ دخلت عليه وصيفة كأنها قمرٌ ، تتشّى في مشيتها كأنها جانٌ ، أو كأنها غصنٌ بان ريبان ، حتى وقفت بين يديه ، فقالت : مولاتي تقرأ عليك السلام ، وتقول لك ، يا أخي جفوتنا من غير استحقاق للجفاء ، وملت إلى غير مذاهب الظرفاء ، وإني لم أزل واثقةً بإخائك ، راجيةً لحسن وفائك ، وتحقيق ظن مؤمّلك ، أولى بك من الوقوف على تجنبك .

فقال لها : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها ، يا أختي أنا من وددك ، على أحسن عهدك ، ومن الأمل لك على أضعاف ما عندك ، ولقد استوحشنا من فقدك ، فاجعلي لنا حظاً من أنسك .

فسأله عنها ، فقال : جارية على بن الجهم .

وأخبرني محمد بن إبراهيم الهمداني قال : أخبرني مولى لمحمد بن عبد الله ابن طاهر قال : قرأت رقعة لمولاي إلى بعض إخوانه : يا أخي مددت يداي إلى المودة مبتدئاً فشكرناك ، وشفعت ذلك بشيء من الجفاء فعذرناك ، والرجوع إلى محمود الوداد ، أولى بك من المقام على مكروه الصد .

وكتب بعض الظرفاء إلى صديق له : أيّ ذلك الله بوفاء الأدب من النزاع إلى الجفاء ، وجعل آخر سخطك موصولاً بأول الرضاء .

وكتب بعض الأدباء إلى صديق له يستعته على جفاء كان منه : ليس من تدبير من شملته أهمة الحكم ، وسمت به معالي الهمم ، أن يعطف على عهد صديق بعقوق ، ولا تضحل واجبات الحقوق ، ولا تعيّر

نُوبٌ (١) أَيَّامَهُ ، عن رعاية ذِمَامِهِ (٢) والسلام .

وكتب آخر إلى صديق له : بدأتنا بهودة عن غير خيرة ، وهجرتنا من غير سبب يوجب طول الهجرة ، وقد أطعمنا أولك في إخوانك ، وآيسنا آخرك من وفائك ، فسبحان من لو شاء كشف باليقين من الرأى عن غير سمة الشكوك في أمرنا فأقمنا على ائتلاف ، أو اقترقنا على اختلاف ، والسلام .
وكتب سعيد بن حميد إلى بعض الكتّاب : بلغنى حسنُ محضرك ، فغيرُ بديع من فضلك ، ولا غريب عندى من برك ، بل قليل اتصل بكثير ، وصغيرٌ لحق بكبير ، حتى اجتمع في قلب قد وطن لمودتك ، وعنق قد ذلت لطاعتك ، وليس أكبر سؤلها وأعظم أربها إلا طول عمر بقاء النعمة عليك . والسلام

وكتب بعض الكتّاب إلى صديق له : مازال ما أجد من عواقب رأيك ، وأشبه من وفائك ، حتى وثق في ضميري من مودتك ، ما استنجدنى لطاعتك ، واستوى على من موافقتك ، ما سهل على سبيل عتبتك فما أسألك بغلبة الهوى طريقاً إلا إلى رضاك . ولا أستعين بهواك منك عليك إلا كان عوناً على لك ، ولنعم المستعبد لى أنت على المحامد ، واكتساب سنا الفوائد ، ولذلك أقول :

على رقيب من هواك يقودنى إليك على الحالات في السخط والرضى
وليس هواى حيث لا يستحقه ولكن هواى حيث كان لك الهوى
لسانى رهين بالذى أنت فاعل ورأى موصول بها كنهه يثرى (٣)

(١) النوب : جمع النوبة : الفرصة .

(٢) الذمام : الحق ، الحرمة .

(٣) الكنه : جوهر الشيء ، وأصله وقدره وحقيقته وغايته ،

وما زلت لي عوناً برأى موفّقٍ على صِلَةِ القُرْبَى بهْدَى أُولَى النَّهْيِ
وَكَتَبَ الحَسَنُ بنَ وَهْبٍ إلى مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ سُرُورِي أَعَارَنِي اللهُ حَيَاتِكَ ،
إِذَا رَأَيْتَكَ ، كَوَحْشَتِي لَكَ إِذَا لَمْ أُرَكَ ، وَحَفْظِي لَكَ فِي مَغْيَبِكَ ، كَمُودَّتِي لَكَ فِي
مَشْهَدِكَ ، وَإِنِّي لَصَافِي الأَدِيمِ ، غَيْرِ نَعْلٍ ^(١) وَلَا مَتَغَيِّرٍ ، فَا مَنَحْنِي مِنْ مِوَدَّتِكَ ،
مُزَنَ لِدَاذِقَةِ مِشْرَبِكَ ، وَكُنْ لِي كَأَنَا ، فَوَاللهِ مَا مَنَحْتُ ^(٢) عَنْ نَاحِيَتِكَ ، إِلَّا وَأَنَا
مَحْنِي الصَّلُوعِ إِلَيْكَ ، وَالسَّلَامِ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ : يَا أَخِي مَا زَلْتُ عَنْ مِوَدَّتِكَ ، وَلَا حُلْتُ عَنْ أُخُوتِكَ ،
وَلَا اسْتَبْطَأْتُ نَفْسِي لَكَ ، وَلَا اسْتَزِدَّتْهَا فِي مَحَبَّتِكَ ، وَإِنْ شَخَصَكَ لِمَا نَلَّ
نَصَبٌ ^(٣) طَرَفِي ، وَلِقَلَّ مَا يَخْلُو مِنْ ذِكْرِكَ قَلْبِي . وَاللهِ دَرَّ الَّذِي يَقُولُ :

أَمَا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ النَّوِي لئنْ غَبِثَ عَنْ عَيْنِي لَمَا غَبِثَ عَنْ قَلْبِي
يَذَكِّرُنِيكَ الشَّوْقُ حَتَّى كَأَنِّي أَنَا جِيكَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبِي
وَكَتَبَ بَعْضُ الكِتَابِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ ، تَبَيَّنَ مِنْهُ جَفْوَةٌ ، سَيِّدِي الأَزْمَنِي
الْحَضُوعِ ، وَحَرَمْتُ عَلَيَّ الهِجُوعِ ، وَضَرَمْتُ نَارًا بَيْنَ الصَّلُوعِ ، فَتَرَكْتَنِي
فِيكَ لِأَثْدَا بِالْعَدُوِّ ، وَمَمْنُوعًا مِنَ السَّلْوِ ، مَنْخَفِضًا مِنَ العَلْوِ ، بِهَنْزَلَةٍ مِنْ خَانَ
وُدًّا ، أَوْ نَقْضِ عَهْدًا ، أَوْ أَخْلَافِ وَعْدًا ، أَوْ أَظْهَرَ صَدًّا ، أَوْ جَحَدَ يَدًا ، أَوْ
كَفَرَ عَارِفَةً ^(٤) أَوْ غَمَطَ ^(٥) نِعْمَةً سَالِفَةً .

سَيِّدِي لَمَا اشْتَغَلْتُ بِكَ النَفْسُ القَلْقَلَةَ ، وَالعَيْنُ الأَرِيقَةَ ، حُلْتُ عَنْ مُحَمَّدٍ
الوَفَاءِ ، وَزَلْتُ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ يُوجِبُ عَقُوبَةَ المَجْتَرِمِ ، وَغَيْرِ سَبَبٍ يَقْدِحُ فِي

(١) النغل الفاسد ، أو ولد الزانية لفساد نسبه .

(٢) عاج عنه : رجع عنه وتركه .

(٣) النصب : الشيء المنسوب : يقال : هذا نصب عني ، أي أمامها .

(٤) العارفة : العطية . (٥) غمط النعمة : لم يشكرها .

مودة العبد المهتضم^(١) ، الذي توقعه جريرته ، وتوبقه^(٢) خطيئته ، وتحلُّ به إساءته ، وتلزمه هفواته .

سيدي، أوقعني يسير جفائك ، وإعراض لحظاتك ، في بحار هموم ، غريقها غريق صباية وغموم ، أخطبك بلسان يعجز عن المخاطبة ، وأكاتبك بيدي لا تجرى الى المسكاتبة . وأناجيك بضمير الهيبة ، المشاهد لك في الغيبة ، مناجاة مغرم ، وصريع تجلِّد ، وحليف تلدد^(٣) .

سيدي كلُّ عذابٍ ووجدٍ جديدٍ ، وسقامٍ عتيدٍ ، فهو في محبتك ، والدوامِ على مودتك يسير ، فأما السميل الى وجه السرور فمتعذرة ، والخلاص في طرق السلامة الى الراحة فستوعرة ، قد غلب الظماً وبعد المورد ، وقلَّ العزاء . وفقد الصبر ، وانحلت العزيمة ، وبطل الرأي ، وثبت الهوى ، فتمكَّن في الحشا^(٤) ، فلا تحيص لعبدك عنك ، ولا بدِّله في حالة السخط والرضى منك .

سيدي الرجوع الى محمود الشيمة أشبه من العود ، بالفضل ، والتطول بالوصل أولى بالمولى من الوقوف على الصد ، الذي يقدر في النية ، ويزيل عقد الطوية ، وشفيعي اليك ، الذي أرجو نجاح الشفاعة خضوعي لك ، واعتصامي بك ، وانحطاطي في طاعتك ، ووقوفي بين يديك ، مستكيناً متحيراً معترفاً ، فان ذلك أبلغ شفيع ، وأنت فيما تراه في أمرى أكرم مولى في كل حال ، فانه يتوقع كتاب جواب كتابه ، بما يسكن اليه ، وتتجدد به النعمة عليه ، فحقق تأمله وأكرم صفده^(٥) وأقم أوده ، وعد في جفائه ، الى دوام صفائه ، والسلام .

(١) المهتضم : المظلوم ، اهتضمه : ظلمه وغصبه وكسر على حقه .

(٢) أوبقه : أهلكه . (٣) التلدد : التجير .

(٤) الحشا : ما انضمت عليه الضلوع . (٥) الصفد : العطاء .

٣٧ - باب ما فتنوه كتبهم من الأشعار

وتكاتب به ذوو الظرف والأخطار

أنشدني بعض الأدباء :

هذا كتابٌ مَتَمِّمٌ خَطَّتْ إِلَيْكَ أُنَامِلُهُ
هَزَجَ الْمِدَادَ بَدْمَعِهِ فَسَكَتَ عَلَيْهِ عَوَاذِلُهُ
أَنْتَ الطَّيِّبُ فَدَاوِهِ يَا مُبْتَلِيَهُ وَقَاتِلُهُ

وقال آخر :

هذا كتابٌ فَنَى لَهُ هِمَمٌ عَطَفَتْ إِلَيْكَ رِجَاءَهُ هِمَمُهُ
غَلَّ الزَّمَانُ يَدَيَّ عَزِيمَتَهُ وَرَمَى بِهِ مِنْ حَالِقٍ قَدَمُهُ (١)
أَفْضَى إِلَيْكَ بِسِرِّهِ قَلَمٌ لَوْ كَانَ يَعْقِلُهُ بِكِي قَلَمُهُ

وقال آخر :

هذا كتابي بَدْمَعُ عَيْنِي أَمْلَاهُ قَلْبِي عَلَى بَنَانِي
إِلَى غَزَالٍ كَنَيْتُ عَنْهُ يَجْلُ عَنْ إِسْمِهِ لِسَانِي

وقال آخر :

هذا كتابٌ أَخِي هَوَى وَصَبَابَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا بِهِ كِتْمَانًا
لَاقَ الدَّوَاةَ بِعَبْرَةٍ مَسْفُوحَةٍ كَانَتْ لِمُضْمَرٍ لَاعِجٍ عُنْوَانًا (٢)
قَرَحَ الْفُؤَادِ تَعُودَهُ أَشْجَانُهُ لِمَا بِهِ بِخَيْلِ الطَّيِّبِ وَخَانًا

وقال آخر :

هذا كتابٌ مَتَمِّمٌ يَشْكُو الصَّبَابَةَ فِي كِتَابِهِ
فَارَدُّدٌ عَلَيْهِ جَوَابُهُ كَيْ يَسْتَرِيحَ إِلَى جَوَابِهِ

(١) الخالق : الجبل المنيف المرتفع لانبثات فيه .

(٢) لاق الدواء : أصلح مداها .

لو كان يَنْطِقُ ذا الكتا
وقال آخر :

هذا كتابٌ قَتَى شكا سَقَمًا
يُبكي عليه جُفونٌ مُقْلَتِيهِ
لولا مُرَاقِبَةُ العَدُوِّ وَمَنْ
لَبكى عِلانِيَةً وقال لَهُمْ
وقال آخر :

هذا كتابي اليك أشكو
كُتبتُ أشكو إليك ما بي
ياحسَنَ الوجهِ كُنْ شَفِيعِي
ما ذَكَرَ القلبُ مِنْكَ شَيْئًا
وقال آخر :

هذا كتابٌ قَتَى لَغِيبِكَ حَافِظِ
إِنْ غِبتَ آتَسَ طرفه بدموعه
وقال آخر :

هذا كتابٌ أخى هَوَى مُشْتاقِ
أملِي هواه على بَنانِ يمينِهِ
وكانه يُنْجِي بما في نَفْسِهِ
قَرَحِ الجُفونِ بدمعِهِ المَهراقِ
فأَبانَ كيفَ مَصارِعِ العُشاقِ
من طُولِ شوقِ واكتئابِ باقِ

(١) شفه المرض : أوهنه .

(٢) المستهام : من ذهب فؤاده وخب عقله من الحب . مدنف : ثقل مرضه ودنا

وقال آخر :

يَشْكُو إِلَى مُسْتَظَرَفِ ذَوَاقٍ هَذَا كِتَابٌ مَتِيمٌ مُشْتَاقٍ
وَكَذَلِكَ فِعْلُ الْخَائِنِ الْمَذَاقِ (١) أَهْدَى لَهُ الْهَجْرَانِ بَعْدَ تَوَاصُلِ
وَتَحَرَّجِي إِنْ تَنَقُّضِي مِينَاتِي مَا هَكَذَا فِعْلُ الْكِرَامِ فَأَجْمَلِي
طُولُ النَّحِيبِ وَشِدَّةُ الْإِقْلَاقِ وَارْتِي لَصَبٍ هَائِمٍ قَدْ شَفَّهُ

وأنشدني ابراهيم بن محمد لنفسه :

نَارٌ تَضَرَّمُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هَذَا كِتَابٌ مَتِيمٌ فِي قَلْبِهِ
بَعْدَ الصَّدُودِ إِلَى الْوَصَالِ سَبِيلًا فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابَهُ فَاجْعَلِي لَهُ
وَتَرَكْتَ فِي الْأَحْشَاءِ مِنْهُ غَلِيلًا (٢) فَلَقَدْ تَرَكْتَ فَوَادَهُ فِي غَمْرَةٍ
وَعَيَى مَدَاهُ أَنْ يَكُونَ قَلِيلًا وَلَقَدْ تَبَرَّمْ بِالْحَيَاةِ وَطَوْلِهَا
حَاشَاكَ أَنْ تُرْدِي يَدَاكَ قَتِيلًا لَا تُغْرِبِينَ بِهِ رَدَاهُ وَحِينَهُ
فَأَبَى الرَّقَادَ فَمَا يَلْدُ مَقِيلًا حَاشَاكَ مِنْ قَلْقِ أَطَارِ رُقَادِهِ
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ :

كِتَابَ ذِي صَبُوءَةٍ عَمِيدِ هَذَا كِتَابِي إِلَيْكَ فَاقْرَأْ
وَهَدَاهُ لَوْعَةُ الصَّدُودِ أَقْلَقَهُ شَوْقُهُ الْمَعْنَى
بُكَاءَ ذِي الْفَقْدِ لِلْفَقِيدِ لَكِنَّهُ فِي الظَّلَامِ يَبْسُكِي
رَضَى الْمَوَالِي عَنِ الْعَبِيدِ إِنْ كُنْتَ غَضْبَانَ فَارْضَ عَنِّي
وَلَأَبِي الطَّيِّبِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :
هَذَا كِتَابِي إِلَيْكَ فَاقْرَأْ

(١) المذاق : من كان وده غير خالص .

(٢) غمرة الشيء : شدته ومزدحمه . الغليل : حرارة الحب أو الحزن .

وارثٍ لِسُقْمِي وطولِ صبري
ولا تُرِدْ قَتْلِي وهَجْرِي
فقد وَهَتْ مِنِّي العِظَامُ
فَقَتَلْ حِلْفِ الهوى حَرَامُ
وقال آخر :

أُرِدُ المَحْوِ فِي سَطُورِ كِتَابِي
وَبُكَائِي يَدُلُّ أَنِّي سَقِيمٌ
أنا بين الرجاءِ واليأسِ وَقَفْتُ
فإذا اشْتَقْتُ أَنْ أَرَاكَ أُنادِي
شاهدٌ لي بَعْبَرَةٍ وانْتِجَابِ
خاضعٌ للهوى طویلُ العَذَابِ
لستُ أدري بما يكونُ جِوَابِي
فَرَجَّ اللهُ لي مِنَ الحِجَابِ
وقال آخر :

غَضِبْتُ لِمَحْوِ فِي الكِتَابِ كَثِيرِ
كُتِبَ الكِتَابُ عَلَيَّ خِلافِ ضَمِيرِهِ
ما كان دَمْعِي لِلغُرُورِ وَظَنِّكُمْ
كُتِبْتُ يَمِينِي وَالدُّمُوعُ هَوَاطِلُ
فالمَحْوُ مِنْ قَبْلِ الدُّمُوعِ وَإِنَّمَا
قالت أَرادَ خِيائَتِي وَغُرُورِي
والمَحْوُ فِيهِ لِعِلَّةِ التَّغْيِيرِ
كَلَّا وَلَا لِلسَّهْوِ وَالتَّقْصِيرِ
حَذَرَ الفِرَاقِ لِمَا يُجْنُ ضَمِيرِي^(١)
تَجْرِي دَمُوعُ العَاشِقِ المَهْجُورِ
وقال آخر :

ما زلتُ أَبْكِي وَفِي يَدِي قَلَمٌ
أَكْتَمَ وَجْدِي وَالدَّمْعُ يَظْهَرُهُ
ما زلتُ خِلْوَاً مِنَ الهوى فَلَقَدْ
يا سَيِّداً تاهَ ما يَكْلُمُنِي
حَتَّى اسْتَهَلْتُ مَدَامِعَ القَلَمِ
بِوَاسِطَةِ كَالبِجَانِ مُنْجِمِ^(٢)
عَذَّبَنِي مَنْ هَوَيْتُ بِالسَّقَمِ
نَمَتْ وَعَيْنُ الشَّجِيِّ لَمْ تَنَمِ

(١) أجنه : ستره وأخفاه .

(٢) وكف الدمع : سال قليلا قليلا . الجمان : اللؤلؤ . انسجم : سال قليلا أو كثيرا وانصب

أنا قَتِيلُ الهوى وَمِيتَةٌ لا عَذْبَ اللهُ قَاتِلِي بِدَمِي
وقال آخر :

إِنِّي رَفَعْتُ إِلَيْكَ قِصَّةَ عَاشِقٍ وَلَقَدْ كَتَبْتُ وَدَمَعُ عَيْنِي سَاكِبٌ
وَرَجوتُ عَدْلَكَ فَانظُرِي فِي قِصَّتِي
فَإِذَا قَرَأْتَ فَأَحْسِنِي وَتَنَبَّئِي
مِنْهَا فَنونٌ فِي صِفَاتِ مودَّتِي
عَنِّي وَلَا زَالَتِ عَلَيْكَ مَجَنَّتِي
وقال آخر :

أَمَّا الرَّسولُ فَقَدْ مَضَى بِكِتَابٍ
وَتَعَجَّلْتُ رُوحِي الظُّنُونُ وَأَشْرَبْتُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَكُونُ جَوَابِي
طَمَعَ الحَرِيصُ وَخَشِيَةَ المُرْتَابِ
وقال آخر :

أَسْأَلُ اللهُ خَيْرَ هَذَا الكِتَابِ
أَشْتَهِي فَكَّهُ فَأَفْرُقُ مِنْهُ
قَدْ أَتَانِي بِرَحْمَةٍ وَعَذَابِ
فَقَوَادِي مَفْرُقُ الأَسْبَابِ
وقال آخر :

كِتَابُ صَبٍّ بِدَمْعِ عَيْنٍ
يَكْتَبُهُ كَفُّهُ بِضَنْفٍ
يَمِلُهُ قَلْبُهُ الكَيْبِ
وَمَا لَهَا فِي الهوى نَصِيبُ
وقال آخر :

أَمَّا الكِتَابُ فَقَدْ مَضَى وَأَمَامَهُ
طَلَبَ الجَوَابِ فَأَحْسِنُوا فِي وَدِّكُمْ
خَوْفُ الرَّقِيبِ وَسَطْوَةُ الحُجَّابِ
هَلْ تَنْقِدُونَ مَتِيماً ذَا صَبْوَةٍ
لَا تَبْخَلُوا عَنِّي بَرْدَ جَوَابِ
جودوا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ وَتَعَطَّفِ
أَضْحَى أَسِيرَ تَذَكَّرِ وَتَصَابِي
فَلَقَدْ أَطَلَمْتُ بِالصُّدُودِ عَذَابِي

أَمَا الْكِتَابُ فَمِنْ كَثِيبٍ عَاشِقٍ
لَكِنَّهُ غَادٍ إِلَى ذِي سَلْوَةٍ
وَقَالَ آخِرُ :

لَوْلَا الْكِتَابُ الَّذِي جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ
جَاءَ الرَّسُولُ عَلَيَّ يَا سِرِّ بِمَوْعِدِهِ
وَقَالَ آخِرُ :

صَلِّينِي بِالْكِتَابِ وَبِالسَّلَامِ
وَجُودِي بِالْكِتَابِ وَعَنْوِينِي
مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ يَوْمَ دَجْنِ
وَنَاحِلَةِ فَدَيْتِكَ يَا مُنَايَ
وَقَالَ آخِرُ :

كَتَبْتِ إِلَىَّ يَا رُوحِي كِتَابًا
وَلَوْلَا الْعَيْبُ هِمَّتُ إِلَيْكَ لَمَّا
مَخَافَةَ نَظَرَةٍ مِنْ عَيْنِ وَاشٍ
وَقَالَ آخِرُ :

لَمْ يَزِدْنِي الْكِتَابُ إِلَّا اشْتِيَاقًا
بِأَبِي أَنْتِ يَا حَبِيبَةَ قَلْبِي
وَأَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ لِنَفْسِهِ :

كَتَبْتَ إِلَىَّ تَذَكْرَ مَا تُتْلَقِي
مِنْ الشَّوْقِ الْمُبْرَحِ وَالْفِرَاقِ

(١) الأوصاب : جمع الوصب : المرض والوجع الدائم ونحول الجسم .

(٢) الرمق : بقية الحياة .

(٣) دجن اليوم : كان فيه غيم ومطر .

لعمرك ما أتهمتُكَ في ودادِ
فؤادي هائمٌ والعينُ تَذري
وقد ذُقتُ الفِراقَ وكانُ مرًّا
على أني وإنْ أبديتُ صبرًا
وَقَالَ آخِرُ :

قُولَا لِمَنْ كَتَبَ الْكِتَابَ بِكَفِّهِ
إِرْحَمْ فِدَيْتُكَ ذِلَّتِي وَخُضُوعِي
مَا زِلْتُ أَبْكِي مَذْقَرَاتُ كِتَابِهَا
حَتَّى مَحَوْتُ سَطُورَهُ بِدُمُوعِي
وَقَالَ آخِرُ :

الدَّمْعُ يَمْحُو وَيَدِي تَكْتُبُ
عَنِ الْهُوَى وَامْتِنَعِ الْمَطْلَبُ
أَمَّا خَدِّي فَرَّ زَاهِرُ
إِلَيْهِ مِنْ زُهْرَتِهِ الْمُنْهَبُ
لَقَدْ بَرَأَنِي سَقَمٌ قَاتِلُ
وَهَدَّ جِسْمِي دَنْفٌ مُنْصِبُ
وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ وَهْبٍ :

يَا مُنَايَ وَسُرُورِي جَهْدُنَا غَيْرُ يُسِيرِ
وَالَّذِي نَشْكُوهُ فِي الْكُتُبِ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرِ
لَمْ تَطِقِ ألسُنُنَا مِنْ وَصْفِهِ عَشْرَ عَشِيرِ
فَشَقِي يَا أَبِي أَنْتَ بِمَكْنُونِ الضَّمِيرِ
ثُمَّ قَوْلِي مَطْلَعِ الْجَوِّ زَاءِ وَالشَّعْرَى الْعَبُورِ (١)
حَفِظَ اللَّهُ فِتْيَ بَاتَ لَهَا خَيْرَ سَمِيرِ

ولبعض المحدثين :

من الوهم من آثار قبرٍ مسنمٍ وهام ترى قبر القليل المتيسم

(١) الجوزاء : برج في السماء . الشعري العبور : كوكب في الجوزاء .

وَمَنْ طَلَّلَ لِلشَّوْقِ لَمْ يَعْفِهِ الْبَيْلِ
إِلَى زِينَةِ الدُّنْيَا وَمُنِيَّةِ أَهْلِهَا
وَأَمْلَحَ خَلْقَ اللَّهِ قَدًّا وَصُورَةَ
سَلَامٍ عَلَى مَنْ شَفَّنِي وَأَذَابِي
وَوَكَّلَنِي بِالنَّجْمِ أُرْعَى أَفْوَلَهُ
وَإِحْمَدُ مَنْ أَبْلَى شَبَابِي بِحُبِّكُمْ
وَبَعْدُ فَقَدْ وَاللَّهِ يَا سَوْلاً عَبْدَهَا
وَنَوَى وَفَاءٍ لَيْسَ بِالْمَتَّهِدِمْ
وَأَحْسَنَ مَنْ يَزْهُو بِطَرْفٍ وَهَيْسَمٍ (١)
وَدَلًّا وَإِدْلَالًا عَلَى حُبِّ مَغْرَمٍ
وَأَسْكَنَ قَلْبِي كُلَّ وَجْدٍ وَمَا لَمْ
وَأَنْدَبُهُ بِالذَّمِّ طَوْرًا وَبِالدَّمِّ
عَلَى الْبُؤْسِ وَالسَّرَّاءِ حِينَ التَّنَعُّمِ
وَمَوْلَاتِهِ أَنْضَجْتَ أَحْشَائِي فَأَعْلَبِي

٣٨ - وما ضمنوه كتبهم من السلام

وجعلوه تلو الشعر والنظام

عَلَيْكَ سَلَامٌ لِاسْلَامٍ مُودِعٍ
سَلَامٌ حُبِّ خَانِهِ حُسْنِ صَبْرِهِ
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
سَلَامٌ سَقِيمٍ هُدْنَفِ الْقَلْبِ مُقْرَحٍ
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا لَاحَ كَوْكَبُ
سَلَامٌ غَرِيبٍ شَفَّةِ الْوَجْدِ وَالْهَوَى
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ هَلْ أَنَا مَيِّتٌ
فَعِيشِي بِخَيْرٍ وَأَسْلَبِي لَيْسَ حُبِّكُمْ
وَلَكِنْ سَلَامٌ لَمْ يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ
فَأَصْبَحَ فِي كَرْبِ الْحَيَاةِ وَفِي جَهْدِ
وَمَا قَرَقَرَ الْقَمْرِيُّ فِي وَرَقِ السِّدْرِ (٢)
مَشُومٍ عَلِيلٍ مُشْعَلِ الْقَلْبِ بِالْجُرِّ
لِسَارِي اللَّيْلِ وَاسْتَوْسَقَ الْبَدْرُ (٣)
وَبَلَّ حِشَاهُ الْهَمُّ وَالذِّكْرُ وَالْعَسْرُ
بِدَاءٍ هَوَايِكِ الشَّقِيِّ الْمَقْلَقِ
وَالْوَجْدُ عَنَى مَا حَيَّتْ بِمُنْجَلِي

(١) الميسم : الحسن والجمال .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . قرقر : ردد صوته . القمري : ضرب من الحمام .

السدر : شجر التيق .

(٣) استوسق : اجتمع .

آخر: عليك سلام الله أما قلوبنا
نبئت بود خالص وصبا به
آخر: عليك سلام الله قد شطت النوى
أموت بوجد هضمر وصبا به
آخر: عليك سلام الله قدمت صبوة
أرى الصبر عنكم كأنهم مذنايم
آخر: عليك سلام الله قلبي متوق
ومثل الهوى أضنى الحشاو مثل ما
آخر: عليك سلام الله قدر صبا بتي
أبيت حليف ألهم والوجد والأسى
آخر: عليك سلام الله ما حن ألف
سلام مشوق نحوكم متطلع

فمرضى وأما ودنا فصحيح
ونعدو بحب صادق ونروح
وقد كدت ألقى الله من كمد جهدا
وأزداد إن زدتم على نايم صدا
وما لي عزاء مذنايم ولا صبر
فقد وجلال الله ضاق به الصدر
م جسمي نحيل والمدامع تذرف (١)
بليت به تنكي القلوب وتشغف (٢)
إليك وشوق أني مدنف القلب
رهين يد الأحزان والشوق والكرب
وما اشتاق ذو وجد وما طلع الفجر
أخي حسرات خانة فيكم الصبر

٣٩ - باب ما كتبه على العنوانات

وسلكوا به سبيل المداعبات

إلى سبي ومالكتي وروحي
آخر: إلى الشمس المنيرة حين تبدو
من الصب الكئيب أخي التصابي
آخر: من الدنف الذي يضحى حزينا
من الجسد الطريح بغير روح
غداة الدجن من بين الغيوم (٣)
حليف الشوق محتبس الغوم
وبين ضلوعه قلب مصاب

(١) متوق : مشتاق .

(٢) تنكي : تقهر بالقتل والجرح . شغفه الحب : غشى قلبه وغلبه .

(٣) الدجن : المطر الشديد .

إلى الخودِ التي أبليتُ شيباي
آخر: منى إلى قلبي ولم أر كاتباً
أرى كلَّ شيءٍ بالياً متغيّراً
آخر: منى إليك فإني هائمٌ دنفُ
النفْسُ ذاهبةٌ والعقلُ مختلسُ
آخر: منى إليك فما وجدى بنصرمِ
ولو رأيتك يوماً لا نقضى حزنى
آخر: منى إليك فإني هائمٌ قلقُ
الله يعلمُ ما بالقلبِ من قلقِ
فأضحى ما يسبحُ لى الشرابِ^(١)
يخطُ بأقلامٍ إلى قلبه قبلي
وحُبُّك لا يبلى ولكنه يبلى
حليفُ السقامِ برانى الشوقِ والأسفُ
والقلبُ محتبسٌ والروحُ مختطفُ
حتى المماتِ وما قلبي بهمذورِ
وعادَ عيشي صفواً بعد تكديرِ
حليفُ همَّ قرينِ العينِ بالسهدِ
إذا نأيتِ وما ألقاهُ كمدِ

وقد مضى من هذا الباب ما فيه كفاية ، ولو ذهبت الى تطويله لم يكن
لآخره نهاية ، وقد أحببت أن أختم كتابنا بأشياء يستحسنها الظرفاء ،
ويميل اليها الأدباء ، مما يكتب على الأقلام من التنتف^(٢) ، وملح المقطعات
والطرف ، وأنا ذاكر في ذلك بعض ما استحسنته ، وملحاً مما استرقفته ،
إن شاء الله .

قد جمعنا في هذا الفصل أشياء من مستظرفات الأشعار ، ومستحسن
الأخبار . ومنتخلي^(٣) الأبيات ، ومنتخب المقطعات ، ونوادير الأمثال ،
وملح الكلام ، الذى يجوز كتابه على الفصوص والتفاح ، والقنائى
والأقداح ، وفي ذبول الأقتصة والأعلام ، وطُرُز الأردية والكلام . والقلائس

(١) الخود : الصبية .

(٢) التنتف : جمع التنتفة ، وهى من الشيء : القليل منه .

(٣) المنتخل : أفضل ما يختار .

والكرازن ، والعصائب ، والتسكك ، والوقايات ، وعلى المناديل
والوسائد، والنخاد والمقاعد، والمناص، والحمل، والأسرة والتسكك، والرفارف
ووجوه المستنظرات، وفي المجالس والايوانات، وصدور البيوت والقباب،
وعلى السطور والأبواب، والنعال السنديّة. والخفاف الزنانية، وعلى الجباه
والطرر، وعلى الخدود بالغالية والعنبر، وعلى الوطأة والوشاح، وفي تفليج
الأترج والتفاح، ومما يُعَدل به من تنضيد الورد والياسمين، ويكتب على
أواني الذهب والفضة والسكاكين، وقضبان الخيزران المدهونة، والنخاد
الصينية، والمراوح والمذاب، والعيدان والمضارب، والطبول والمعازف،
والنبايات، والأقلام، والدنانير والدرهم، وجعلنا ذلك أبوابا مبهوبة،
وحدودا مبيّنة، لتتقف على أصولها، وتبين حسن فصولها.

٤٠ - باب ما يكتب على الفصوص

نقش بعض الظرفاء الصوفية على خاتمه:

أنا لله وبالله أنا	أنا والله مقررٌ بالفناء
آخر: قد فاز بالطاعة من نالها	نعمت الطاعة عُمَّالها
آخر: أعمدّت لذنبي	حسن ظني بربي
آخر: ختم الله بخير عملي	وتوفاني على حب علي
آخر: حبُّ علي بن أبي طالب	فرض على الشاهد والغائب
آخر: بحب آل محمد	ألقى إله محمد
آخر: أنا بالله قانع	إن ربي لصانع
آخر: أنا بالله واثق	إن ربي لرازق
آخر: أنركاني والمعاصي	وعلى الله خلاصي

آخر : ما علينا من جناح
آخر : أحبُّ من يهـواني
آخر : آفةٌ عقلي بصرى
آخر : تحت ثيابي بدنٌ ناجلٌ
آخر : أمسيتُ عبدًا لك لأجددُ
آخر : أنا مولى لأهل هل
في هوى البيض الملاح
برغم من ينهاني
وله عقلي نظري
وفي فؤادي شغلٌ شاغلٌ
أنا مقرُّ والهوى يشهد
من توألهم عقل

يعنى : هل أتى على الانسان ، لأنها نزلت في على .

ومما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم

القناةُ خير من الضراعة .

التقلُّ خير من التذلل .

السلامة خير من الندامة .

الأسفُ أهونُ من التكلف .

بادرِ الفرصةَ قبلَ أن تكون الغصة^(١) .

الهربُ قبلَ الطلب .

الفرار قبل الحصار .

الرجوع قبل الوقوع .

وفي ضرب آخر

لكلِّ حقٍّ حقيقة ، ولكلِّ زمانٍ خليقة .

القصْدُ^(٢) أقربُ من التعسُّفِ^(٣) ، الكيفُ أحرى من التكلف .

(٢) القصْدُ : نقيض الإفراط .

(١) الغصة : الحزن ، الهم .

(٣) التعسُّفُ : الظلم .

الموت معتبرٌ ، والسبيل محتضرٌ
الحقُّ يُنجي ، والباطلُ يردى
النصحُ ملامة ، والتصريحُ سلامة
الأملُ يلوئى ، والشيطانُ يغوى
لكلِّ امرئٍ طريقَةٌ ، ولكلِّ عاملٍ وثيقة .
بطولُ التجاربِ ، يُكشِفُ المآربِ
طولُ الاعتبارِ ، من حُسْنِ الاختبارِ
فوتُ الأملِ ، أشدُّ من حضورِ الأجلِ .

ومما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم

مَنْ كَثُرَتْ لِحْظَاتُهُ ، دَامَتْ حَسْرَاتُهُ
مَنْ تَدَاوَى بِدَائِهِ ، لَمْ يَصِلْ إِلَى شِفَائِهِ
مَنْ قَدَّمَ هَوَاهُ ، دَامَ أَسَاهُ^(١)

العقل عند الهوى أسير ، والشوقُ عليهما أمير
إذا كَثُرَ الجفاءُ ، قَلَّ الوفاءُ .

إذا صحَّ الظفرُ^(٢) ، وقعتِ الغيرةُ^(٣) .

إذا صحَّت القلوبُ ، اغتفرت الذنوبُ .

قلٌّ من سلا ، الا استفزه الهوى .

مَنْ مَنَعَ مِنَ النَّظَرِ ، اقْتَصَرَ عَلَى الْأَثَرِ

مَنْ مَنَعَ مِنَ الْوِصَالِ ، قَنَعَ بِالْخِيَالِ .

(١) الأسى : الحزن

(٢) الظفر : الفوز والغلبة .

(٣) غير الدهر : أحداثه .

وفي ضرب آخر

الْحَيْنُ ، خَيْرُ مِنَ الْبَيْنِ ^(١) .
القَبْرُ ، أَفْسَحُ مِنَ الْهَجْرِ .
المَوْتُ ، خَيْرٌ مِنَ النُّوْتِ .
غُصَصُ الْفِرَاقِ ، شَرٌّ مِنَ السَّبَاقِ .
كَأْسُ الْهَجْرِ ، أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ .
طُولُ الْجَفَاءِ ، يُكَدِّرُ الصَّفَاءِ .
حُسْنُ الْوَفَاءِ ، رُكْنُ الْإِخَاءِ .
آفَةُ الْحَبِيبِ ، نَظَرُ الرَّقِيبِ .
آفَةُ الْغَزْلِ ، سُرْعَةُ الْمَلَلِ .
الهُوَى ، ثَوْبُ الضَّنَى .
ذَهَبَ الْفِرَاقِ ، بِحِيلَةِ الْعِشَاقِ .

وفي ضرب منه آخر

حَفِي فَلَفِي ، أَلِفٌ فَتَفِي ، حَنَّ وَأَنَّ ، حَظِي فَرَضِي ، عَشِقُ فَرَهَقُ ،
هُوَى فُضْنِي ، صُرِمَ فُظْلَمَ ، صَدَّ فَجَدَّ ، صَبَرَ فَقَدَّرَ ، مُنِعَ فَجَزَعَ ، نَالَ
فَاسْتَطَالَ ، بَاحَ فَاسْتَرَا حَ ، سَلَا فَوَقَّلَا ، مَلَكَ فَفَتَكَ ، عَدَلَ فَفَقَتَلَ ، عَفَّ فَفَكَفَّ
وكان الحسن بن وهب تعشيق جارية يقال لها : ناعم ، فَنَكَسَ ^(٢) اسمها ،

و نقش على خاتمه مُعَان ، وذكر ذلك في أبيات يقول فيها

نَمَشْتُ مُعَانًا عَلَى خَاتَمِي لَمَكَيْمًا أُعَانَ عَلَى ظَالِمِي

(١) الحين : الهلاك . البين : الفرقة ،

(٢) نكس : قلبه على رأسه وجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره .

كذا اسم من هام قلبي به وأصبح في حالة الهائم
نكست الهجاء فأعلنته بطرفي ليخني على الحازم

وكان محمد بن عبد الملك الزيات يحب بعض جواري القيان ، ثم تنكر لها ،
فكتبت على خاتم لفظاً تعرض له بالعتاب ، فبلغه ذلك ، فكتب على خاتمه
ضد ما كتبت ، فبلغها فحقت ما كان على خاتمها ، وكتبت ضد ما كتب ، فبلغه
ذلك ، فحما ما كان على خاتمه ، وكتب ضد ذلك في أبيات يقول فيها :

كُتِبَتْ عَلَيَّ فَصَّ لِخَاتَمِهَا مَنْ مَلَّ مِنْ أَحِبَّاءِ بِهِ رَقْدًا
فَكُتِبْتُ فِي فَصِّي لِيَبْلُغَهَا مَنْ نَامَ لَمْ يَشْعُرْ بِنَ سَهْدًا
فَمَحَوْتُهُ وَاسْتَكْتَبْتُ لِيَبْلُغَنِي مَا نَامَ مِنْ يَهُوَى وَلَا هَجْدًا^(١)
فَمَحَوْتُهُ ثُمَّ اسْتَكْتَبْتُ أَنَا وَاللَّهِ أَوْلُ مَيِّتٍ كَمَدًا
قَالَتْ : يُعَارِضُنِي بِخَاتَمِهِ وَاللَّهِ لَا كَلِمَتَهُ أَبَدًا

٤١ - باب ما وير على التفاع

من الألفاظ الملاح

قرأت على تفاعحة مكتوباً بماء الذهب :

قَبْلَ تَهْدُونِي فَخَطُّوا فِي سَطْرًا مِنْ ذَهَبٍ
إِنِّي أَعْطِفُ مِنْ صَدِّ لِيُضْفِي ذَا كَرَبٍ

وعلى أخرى بالفضة :

لَيْسَ شَيْءٌ يَتَهَادَى مِثْلَ تَفَاحٍ مُكْتَبٍ
خُطَّ بِالْفِضَّةِ (مِنْ نَبِيٍّ) نَحْرِي رِهْدَبٍ^(٢)

(١) هجد : نام بالليل .

(٢) بياض بالأصل وقد أكنناه بما يتفق والمعنى .

يَا مُنَى قَلْبِي مَا تَرَى ثِي لَذِي عَشَقُ مَعَذَّبُ
وعلى أخرى: أَنَا لِلْأَحْبَابِ بِاللَّهِ رَّ وَبِالْوَصْلِ رَسُولُ
أَتَهَادَى فَأَرْقُ الْ قَلْبُ وَالْقَلْبُ مَلُولُ
وعلى أخرى: وَإِذَا مَا مُرْسِلٌ نَدَى مَّ فَمَا أَنْتِ نَمُومَةٌ
أَنْتِ رِيحَانَةٌ قَلْبِي تُمُّ لِلسَّرِّ كَتُومَةٌ
وعلى أخرى: أَنَا شَمَامَةٌ الْكَرِيمِ (مِ أَنْيسٌ) لِمَجْلِسِهِ (١)
وَرَسُولٌ مُبَارَكٌ مُذْهَبٌ صَدَّ مُؤْنِسُهُ
وعلى أخرى: إِشْرَبْ عَلَى خُمْرَةِ تَفْحَاحِ يَأَهُؤْنِسِي مِنْ بَارِدِ الرَّاحِ
حَيَّاكَ مَعْشُوقٌ لَهُ زَهْرَةٌ وَقِينَةٌ بِالْعُودِ مِفْصَاحِ
وعلى أخرى: مَا تَحْيَا بِيَلَاءِ النَّاسِ مُذْ كَانُوا بِمِثْلِي مِ لِي طَيْبٌ وَبَقَاءُ
وعلى أخرى: لِي طَارَاوَاتٌ وَرِيحٌ مُمْ مَاءٌ وَنَضَارَةٌ
لَيْسَ لِلْيَاقُوتِ فَضْلٌ كُلُّ يَاقُوتٍ حِجَارَةٌ
وعلى أخرى: جَرَحَ اللَّهُ الَّذِي يَجْرُ رَحٌ بِالسَّكِّينِ لِحْيِ
فَلَجَّوْا حَامِضَةٌ إِنَّ يَ كَمِثْلِ الشَّهْدِ طَعْمِي
وعلى الأخرى: أَنَا خِرَاءُ دَعَوْنِي مُجِبٌ وَحَبِيبُ
وَكَلُّوا ذَاتَ بِيَاضِ أَكْلُهَا غَيْرُ مَعْيَبِ
وعلى الأخرى: حَيَّاكَ إِنْسَانٌ لَهْرُؤُنُقٌ نَوَّارَةٌ دَانِيَةٌ تَزْهَرُ
تَفْحَاحَةٌ خِرَاءُ مَنْقُوشَةٌ تَخْجَلُ مِنْ خُمْرَتِهَا الْجَوْهَرُ

(١) بياض بالأصل وقد أكلناه بما يتفق والمعنى .

٤٢ - باب ما ورد على زيول الأفعى والأهلام

وطرز الأردية والأكام

قال الماوردي : رأيت جارية ، ونحن عند محمد بن عمرو بن مسعدة ،
لم أشك أنه عاشقٌ لها واليهما مائل ، لما رأيت من حركاته إذا نظرت ،
وسروره إذا نظقت ، وتهلله إذا غنت ، وكانت فوق وصف الواصف من
الحسن والجمال ، وعليها قميص موشحٌ بالها ، ورداء معين ، مكتوب في
وشاح القميص :

أَغْيَبُ عَنْكَ بُودٌ لَا يَغْيِرُهُ نَأَى الْمَحَلِّ وَلَا صَرَفٌ مِنَ الزَّمَنِ (١)
تَعْتَلُّ بِالشُّغْلِ عَنَّا مَا تَكَلَّمْنَا الشُّغْلُ لِلْقَلْبِ لَيْسَ الشُّغْلُ لِلْبَدَنِ
وعلى طراز الرداء :

أَقَلُّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا سُرُورًا مُجِبٌّ قَدْ نَأَى عَنْهُ الْحَبِيبُ
قال : ورأيت جارية لبعض الهاشميين يقال لها : عريب ، عليها يص
ملحم ، موشح بالذهب ، مكتوب في وشاحه :

وَإِنِّي لِأَهْوَاهِ مُسَيِّئًا وَمُحْسِنًا وَأَقْضِي عَلَى قَلْبِي لَهُ بِالذِي يَقْضِي
فَحْتِي مَتَى رَوْحُ الرِّضَى لَا يَنْأَلْنِي وَحَتَّى مَتَى أَيَّامِ سَخَطِكَ لَا تَمْضِي (٢)
وعلى طراز كفه :

إِذَا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وَأَسْلَبَنِي الْغَرَى فَفَرَقَةَ مَنْ أَهْوَى أَحْرَهُ مِنَ الْجَرَى
ورأيت على ماجن ، جارية مكاتم المغنية ، قيصا في وشاحه بالذهب :

زَفَرَاتِي لَيْسَ تَفْنَى وَفَوَادِي بِكَ مَضَى

(١) صرف الدهر وصروفه : نواثية وحدثانه .

(٢) الروح : الراحة ، والرحمة .

أَتَرَضَّاكَ وَأُبْدِي لَكَ (حُبًّا ذَاقْ غِيْبًا) نَمَّا^(١)

بِأَبِي كَمْ أَتَمَّنِي وَإِلَى كَمْ أَتَمَّنِي

بَعْدَ مَا أَصْبَحَ قَلْبِي فِي يَدِ الْأَحْرَارِ رَهْنًا

قال : ورأيت في صدر قميص جارية تباريح الكوفية ، مكتوبا بالفضة والذهب سطرًا وسطرًا :

يَا قَتِي قُلْتُ إِذْ دَعَانِي هَوَاهُ مُسْتَجِيبًا لِصَوْتِهِ لَبِيكَا

مَا بَكَتْ مُقَلَّتِي لِفَقْدِكَ إِلَّا جَزَعًا أَنْ أَمُوتَ شَوْقًا إِلَيْكََا

قال : ورأيت مرّة أخرى عليها دُرّاعة ملحم بترانين أبريسم ، ولبنة سوسنجرد ، وفي دُور اللبنة مكتوب .

يَا رَامِيًّا لَيْسَ يَذْرَى مَا الَّذِي فَعَلَا أَمْسِكْ عَلَيْكَ فَإِنَّ السَّهْمَ قَدْ قَتَلَا

أَصَبْتَ أَسْوَدَ قَلْبِي إِذْ رَمَيْتَ فِلا شَلَّتْ يَمِينُكَ أَنْ صَيَّرْتَنِي مَمْلَا

وكتبت بُتآن جارية الخيزران على ترانين دُرّاعة لها بذهب :

لَمْ تَقْعَلْ قَوْلًا وَلَكِنْ حَلَفْتُ أَنَّهَا أَحْسَنَ عَيْنٍ أَطْرَقَتْ

زَعَمْتُ أَنِّي قَدْ لَاحَظْتُهَا أَيُّ عَيْنٍ لَحَظَتْ فَأَعْتَرَفْتُ

أَظْهَرْتُ حِجَّةً مَنْ يَعَشَّقُهَا وَاسْتَبَاحَتْ غَفْلَةً وَانْصَرَفْتُ

وَعَلَى طِرَازِ كُمِّهَا

لَيْسَ بِي صَبْرٌ وَلَا بِي جَلْدٌ قَدْ نَفَى حُبُّكَ عَنِّي جَلْدِي

وأخبرني بعض أصحابنا قال : أخبرني من رأى في ذيل جارية الحسن بن

قارن منسوجا في العلم :

(١) بياض بالأصل وقد أكلناه بما يتفق مع المعنى .

أَحْسَنَ مَا قَدِ خَلَقَ اللهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْهُ
شَكَوَى فِتَاةٍ وَقَى يَعْشَقُهَا وَتَعْشَقُهُ
نَارُ الْهَوَى دَانِيَةً تَحْرِقُهَا وَتَحْرِقُهُ
يَا حَبِذَا الْحَبُّ إِذَا دَامَ وَدَامَتْ حَرَقُهُ

وكتبت رأيي ، جارية الأحب ، قبل أن يشتريها اسحاق بن ابراهيم
الموصلي ، على وشاح قيصها :

أَذَا وَجِدْتُ لَهَيْبَ الشُّوقِ فِي كَيْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أَبْتَرِدِ
هَبْنِي طَفِئَتْ بِيَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرَهُ فَمَنْ إِحْرًا عَلَى الْأَحْشَاءِ يَتَّقِدِ
وكتبت جارية لقميحة على رداء لها رشيدى :

أَرَاهُمْ يَأْمُرُونَ بِقَطْعِ وَضَلِي مُرِيهِمْ فِي أَحْبَبْتِهِمْ بِذَلِكَ
فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكِ فَطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاوُوكِ فَاعِصِي مِنْ عَصَاكِ
وكتبت جارية أبي حرب على رداء لها ممسك :

مَنْ أَلْفَ الْحَبِّ بَكَى مِنْ شَفَةِ الشُّوقِ شَكَا
مَنْ غَابَ عَنْهُ الْفُهِهُ أَوْ صَدَّ عَنْهُ هَلَاكَا
يَا مَالِكَا عَذِّبْنِي بِجَوْرِهِ إِذْ مَلَكَا
رِفْقَا بِمَمْلُوكِكَ مَا يَحِلُّ ذَا الظُّلْمِ لَكَا
وكتب بعض الظرفاء على طراز مطرف خز :

وَهَبْتُ شِمَالِ آخِرِ اللَّيْلِ قَرَّةً وَلَا ثَوْبَ إِلَّا بَرْدُهَا وَرِدَائِيَا^(١)
فَمَا زَالَ ثَوْبِي طَيْبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْخَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الثَّوْبُ بِالْيَا^(٢)

(١) ليلة قرة : باردة . البرد : ثوب مخطط . (٢) أنهج الثوب : بلى .

وكتبت دنسيّة جارية زُرُور على قباء معصفر :
وما البدرُ المنيرُ اذا تجلّى هُدُوءاً حين ينزل بالعراقِ
بأحسنَ من بُشينة يوم قامت تهادى في معصفرة رفاقِ

٤٣ - باب ما وجد على الكرازر له صاحب

ومشاد الطرر والذوائب

وكتبت علمل على قلنسوة لها ديباج^(١) ، وهي جارية محمد بن المأمون :
ما يملُّ الحبيب طول التّجنّي لبلائي به ولا الصّدّ عني
كلّ يومٍ يقول لي لكذبت يتجنّي ولا يرى ذاك مني
ربّما جئتُه لِأسلفه العذّ رلبعض الذنوب قبل التّجنّي
وكتبت جارية المارقى على قلنسوة لها بذهب :

كتب الشّوق في فؤادي كتاباً هو بالشّوق والهوى مخنوم
رحم الله معشراً فارقوني لا يطيعون في الهوى من يلوم
ساق طرفي الى فؤادي بلائي إنّ طرفي على فؤادي دشوم
وكان على قلنسوة جارية محمد بن سعيد الفارسي مكتوباً :

أنا بعد القضاء سُمّت فؤادي وأصبت الغداة عيني بعيني
لم تزل بي حوادث الدهر حتى فرقت بين من أحبّ وبيني
وكتبت جارية الحباب على قلنسوتها :

الله يحفظه على شحط النّوى ما كان أوصله إلى تعذيبه

(١) القلنسوة : نوع من ملابس الرأس ، وهو على هيئات متعددة . الديباج :

الثوب الذي سداه ولخته حرير .

وكتبت جارية ابن السلمي على كرزنها^(١) :

الشمس تطلع للغيب ولا أرى شوقى إليك على الزمان يغيب
وكتبت بنان الشاعرة على قلنسوة لجاريتها :

إن كنت خنت ولم أضمر خيانتكم فالله يأخذ من خان أو ظلمًا
سماحة من محب خان صاحبه ما خان قط محب يعرف الكرماء
والله لا نظرت عيني إليك ولا سألت مساربها شوقًا إليك دماً^(٢)

وقال الجاحظ : رأيت نشوان ، جارية زلزل ، وعابها عصا به مكتوب عليها :
عدين مسهدة في مائها غرقت ياليتها ذهبت لو لم تكن خلقت
لم تذهب النفس إلا عند لحظتها ولا بكت بدم إلا لما أرقت
يا مقلّة سوف أبكيها ويا كبدًا بها أحاط الهوى والشوق فاحترقت
وكان على كرزنها :

الحب يعرف في وجوه ذوى الهوى باللحظ قبل تصافح الأجفان

قال : ورأيت على قلنسوة تباريح :

أهل الهوى فى الأرض تلقاهم يمشون أحياء كأموات

وكتبت شادين ، جارية خنت قيمة جوارى المأمون ، على وقاية تجمع
بها ذوائبها :

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جئل أسحم^(٣)
فكانها فيه نهار مشرق وكانه ليل عليها مظلم

(١) الكرز : تاج ملوك فارس وهو مرصع بالذهب والجواهر .

(٢) المسارب : جمع المسربة : مجرى الدمع .

(٣) فرع المرأة . شعرها . جئل الشعر : كثر والتف واسود . أسحم : أسود .

وقال علي بن الجهم : حضرت مجلس بعض الظرفاء ، فخرجت علينا جارية كأنها تمثال ، وعليها عصابة تد أرسلت لها طرفين ، على صدرها مكتوب :

مَنْ يَكُنْ صَبًا وَفِيًّا فَرِزْمَامِي فِي يَدَيْهِ
خُذْ مَلِيكِي بَعْنَانِي لَا أَنْزَعَكَ عَلَيْهِ

قال : فوثبت فأخذت بطرفي العصابة وقلت : أنا والله صب ، وأوفى خالق الله لمحبي ، قالت : إنه لا بد للفرس من سوط ، قلت : يا غلام ، هات السوط ، قالت : هيئات إذاك سوط الدواب ، وسوط مثلي شبيهه ^(١) فضة وعلاقته ذهب .

وكان علي قلنسوة زين مغنية اسماعيل :

أَقِيمُ عَلَى الْآصَالِ مَنْتَظَرًا لَهَا وَقَدْ أَشْرَفْتُ مِنْ هَوْلِ ذَاكَ عَلَى نَحْيِ
أَمُوتِ وَأَسْتَحْيِ الْهُوَى أَنْ أذُمَّهُ وَإِنْ كُنْتُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَفِي كَرْبِ
وقال الزبير بن بكار : رأيت علي قلنسوة بعض المغنيات :

أَدْمَيْتَ بِاللَّحْظَاتِ وَجَنَّتَهَا فَاقْتَصَّ نَاطِرُهَا مِنَ الْقَلْبِ

وعلى عصابتها :

فإذا نظرت إلى محاسنها أخرجتها عطلاً من الذنب
وقال الماوردي : رأيت جارية لبعض ولد المأمون ، وعليها قلنسوة عليها مكتوب :

يَا تَارَكَ الْجِسْمَ بِلَا قَلْبِ إِنْ كَانَ يَهْوَاكَ فَمَا ذَنْبِي
يَا مَفْرَدًا بِالْحَسَنِ أَفْرَدْتَنِي مِنْكَ بِطُولِ الشُّوقِ وَالْكَرْبِ
وعلى كرزنها لها :

أَنَا الْعَبْدُ الْمَقْرُؤُ بِطُولِ رِقِّ وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ عَبْدٍ خِلَافٌ

(١) الشيب : سير السوط .

قال : ورأيتُ على جارِيَةِ لَاهِي كَرَزَنَا مَكْتُوبَا عَلَيْهِ :

عَذَّبَهُ بِالْهَجْرِ مَوْلَاهُ وَزَادَهُ شَوْقًا وَأُضْنَاهُ
فَدَمَعُهُ يَجْرِي عَلَى خَدِّهِ وَلَمْ تَنْمُ لِلْوَجْدِ عَيْنَاهُ
قَدْ كَتَبَ الْحُبُّ عَلَى قَلْبِهِ : مَتَّ كَمَدًا يَرَحُّكَ اللَّهُ

وكتبت جارِيَةَ لعِيسَى بنِ جَعْفَرِ بنِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَتْ قِيَمَةً لَهُ ، عَلَى كَرَزْنَاهَا :

لَيْتَ النَّقَابَ عَلَى الْقَبَاحِ مُحْرَمٌ وَعَلَى الْمَلِاحِ خَطِيئَةٌ لَا تُغْفَرُ
وكتبت على وقاية تجمع بها ضفائرُها :

جَزَى اللَّهُ الْبِرَّاقِعَ مِنْ ثِيَابٍ عَنِ الْعَيْنَيْنِ شَرًّا مَا يَقِينَا
يُغْطِيَنَّ الْمَلِاحَ فَلَا تَرَاهُمْ وَيَسْتُرَنَّ الْقَبَاحَ فَيَسْتَوِينَا

وكتبت عارم ، جارِيَةَ جَنَاحَ ، عَلَى كَرَزْنَاهَا ، وَكَانَتْ تَتَعَشَّقُ بِعَضِّ وَلَدِ

الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ :

وَإِنِّي لَأَخْلُو مَنْذُ فَقَدْتُكَ دَائِبًا فَأَنْقَشُ تَمَنَّا لَوْ جَهَكَ فِي التُّرْبِ
فَأَسْقِيهِ مِنْ دَمْعِي وَأَبْكِي تَضْرَعًا إِلَيْهِ كَمَا يَبْكِي الْعَبِيدُ إِلَى الرَّبِّ

وكتبت ابنة الرُّصَافِيَةِ ، وَكَانَتْ تَتَعَشَّقُ ابْنَ الرَّشِيدِ ، عَلَى كَرَزْنَاهَا :

قَالُوا : عَلَيْكَ سَبِيلُ الصَّبْرِ ، قُلْتُ لَهُمْ : هَيْهَاتَ أَيْنَ سَبِيلُ الصَّبْرِ قَدْ ضَاقَا؟
مَا يَرِجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ حِينَ يُبْصِرُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ الطَّرْفُ مُشْتَاقًا

قال الفضل بن الربيع : قال أبي : رأيت على عصابة دبسيه جارِيَةَ

أبي حرب :

مَحَاسِنُ وَجْهِكَ تَمْحُو الذُّنُوبَا وَتَعْمَلُ فِي الْقَلْبِ شَيْئًا عَجِيبَا
فَمِنْ نَمِّ تَهْجُرُنِي ظَالِمًا تَجَنَّى وَتَحْضِي عَلَيَّ الذُّنُوبَا

وكتبت شمسة الطنبورية على عصابتها ، وكانت تغني الرشد :
لَا لِصَبْرٍ هَجَرْتُمْ عَلِيمَ اللَّهِ وَلَكِنْ لِشِدَّةِ الْإِشْتِيَاقِ
رُبَّ سِرٍّ شَارَكَتُ فِيهِ ضَمِيرِي وَطَوَاهُ اللِّسَانُ عِنْدَ التَّلَاقِ
وكان على قلنسوة شمائل جارية الماهانية :

لَيْلِي بِوَجْهِكَ مُشْرِقٌ وَظِلَامُهُ فِي اللَّيْلِ سَارِي
فَالنَّاسُ فِي سَدْفِ الظَّلَا مٍ وَنَحْنُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ (١)

وكان على كرز زُنْ مُشْتَاقٍ ، جارية اسحاق بن علي الهاشمي ، مكتوبا بالذهب سطران :

إِن كَانَ قَلْبِي يَهْوِي وَصَلَ غَيْرِكُمْ إِذَا فَعَاقَبَنِي الرَّحْمَنُ فِي بَصْرِي
أَوْ لَمْ يَكُنْ بِكُمْ مَا عِشْتُ ذَا كَلْفٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِي يَا سَيِّدِي خَدْرِي (٢)

وكان على عصابتها مكتوبا بالذهب :

مَا كُنْتُ إِلَّا حُلْمًا رَأَتْهُ عَيْنِي فِي الْوَسَنِ (٣)
يَا سَمِيحَ الْفِعْلِ وَيَا أَحْسَنَ مِنْ كُلِّ حَسَنٍ

٤٤ - باب ما وجه على الزنابير

والتكك والمناديل

قال علي بن الجهم : رأيت في منطقة واجد الكوفية زنارا (٤) منسوجا

مكتوب فيه :

لَسْتُ أُدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَدْرِي بِذَلِكَ مَنْ يَتَّقَلِي (٥)

(١) السدف : الظلمة . (٢) الحدر : تشنج يصيب العضو فلا يستطيع الحركة .

(٣) الوسن : النعاس . (٤) الزنار : ما يشد على الوسط . (٥) تقلى على فراشه : تمثل .

لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرغى النجوم كنت مخلصاً
ورأيت جارية في بيعة ماري مريم في دار الروميين بمدينة السلام، كأنها
فلقة قر خارجة من الهيكل ، في وسطها زنار عليه بيتان :
زُنَارُهَا فِي خَضْرَاهَا يَطْرَبُ وَيَرْيْحُهَا مِنْ طَيْبِهَا أَطِيبُ
وَوَجْهَهَا أَحْسَنُ مِنْ حَلِيْبِهَا وَلَوْنُهَا مِنْ لَوْنِهَا أَعْجَبُ
وقرأت في زنار وقيامة لبعض القصريّات :
أليس عجيباً أن بيتاً يضمّني وإياك لا تخلو ولا تتكلم
ورأيت جارية أبلية لبعض المخنثين ، وقد علقت طبلاً في عنقها بزّنار
عليه مكتوب :

أوتأ من بدني كله فتت مني مفصلاً مفصلاً

وعلى تكتها مكتوب :

غابوا فأضحى الجسم من بعدهم لا تبصر العين له فيا (١)
واخجلتكم منهم ومن قولهم : ما ضرك البعد لنا شيئاً
بأى وجهه أتلقاهم إذا رأوني بعدهم حياً
وكان على تكة هاتف جارية العاجي مكتوباً :

ولى عاذل قد شفّ قلبي بعذله وواش ببديل الحب يرمى مقاتلي
كفى حزناً ، والحمد لله ، أنني تقطع قلبي بين واش وعاذل
وكتبت خاضع المغنية على زنار كانت تشدّ به طرفها :

ما أتية المعشوق في نفسه وأبين الذلّ على العاشق

وأخبرني من قرأ على طرفي تكة لقينة :

ما أراني حلت التكة إلا لهنات
وإمّا خلى للتكة إنجأزُ العدات

وأخبرني آخر أنه قرأ على تكة لبعض المواجن :

إقطع التكة حتى تذهب التكة أصلاً
ثم قل للردف أهلاً بك ياردف وسهلاً

وكتبت سلم جارية لم إلى فتى كانت تحبه في منديل دبيق بالذهب :

هاً نذا يسقطني لليلي
لو يجد السلك على دقة
عن فرشي أنفاس عوادي
خلقاً لأضحى بعض حسادي

وكتبت إليه في منديل آخر :

لا تسألني كيف حالي بعد فرقتكم
تري بلي لم يدع مني سوى شبح
ها فانظري وأجلي طرف ممتحن
لو لم أقل ها نا للناس لم ابن

وقرأت على منديل لبعض الظرفاء ، وقد أدرج فيه كتابا :

وإني لتعشاني لذكراك فترة
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
كما انتفض العصفور بالله القطر
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وكتب آخر على منديل :

إن بعض العتاب يدعو إلى العتاب
وإذا ما القلوب لم تضمير الحب
ويؤدى به الحبيب الحبيباً
فلن يعطف العتاب القلوباً

وأخبرني من رأى على منديل ممسك لبعض الظراف :

أنا مبعوث إليكم أنس مولاتي لديك

صَنَعْتَنِي بِيَدَيْهَا فَامْسَحِي بِي شَفْتَيْكَ

وكتب آخر على منديل أهدها :

أنا منديلٌ مُحِبٌّ لم يزل
ثمَّ أهداني إلى محبوبتي

ناشفاً بي من دموعِ مُقْلَتَيْهِ
تمسحُ القهوةَ بي من شَفْتَيْهِ

وقرأت على منديل لبعض الظراف :

إن يكن حَبْلُكَ من حَبْلِي وَهِيَ

لم يذكر نَبِيكَ شَوْقٌ حَادِثٌ

وكتبت أسماء بنت غضيض، جارية خمدونة ابنة المهدي، على تدككتها

من الوجهين :

جلدٌ على أعظم دِقَاقِ

توقد أحشاؤه فيطفي

لولا تسليته بالتبكي

يارب عجل وفاة رُوحِي

مَسَكْنُ أنفاسِهِ التَّرَاقِي

حُرِقَتْهَا هَاطِلُ المَآقِي

إذا جنيناه بانحراق

قَبْلَ هُجُومِي عَلَى الفِرَاقِ

وكتبت على منديلها :

إِلَيْكَ أَشْكُو رَبِّ مَا حَلَّ بِي

صَدٌّ بِلَا جُرْمٍ، وَلَوْ قَالِي :

وكتب آخر على منديل أهدها :

أَيَا مَنْ لَا أُرَجِي مِنْهُ رِفْقًا

لقد أنفدت دمع العين حتى

وَلَا مِنْ رِقَّةٍ مَا عِشْتُ عِتْقًا

بَكَيْتُ دَمًا لِفَقْدِكَ لَيْسَ يَرَقَا

وكتبت عنان، جارية النطاف، على منديل وجهت به إلى أبي نواس، وكانت تحبه :

أما يُحْسِنُ مَنْ أَحْسَنَ أَنْ يَغْضَبَ أَنْ يَرْضَى
أما يَرْضَى بِأَنْ صِرَتْ عَلَى الْأَرْضِ لَهُ أَرْضًا

٤٥ - باب ما وجر على السور والو-ائر

والبسطة والمرافق والمقاعد

قال علي بن الجهم: قرأتُ على ستر لبعض أمهات ولد المأمون:

هَجَرْتَنِي كَيْ أَجَارِيكُمْ بِفِعْلِكُمْ لَا تَهْجُرْنِي فَإِنِّي لَا أَجَارِيكَ
قَلْبِي مُحِبٌّ لَكُمْ رَاضٍ بِفِعْلِكُمْ اسْتَرْزَقَ اللَّهُ قَلْبًا لَا يُجَانِيكَ
أَصْبَحْتُ عَبْدًا لِأَذْنَى أَهْلِ دَارِكُمْ وَكُنْتُ فِيهَا مَضَى مَوْلَى مَوَالِيكَ
وكتب بعض ولد المتوكل على ستره:

يَا أَيُّهَا اللَّائِمِيُّ فِيهَا لِأَصْرٍ فِيهَا أَكْثَرَتْ لَوْ كَانَ يُغْنِي عَنْكَ إِسْتِمَارُ
إِرْجِعْ فَلَسْتَ مُطَاعًا إِنْ وَشَيْتَ بِهَا لَا الْقَلْبُ سَالٍ وَلَا فِي حُبِّهَا عَارُ
وكتب موسى الهادي بن المهدي على ستره:

يَا أَيُّهَا الزَّاعِمُ الَّذِي زَعَمَا أَنْ الْهُوَى لَيْسَ يُورِثُ السَّقَمَا
لَوْ أَنَّ مَا بِي بِكَ الْغَدَاةَ لَمَا لُمْتُ مُحِبًّا إِذَا شَكَأَ الْمَا
وكتب بعض الظرفاء على مخدّة له:

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ مِمَّنْ شَفَّهَ السَّقَمُ وَهَدَّهُ قَلَقُ الْأَحْزَانِ وَالْأَلَمِ
جُدْ بِالْوِصَالِ لِمَنْ أَمْسَيْتَ تَمَلِكُهُ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ

أخبرني من قرأ على مخدّة لبعض الظرفاء:

لَمْ أَذُقْ يَا سُورَ قَلْبِي لِلْكَرَى مُذْ غَبِتَ طَعْمَا
تَرَكَ الدَّمْعُ عَلَى خَدِّ يَ لَمَّا فَاضَ رَسْمَا

وقرأت على وسادة لبعض الكتاب :

تَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لِيَتَنِي تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدِي
فَكَانَتْ لِرُوحِي لَذَّةُ الْحَبِّ وَحَدَهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مَحِبٌّ وَلَا بَعْدِي

وأخبر بعض الكتاب أنه قرأ على بساط لبعض أهل الهوى :

أَحْسَنُ مِنْ قَهْوَةٍ وَعُودٍ تَوْرِيدُ خَدَيْكَ يَا وَحِيدُ
نَأَيْتَ عَنِّي فَنَذَابَ جِسْمِي وَهَدَّنِي الشَّقُوقُ وَالصُّدُودُ
وَطَالَ سُقْمِي لِبُعْدِ حُبِّي وَمَلَّنِي الْأَهْلُ وَالْبَعِيدُ

وكتب بعض الظرفاء على مصلاه :

وَقَفَّ الْهُوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيسَ لِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
أَجْدُ الْمَالِمَةِ فِي هَوَاكَ لِذِيذَةٍ حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْلَمَنِي اللَّوْمُ
وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهْنَتْ نَفْسِي عَامِدًا مَا مَنْ يَهْوُنُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أُكْرِمُ
أَشْبَهْتَ أَعْدَائِي فَصِرْتَ أَحِبَّهُمْ إِذْ صَارَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ

وكتب سعيد بن قيس على مصلاه :

سَأْمَنَعُ عَيْنِي أَنْ تَلْمَذَّ بِنَظْرَةٍ وَأَشْغَلِيهَا بِالدَّمْعِ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ
وَأَشْكُرُ قَلْبِي فِيكَ حُسْنَ بِلَائِهِ أَلَيْسَ بِهِ أَلْفَاكٌ عِنْدَ التَّنْذِيرِ

وكتب بعضهم على بساط :

كُتِمْتُ حُبَّهُمْ صَوْنًا وَتَكْرِمَةً فَمَا دَرَى غَيْرُ إِضْمَارِي بِهِ وَهُمْ
قَوْمٌ بَدَلْتُ لَهُمْ صَفْوَةَ الْوَدَادِ فَمَا جَازَ وَاعْلِيهِ وَلَا كَافُوا وَلَا رَحُوا
هُمْ عَلَّمُونِي الْبِكَالَ لَا ذُقْتُ قَدَّمَهُمْ بِالْيَتِيمِ عَلَّمُونِي كَيْفَ ابْتَسَمِ

٤٦ - باب ما روي على المناسخ والحجول^(١)

والأسرة والكلل^(٢)

قرأت على كلة معصرة^(٣) لبعض الكتاب بالذهب :

مِنْ قِصْرِ اللَّيْلِ إِذَا زُرْتَنِي أَبْكِي وَتَبْكِينَ مِنَ الطُّولِ
عَدُوُّ عَيْنَيْكَ وَشَانِهِمَا أَصْبَحَ مَشْغُولًا بِمَشْغُولِ
وَأَخْبَرَنِي بَعْضَ الظَّرْفَاءِ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى مَنْصَةِ بَعْضِ الْجَنَانِ :

تقول، وقد جرذتها من ثيابها: أَلَسْتُ تَخَافُ الْيَوْمَ أَهْلَكَ أَوْ أَهْلِي؟

فقلت: كِلَانَا خَائِفٌ بِكَانِهِ، فإل هو إلا قتلك اليوم أوقتلي!

وقرأت على كلة حرير اسمانجوني بالذهب :

سَهْرَتْ وَعَانَقَتْهَا لَيْلَةٌ عَلَى مِثْلِهَا يَحْسُدُ الْحَاسِدُ.

كَأَنَّا جَمِيعًا وَثُوبُ الدُّجَا عَلَيْنَا لِمَبْصِرِنَا وَاحِدٍ.

وقرأت على كلة لبعض الظرفاء :

فَبِتْنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسُودِ وَبَيْنَنَا حَدِيثٌ كَرِيحِ الْمِسْكِ شَيْبَ بِهِ الْخَيْرُ

حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ يُوحَى بِبَعْضِهِ لِأَصْبَحَ حَيًّا بَعْدَ مَا ضَمَّهُ الْقَبْرُ

وقرأت على وجه أريكة لبعض الهاشميين :

جَعَلَتْ مَحَلَّةَ الْبُلُوعِ فُؤَادِي وَسَلَطَتْ الشَّهَادَةَ عَلَى رُقَادِي

دَعَيْتَنِي لِأَبُوحِ بِكَلِّ وَجَدِي أَلَيْسَ النَّارُ مِنْ طَرَفِي زِنَادِي

وَبِتُّ خَلِيَّةً وَسَلَبْتُ نَوْمِي أَمَا اسْتَحْيَا رُقَادُكَ مِنْ سَهَادِي

(١) المناسخ : جمع المنصة : الكرسي ترفع عليها العروس في جلائها ، أو الثياب المرفعة والفرش الموطأة . الحجول : جمع الحجلة : الستر يضرب للعروس .

(٢) الكلل : جمع الكلة : الستر الرقيق ، غشاء رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض ، ويعرف بالناموسية .

(٣) عصفر الثوب : صبغه بالعصفر ، وهو صبغ أصفر اللون .

وكتب بعض الظرفاء على حِجْلَةٍ له معصفرة بالذهب :

دعيني أمت والشَّمْلُ لم يَتَشَعَّبِ ولا تَبْعُدِي أفديكِ بِالْأَمِّ وَالْأَبِ
سقى الله ليلاً ضَمْنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ وأدنى فؤاداً من فؤادِ مُعَذِّبِ
فبتنا جميعاً لو تُرَاقِ زُجَاجَةٌ من الرَّاحِ فيما بيننا لم تُشْرَبِ

وأخبرني بعض الكتّاب أنه قرأ على حِجْلَةٍ مكتوباً :

نَشَرْتُ عَلَى غَدَائِرًا من شَعْرِهَا حَذَرَ الْفُضِيحَةِ وَالْعَدُوِّ الْمُؤَبِقِ^(١)
فكَانَهُ وَكَانَنِي وَكَانَهَا صُبْحَانَ بَاتَا تَحْتَ لَيْلِ مُطْبِقِ
ودخلتُ على بعض الكتّاب في يوم شديد الحرِّ ، وهو على دكان ساج

مكتوب في وجهه باللازورد :

حَرْ حُبٌّ وَحَرْ هَجْرٌ وَحَرْ أَي شَيْءٍ يَكُونُ مِنْ ذَا أَمْرٍ

وعلى الجانب الآخر :

ثَلَاثَةٌ أَحْبَابٌ فَبُ عَاقِلَةٌ وَحُبٌّ تَمَلَّاقٌ وَحُبٌّ هُوَ الْقَتْلُ^(٢)

وأخبرني بعض من قرأ حول سرير لبعض الظرفاء :

ومجدولة أَمَّا مَجَالٌ وَشَاحِهَا فَغُضْنُ وَأَمَّا رَدْفُهَا فَكَثِيبُ
لَهَا الْقَمَرُ السَّارِي شَقِيقٌ وَإِنَّهَا تَطَّلَعُ أَحْيَانًا لَهُ فَيَغِيبُ
أقول لها ، واللَّيْلُ مُرْخٍ سُدُوْهَا عَلَيْنَا: بِكَ الْعَيْشُ الْخَسِيسُ يَطِيبُ
فقلت : نَعَمْ، إن لم يكن لك غَيْرُنَا يَبْغِدَادَ مِنْ أَهْلِ الْقُصُورِ حَبِيبُ

وكتب بعض الظرفاء على سرير له آبنوس بعاج :

إِنَّ طَيْفَ الْخِيَالِ أَرَّقَ عَيْنِي مَا لِعَيْنِي وَمَا لَطِيفِ الْخِيَالِ

(١) الغدائر : جمع الغديرة ، الذؤابة ، الضفيرة . المؤبق : المهلك .

(٢) التلاق : التودد والتدلل والابداء باللسان من الاكرام والود ما ليس في القلب .

جَمَعَ اللهُ بَيْنَ كُلِّ مُحِبٍّ قَدْ جَفَّاهُ الْحَيْبُ بَعْدَ الْوِصَالِ
وَكُتِبَ عَلَيَّ مِنْصَتَهُ بِالذَّهَبِ :

يَنَامُ الْمُسْعِدُونَ وَمَنْ يَلُومُ وَتُوقِظُنِي وَتُوقِظُهَا الْهَمُومُ
صَحِيحٌ بِالنَّهَارِ لِمَنْ يَرَانِي وَلَيْلِي لَا أَنَامُ وَلَا أُنِيمُ

٤٧ - باب ما يكتب على المماس والابواب

ووجوه المستنظرات وصدور القباب

قال علي بن الجهم : رأيت في صدر قبة مكتوبا بألوان فصوص منضدة^(١) :

لَا تُطْمِعِ النَّفْسَ فِي السُّلُوبِ إِذَا أَحْبَبْتَ حَتَّى تُذَيِّبَهَا كَمَدًا
مَنْ لَمْ يَذُقْ لَوْعَةَ الصُّدُودِ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى الذُّلِّ وَالشَّقَا أَبَدًا^(٢)
فَذَلِكَ مُسْتَطَرَفُ الْفَوَادِ يَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ أَحْبَابَهُ جَدَدًا

وأخبرني أبو جعفر القارئ قال : أخبرني بعض شيوخنا أنه قرأ في

صدر مجلس لأمير المؤمنين المأمون :

حِيلَ مَنْ هَوَيْتَ وَدَعَّ مَقَالَةَ حَاسِدٍ لَيْسَ الْحَسُودُ عَلَى الْهَوَى بِمُسَاعِدٍ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا أُزْرُ الْهَوَى مَتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبَسَاعِدٍ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى أَهْلَ الْهَوَى هَلْ تَسْتَطِيعُ صِلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدٍ

وقرأت على وجه مستنظر لبعض الكتاب :

هَبَّتْ شِمَالٌ قَلَمْتُ مِنْ بَلَدٍ أَنْتَ بِهِ طَابَ ذَلِكَ الْبَلَدُ
وَقَبَلَ الرِّيحَ مِنْ صَبَابَتِهِ هَلْ قَبَلَ الرِّيحَ قَبْلَهُ أَحَدُ

(١) منضدة : ضم بعضها الى بعض (٢) اللوعة: حرقة الحزن والهوى والوجد .

وأخبرني أحمد بن الحسين بن المنجم المقرئ أنه قرأ على مستنظر
لبعض الكتاب :

لى إلى الريح حاجة لو قَضَتْهَا كنت للريح ما حَيْتُ غلاماً
حَجَبُوهَا عن الرِّيحِ لِأَنِّي قُلْتُ يَا رِيحُ بَلِّغِيهَا السَّلَامَا
لورضوا بالحِجَابِ هانَ وَلَكِنْ مَنَعُوهَا يَوْمَ الرِّيحِ السَّكَّامَا
أخبرني عبد الحميد المَلَطِي أنه قرأ على باب مجلس بملطية :

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ العَيْشِ فِي دَعَةٍ نَزُوعَ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ (١)
تَلَقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ
وفي صدر المجلس أيضا مكتوب :

إذا كنتَ في أرضٍ غريباً فَرَجَّهْهَا ولا تَكْتَرِثْ فِيهَا نَزُوعًا إِلَى الوَطَنِ
فَمَا هِيَ إِلَّا بَلَدَةٌ مِثْلُ بَلَدَةٍ وخَيْرُهُمَا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الزَّمَنِ
وقرأت على باب دار خَدَشَا في الجصِّ بعود :

هَلَّا رَحِمْتُمْ مَوْقِفِي بِفِينَاكُمْ متعرِّضًا لنسِيمِكُمْ أَتَشَقُّ
مِثْلِدَا أَبِكِي لِمَا قَدْ حَلَّ بِي مِثْلَ الغَرِيقِ بِمَا يَرَى يَتَعَلَّقُ (٢)

وأخبرني صديق لي أنه قرأ على باب دار بالحجاز :

يا دارُ إِنَّ غَزَالَ فَيْكَ عَذَّبَنِي لِهِنَّ دَرَكٍ مَا تَحْوِينِ يَا دَارُ
الدارُ تَمَلِكُنِي وَيُحِي وَصَاحِبُهَا قَلْبِي مَلِيكَانِ رَبُّ الدَّارِ وَالِدَّارُ
يا دارُ لولا غَزَالُ فَيْكَ تَعَلَّقَنِي مَا كَانَ لِي فَيْكَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

(١) خفض العيش : سهل وكان هنيئًا. الدعة : الراحة وخفض العيش. نزوع إلى أهله : اشتاق

(٢) التلدد : التحير، التلفت يمينا وشمالا .

وأخبرني من قرأ على باب دار باصطخر منقوشاً بحجر :
أرى الدار من بعد الحبيب ولا أرى حبيبي مع الباقيين في عرصة الدار^(١)
فيا عجباً إذ فارق الجار جاره أليس شديداً فرقة الجار للجار

٤٨ - باب مما وجد للمعظرفات والظراف

مكتوباً على النعال والخفاف

قال الماوردي: كتبت جارية للمارقي على نعلها بالذهب :
لم ألقَ ذا شجنٍ ينوحُ بحبه إلا حسبتك ذلك المحبوباً
حذراً عليك وإني بك واثقٌ أن لا ينال سواي منك نصيباً
وكان على نعل جارية سعيد الفارسي :

لا تأنفن من الخضو ع لمن تحب وداره
إخضع له فلطالما ملكت حل إزاره

وكتبت ملك جارية ابن عاصم على خف لها رهاوي بذهب .
وإني لإشفاقٍ عليك وصبوتي إليك كأنني في المنام أراكا
تحدثنى نفسي إذا غبت ساعة بأن لقاء الموت دون لقاء
وكتبت مقيم المغنية على نعلها :

أقسمت مقلته لا تدشني عن فؤادي أو ترأه قطعاً
فلقد برت فهل من مطمع أن ترى ما قطعت مجتمعا ؟

وأهدى سعيد بن حميد نعلا إلى صديق له وكتب عليها :

نعل بعثت بها لتلبسها قدم بها تسعي إلى المجد
لو كان يصلح أن أشركها خدي جعلت شراكها خدي^(٢)

(١) العرصة : ساحة الدار . (٢) شرك النعل : جعل لها شراكا، والشراك : سير النعل .

وكتبت جارية علي بن عيسى بن يزيد داد، كاتب اسحاق بن ابراهيم، على خفيها:

تَوَلَّمَهُ الْأَحْظَاظُ لَمَّا بَدَا مَحْتَجِبًا عَنِ لِحْظَاتِ الْعِبَادِ
مَنْزِلُهُ نَاوٍ وَلَكِنَّهُ يَسْكُنُ مِنِّي فِي سَوَادِ الْفُؤَادِ

وأهدى بعض الكتاب نعلًا وكتب على شراكها:

لِي فُؤَادٌ شَفَّهَ الْحُزْنَ وَأَضْنَاهُ الصُّدُودُ

وَهَوَايَ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ يَنْمِي وَيَزِيدُ

وكتب بعض الظرفاء على خف له محالسي بالذهب:

لَوْلَا شِقَاوَةٌ جَدِّي مَا عَرَفْتِكُمْ إِنْ الشَّقِيَّ الَّذِي يَشْقِي بَيْنَ عَرَفَا^(١)

طَافَ الْهَوَى بِبِعْبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَفَا

وأخبرني من رأى نعلًا من فضة أهديت لبعض الظرفاء عليها مكتوب:

بِأَبِي أَنْتَ سَيِّدِي وَمَنَايَ جَعَلَ اللَّهُ وَالِدِي فِدَاكَ

لَكَ خَدِّي مِنَ الثَّرَى لَكَ نَعْلًا قَدْ لِنَعْلٍ مِنْ فُؤَادِي شِرَاكَ^(٢)

وقرأت على نعل سندي مدهون:

جَعَلْتُ خَدِّي لَهُ أَرْضًا فَقُلْتُ: طَأْ مِنْ فَوْقَهَا وَأَرْضِي

فَقَالَ: لَا، قُلْتُ: بَلِي سَيِّدِي صَبْرًا عَلَى الْحَبِّ وَإِنْ رَضَا^(٣)

٤٩ - باب ما يكتب بالخناء في الوطأة والرساح^(٤)

وعلى الأقدام والراح^(٥)

كتبت ذويت جارية حمدونة على وطأتها اليمنى:

إِغْلِبِي يَا أَحَبُّ مِنِّي إِلَيَّا أَنْ شَوْقِي إِلَيْكَ يَقْضِي عَلَيَّا

(١) الجذ: الحظ. (٢) قد الشئ: قطعه طولًا. (٣) مض: ألم أو أوجع. (٤) الوطأة:

موضع القدم. الوشاح: شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها

وكشحيها.

(٥) الراحة: باطن اليد.

وعلى اليسرى :

إِنْ قَضَى اللهُ لِي رَجُوعًا إِلَيْكُمْ لَمْ أُعِدِّ لِلْفِرَاقِ مَا دَمْتُ حَيًّا
وَكُتِبَتْ لِبَنِي جَارِيَةِ عَبَّاسِ النَّدِيمِ عَلَى رَاحَتِهَا بُسْكٌ^(١) وَعَنْبَرٌ فِي الْيَمَنِ =
قَالُوا : تَمَنَّ وَقُلْ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : يَا لَيْتَهَا حَطَّى مِنَ الدُّنْيَا

وعلى اليسرى :

لَا أَبْتَغِي سُقْمِيَا السَّحَابِ لَهَا فِي عِبْرَتِي خَلْفٌ مِنَ السُّقْمِيَا^(٢)
وَكُتِبَتْ جَارِيَةِ السَّعْدِيَّةِ عَلَى رَاحَتِهَا الْيَمَنِ بِالْحِنَاءِ :

رَفَعَتْ لِلوَدَاعِ كَفًّا خَضِيبًا فَتَقَبَّلْتُهَا بِدَمْعٍ خَضِيْبٍ
وعلى اليسرى :

وَأَشَارَتْ إِلَى غَمَزَا بِحَقِّ نَعْتِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ فِي الْقُلُوبِ
وَكُتِبَتْ جَارِيَةِ ابْنِ السَّاحِرِ عَلَى وَطْأَتِهَا الْيَمَنِ :

وَمَا أَنَا عَنْ قَلْبِي بَرَّاضٍ لِأَنَّهُ أَشَاطَ دَمِي مِمَّا أَتَى مُتَطَوِّعًا^(٣)
وعلى اليسرى :

تَمَنَّى رِجَالٌ مَا أَحْبَبُوا وَإِنَّمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَشْكُو إِلَيْهَا وَتَسْمَعَا
قال الماوردي : رأيت علي راحة قائد ، جارية لبعض جواري المأمون ،
اليمنى بالحناء :

فَدَيْتُكَ قَدْ جُبِلْتُ عَلَى هَوَاكَ فَقَلْبِي مَا يَنْبَازِعُنِي سِوَاكَ^(٤)
وعلى اليسرى :

أَحْبَبْتُكَ لَا يَبْعَضُنِي بَلْ بِكَلِّي وَإِنْ لَمْ يَبْقَ حُبُّكَ مِنْ جَرَاكَ

(١) السك : ضرب من الطيب (٢) الخلف : البدل والعوض (٣) أشاطه : أحرقه
(٤) جبل : خلق وفطر

وقرأت في كفيَّ جاريةً بالنقش :

إذا قيل: ما تشكو؟ أشار إلى الحشا
فأول ما تشكو وآخره الهجر
فيا ليت قلبي صار صخرًا كقلبه

ولم يبلِّه الشوق المبرح والفكر^(١)

وأخبرني من رأى جارية لبعض آل ظاهر قد كتبت في وشاحها وقدميها:

عزموا المقامة أم تراهم أزمعوا
يا طول وجدى إنهم لم يربعوا^(٢)

ومراةٍ للبين تحسب أننا
شمس على غصن يغيب ويطلع^(٣)

كتبت إلى على شقائق خدها
سطرًا من العبرات: ماذا تصنع؟

فأجبتُها بلسانِ صدقٍ ناطقٍ:
ما في الحياة من التفرق مَطْمَعُ

وكتبت الماهانية على كفِّ جاريتهَا شَمَارِيخَ بالحناء:

أبي الحبُّ إلا أن أكون معذبًا
ونيرانه في الصدر إلا تلهبًا

فواكيدًا حتى متى أنا واقفٌ
ببابِ الهوى ألقى الهوانَ وأنصبًا

٥٠ - باب ما كتبت على الجبين والخد

ويطرف^(٤) به ذوو الصباية والوجد

قرأت على جبين جارية لثخاس بالغالية^(٥) وقد أخرجها للعرض :

وشادن أحسن خلق الله
في كفه سيف رسول الله^(٦)

قد كتب الحسنُ على وجهها
سطرين بالعنبر باسم الله

على يدي رضوان منسوجةٍ
صنعة حُسنٍ في طراز الله

(١) المبرح: المتعب، المتوهج (٢) ربيع بالمكان: أقام. (٣) المراة: من خامرها الخوف. البين: الفرقة (٤) أطرفه بكذا: أتخفه به. (٥) الغالية: أخلط من الطيب (٦) الشادن: ولد الطيب، والمزاد: جارية ترعرت.

أنا غريقٌ في بحار الهوى شِبْهَ قَتِيلٍ في سبيلِ الله
وأخبرني من رأى على جبينِ جاريةٍ نخاسٍ مكتوباً في سطرين :
إِذَا حُجِبَتْ لَمْ يَكْفِكَ الْبَدْرُ فَقَدَهَا وَتَكْفِيكَ فَقَدَ الْبَدْرُ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ
وَحَسْبُكَ مِنْ خَمْرٍ تَفَوْتُكَ رِيقَهَا وَوَاللَّهِ مَا مِنْ رِيقِهَا حَسْبُكَ الْخَمْرُ
وقال علي بن الجهم : رأيت على خدِّ جاريةٍ لفاطمة بنت محمد بن عمران
الكاتب مكتوباً بالمسك :

رَضِيْتُ عَلَى رَغْمِي بِحُبِّكَ فَاعْدِلِي وَلَا تُسْرِفِي إِذْ صَارَ فِي يَدِكَ الْحُكْمُ
مَتَى يَظْفَرُ الْمَظْلُومُ مِنْكَ بِحَقِّهِ إِذَا كُنْتَ قَاضِيَهُ وَأَنْتِ لَهُ خَصْمُ
قال المازني : كان علي جبين جارية شريط مكتوب بالغالية :

صَرَمْتَنِي ثُمَّ لَا كَلِمَتَنِي أَبَدًا إِنْ كُنْتَ خَنْتُكَ فِي حَالٍ مِنَ الْحَالِ (١)
وَلَا هَمَمْتُ وَلَا نَفْسِي تَحَدَّثُنِي قَلْبِي بِذَاكَ وَلَا يَجْرِي عَلَى بَالٍ
وقال الجاحظ : كتبت مؤلف جارية الصخرى علي جبينها :

وَمَحْسُودَةٌ بِالْحَسَنِ كَالْبَدْرِ وَجْهَهَا وَالْحَاطِظُ عَيْنَيْهَا تَجُورُ وَتَظْلِمُ
مَلَكَتْ عَلَيْهَا طَاعَةَ الشُّوقِ وَالْهَوَى وَعَلَّمَتْهَا مَا لَمْ تَكُنْ مِنْهُ تَعْلَمُ

قال : وقرأت علي جبين قينة بالعسكر مكتوباً بالغالية وعنبر :

يَا قَرِيراً لَاحَ فِي الظَّلَامِ عَلَيْكَ مِنْ مُقَلَّتِي السَّلَامُ

وكتبت ظلوم علي جبينها بالمسك :

الْعَيْنُ تَفْقَدُ مَنْ تَهْوَى وَتُبْصِرُهُ وَنَاطِرُ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنَ النَّظَرِ

وظلوم هذه كان يُحِبُّهَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ ، وفيها يقول :

إِنَّ بِالكَرَّخِ مَنْزِلًا لِعَزَالِ بَيْنِ قَصْرِ الْأَمِيرِ وَالْخَيْرَانِ
وَالهُوَى قَائِدِي إِلَيْهِ وَشَوْقِي لَيْسَ بِالشَّوْقِ وَالهُوَى لِي يَدَانِ
لَسْتُ أَنْسَاكَ يَا ظَلُومٌ وَعَهْدِ السَّلْهِ حَتَّى أُلْفَ فِي أَكْفَانِي
فَمَنْسِقِي بِي فَأَنْتِ أَعْرَفُ مِنِّي بِحِفَاظِي فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٥١ - باب ما يطلع به النفاخ والانهرج والمسنويات

ويُعدّل به تنضيد الورد والياسمين والخيريّات

أخبرني بعض شيوخنا من الكتّاب بالعسكر قال : قرأتُ على طَبَقَيْنِ
أهدأهُمَا بعضُ الفُرسِ إلى بعضِ الكتّابِ ، قد نُضِدُ بأنواعِ من السوسنِ
وَالْيَاسْمِينِ وَالشَّقَائِقِ وَالرِيَّاحِينَ ، على أَحَدِهِمَا مَكْتُوبٌ :

شَادِنُ رَاحٍ نَحْوَسَرْحَةِ مَاءٍ مُسْرِعًا وَجَنَّتَاهُ كَالْتَفَاحِ
وَرَدَّ الْمَاءَ ثُمَّ رَاحَ وَقَدْ أَضَدَّرَهُ الْمَاءُ فِي غِلَالَةِ رَاحٍ

وعلى الآخر :

رَقٌ حَتَّى حَسِبْتُهُ وَرَقَ الْوَرْدِ دِنْدِيًّا يَزِفُ بَيْنَ الرِّيَّاضِ
وَرَدَّ الْمَاءَ ثُمَّ رَاحَ وَقَدْ أَلْبَسَهُ الْمَاءُ خُمْرَةً فِي بِيَّاضِ

قال : ورأيتُ بين يدي بعضِ الكتّابِ طَبَقَ وَرْدٍ أَحْمَرٍ مَكْتُوبِ

فيه بالأبيض :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ يُعْجِبُهُ زَهْرُ الرِّيِّعِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
بَدَأَ فَأَبْدَتْ لَنَا الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا وَرَاحَتِ الرِّيحِ فِي أَثْوَابِهَا الْجُدْدِ

وأخبرني من رأى طبق ريحان مكتوب في دَوْرِهِ بِياسمين ونِسْرين: (١)

فأَريحُ رِيحانَ بِمسكِ وَعنبرٍ بِنَدِّ وكافورٍ بَدُهْنَةِ بَانَ (٢)

بِأَطْيَبَ رِيًّا من حَبِيبي لَوْ أَنَّنِي وجدتُ حَبِيبي خَالِيًّا بِمَكَانٍ (٣)

وقرأت في تفلج أترجة أهديت لبعض الظرفاء :

هِيَ فِي العَالَمِ كَالشَّمْسِ أَضَاءَتْ فِي البِلَادِ

وَهِيَ فِي كَلِّ كَمَالٍ قَد عَلَتْ فَوْقَ العِبَادِ

رأخبرني من قرأ في تفلج تفاحة :

أَنَا إِلَى العَاشِقِ مَنْسُوبَةٌ أُهْدَى لِلمُحِبِّوبِ وَالمُحِبُّوبَةُ

وَعلى تَفَاحَةٍ أُخْرَى مَفْلَجةٌ :

خَطَّتْ يَمِينِي فَوْقَ تَفَاحَةٍ : أَقْلَقَنِي هَجْرُكَ يَا قَاتِلِي

وحضرت هدية لبعض متظرفات القيان إلى بعض ظرفاء الكتاب، وفيها

تفاحة ، في تفلجها مكتوب :

لَيْسَ تَفَاحَةٌ بِأَطْيَبَ طَيْبًا مِنْ حَبِيبٍ مُعَانِقِ الحَبِيبِ

وَأترجةٌ فِي تَفْلِجِهَا مَكْتُوبٌ :

أُهْدَى هِلَالٌ لِكُلِّ يَوْمٍ إِذَا بَدَأَ الثَّغْرَ بِالبَتْسَامِ

وطبق خيريات (٤) مكتوب في تعديله :

يَا طَيْبَ رَائِحَةٍ فَاحَتِ لِبُسْتَانٍ مِنْ بَيْنِ وَرْدٍ وَنِسْرِينَ وَرِيحَانِ

وِياسمينٍ ذِكِّي زَادَنِي طَرْبًا حَتَّى تَكشِفَ عَنِّي كُلَّ أَحْزَانِ

(١) النسرين : ورد أبيض عطري الرائحة .

(٢) الند : عود يتبخر به . الدهنة : اليسير من الدهن . (٣) الريا : الريح الطيب

(٤) الخيرات : جمع الخيري ، المنشور الأصفر ، وهونبات ذو زهر زكي الرائحة

٥٢ - باب ما يكتب على القناني والكؤان

والاقراع والورطال والجمامات^(١)

قرأتُ على كأس لبعض الظرفاء :

إذا فكرتُ خاطبني مِثَالُ وإن أغفيتُ نِبْهِي خِيَالُ
ولى حالٌ إذا ما الكأس طَابَتْ لِشَارِبِهَا وَلِلنَّدْمَانِ حَالُ^(٢)

وقرأتُ على كأس لبعض الكتاب :

إشْرَبْ على ذِكْرِهِمْ إذ حِيلَ دُونَهُمْ عَيْنَاكَ مِنْهُمْ على بَالٍ إذا شَرِبُوا
تَدْعُو المُنَى قُرْبَهُمْ والِدَّارُ نازِحَةٌ حَتَّى يُنَاجِيَهُمْ قَلْبٌ وما قُرِبُوا
وعلى كأس :

إذا لم يَمْزُجِ النَّدْمَانُ كَأْسِي جعلتُ مِزَاجَهَا ماءَ الجُفُونِ
وإن سَحِكُوا بِكَيْتٍ، وإن تَغَنَّوْا أَجَبْتُهُمْ بِاللَّوَانِ الحَنِينِ
وكتب عبيد الماजन على كأسه :

إشْرَبْ هنيئًا لا تَخَفْ طَائِفًا قَدْ آمَنَ الطَّوَافُ أَهْلَ الطَّرَبِ^(٣)

وكتب بعض الكتاب على قدح له :

وما لبسَ العُشَّاقُ ثوبًا من الهوى ولا أخلِقُوا إلا بَقِيَّةَ ما أُبْنِي^(٤)
ولا شَرِبُوا كَأْسًا من الحُبِّ حُلُوةً ولا مَرَّةً إلا وشَرِبَهُمْ فَضْلِي^(٥)

(١) الجمامات : جمع الجمام : الكؤاس

(٢) الندمان : المنادم على الشرب ، والزفيق والصاحب .

(٣) الطائف : العسس . الطواف : كثير الطواف .

(٤) أخلق الشيء : صيره بالياء

(٥) الفضل : البقية

وبعثت نَشوان الكُرّاعة إلى علي بن عيسى بن عبد الله الهاشمي برطل

عليه مِكتوب :

يا باعِثَ السُّكْرِ من طَرَفٍ يُقَلِّبُهُ هَاروتُ ، لا تُسَقِّني خَمْرًا بِكَأْسَيْنِ
ويا مُحَرِّكَ عَيْنَيْهِ لِيُقْتَلَنِي إني أَخافُ عَلَيْكَ العَيْنَ من عَيْنِي

وأخبرني من قرأ على قَيْنَةٍ (١) بين يدي أبو دُلْفِ العِجَلِيِّ :

وقَهْوَةٍ كَوَكَبِها بِزَهْرٍ يَفُوحُ مِنْها المِسْكُ والعَنْبَرُ (٢)
يُسَقِّيكِها من كَفِّهِ أَخوَرُ كأنَّها من خَدِّهِ تُعْضَرُ

وكتب آخر على طاس :

لا تَحْسِبِي أنَّ طوْلَ الدَّهْرِ غَيَّرَنِي بَلْ زَادَنِي كَلْفًا يا أَمْلَحَ النَّاسِ
لَمْ يَجْرِ ذِكْرُكَ في لَهْوٍ ولا طَرَبٍ إلا مزجت بدمعي عنده كأسِي
كَمْ عاذِلٍ قد لَحَانِي فيكَ قلت له : شَلَّتْ يَمِينُكَ هل بِالْحَبِّ منْ باسٍ (٣)

وأخبرني يحيى بن محمد المسلمي أنه قرأ على كأس لقينة :

إشْرَبِ الكَأْسَ على صَرَفِ الزَّمَنِ قَلَمًا دَامَ سرورُهُ أو حَزَنُ
إِنَّمَا كان لِمِثْلِي سَكَنٌ من جَمِيعِ الخَلْقِ طَرًّا فَطَعَنَ (٤)

وقرأت على قدح :

إشْرَبْ وَسَقِّ حَبِيبَكَ الرَّاحَا وَبُخْ مِنْ الوَجْدِ بالذِي باحَا

(١) القينة : إناء من زجاج يجعل فيه الشراب .

(٢) القهوة : الخمر .

(٣) لحاه : شتمه وسبه وعابه . شلت يده : يلبست .

(٤) طرًّا : جميعا . ظعن : سار ورحل .

وعلى آخر :

إشرب وسق الحبيب يا ساقى وسقنى فضل كأسه الباقى
وسقنى فضل ما تخلف فى الكأس بعمدٍ بغير إشفاقٍ

وعلى آخر :

فديت من لم يزل على طربٍ يُديرُ بينى وبينه الكاسا
التمنى خده وقال ألا دونك ما قد منعه الناسا

وكتبت بنت المهدي^(١) على قدح بالذهب :

إشرب على وجه الغزا ل الأغد الحسِن الدلال
إشرب عليه وقل له : يا غلُّ الباب الرجال

وكتب بعض الظرفاء على قنينة :

فقلت لها ، وقد أبديت سُكرى : الأردى فواد المسْتَهام
فقال : من؟ فقلت : أنا. فقالت : متى أقيت نفسك فى الزحام

وقرأت على قنينة مدهونة مكتوب عليها بالذهب :

أحسن من موقِفِ على طللٍ كأس عَقارِ تجرى على نَميلٍ^(٢)
يُديرُها أهيفٌ به حورٌ معتدلُ الخلقِ راجح الكفَلِ^(٣)
إذا تمشى بها مصفقة رأيت فيها تلهب الشعلِ

(١) عليّة بنت المهدي

(٢) الطلل : الشاخص من الآثار . العقار : الخمر

(٣) الأهيف : ضامر البطن رقيق الخصر . الكفل : العجز أو الردف

وعلى جام :

إشربْ هَنِئِنَّا فِي أُمَّمِ النَّعِيمِ طَابَ لَكَ الْعَيْشُ بِطَيْبِ النَّدِيمِ

وعلى آخر :

وَكُوُوسٍ كَأَنَّهَا نَجُومٌ طَالَعَاتُ بُرُوجِهَا أَيْدِينَا
طَالَعَاتٍ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

٥٣ - باب ما يكتب على أواني الفضة والذهب

ومرهوره الصيني المذهب

قال العباس بن الفضل بن الربيع : حدثني أبي قال : رأيت على صينية

بين يدي المأمون مكتوباً فيها :

لَا شَيْءَ أَمْلَحُ مِنْ أَيَّامِ مَجْلِسِنَا إِذْ نَجْعَلُ الرُّسُلَ فِيمَا بَيْنَنَا الْخَدَقَا
وَإِذْ جَوَانِحُنَا تُبْدِي سَرَائِرَنَا وَشَكَلْنَا فِي الْهَوَى تَلْقَاهُ مَتَّفِقَا
لَيْتَ الْوَشَاةَ بِنَا وَالْعَاشِقِينَ لَنَا فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا تَوَا كَلِّهِمْ غَرَقَا
أَوْلَيْتَ مَنْ ذَمَّنَا أَوْعَابَ مَجْلِسِنَا شُبَّتْ عَلَيْهِ ضِرَامُ النَّارِ فَاحْتَرَقَا

وأخبرني بعض الكتّاب أنه قرأ على صينية ، بين يدي الحسن بن وهب ،

مفصلة^(١) بالفصوص بألوان شتى :

مَنْ كَانَ لَا يَزِيحُنِي عَاشِقَا أَحْضَرْتَهُ أَوْضَحَ بَرُّهَانَ
إِنِّي عَلَى رِطْلَيْنِ أُسْقَاهُمَا أَرْوِحُ فِي أَثْوَابِ سَكْرَانَ
وَكَنتَ لَا أَسْكُرُ مِنْ تِسْعَةٍ يَتَّبِعُهَا رِطْلٌ وَرِطْلَانِ

(١) فصل العقد : جعل بين كل خرزتين خرزة أو جوهرة مخالفة لهما

فصار لي من غمرات الهوى والسُّكْرِ سُكْرَانِ عَجِيْبَانِ

والشعر للحسن بن وهب

وكتب بعض الظرفاء على صينية له صيني :

حُثَّ النَّدَامَى بِعَاجِلِ النَّخْبِ وَحُثَّ كَأْسَ النَّدْمَانِ يَا بَابِي (١)
إِنْ لَمْ تُدْرِهَا وَالْكَأْسُ مُتْرَعَةٌ حَتَّى تُمِيتَ الهمومَ لَمْ تَطِبْ

وكتب آخر على صينية له :

قَدْ قَلْتُ لَمَّا صَبَا بِي اللَّعِبُ وَبَاكَرَتْنِي الشَّمُولُ وَالطَّرِبُ

وكتب آخر على قضيب مدهون :

أَصْبَحْتُ يُشْبِهُنِي الْقَضِيبُ وَأَنْتَ يُشْبِهُكَ الْقَضِيبُ
غُضُنَانٌ إِلَّا أَنْ ذَا بِإِلِّ وَذَا غُضُنٌ رَطِيبُ

وقرأت في مذبة (٢) لبعض الكتاب :

تَعَلَّمْتُ أَنْوَاعَ الرِّضَى خَوْفَ سَخَطِهِ وَعَلَّمَهُ حَبِيٌّ لَهُ كَيْفَ يَغْضَبُ
وَلَى أَلْفِ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ وَلَكِنْ بِلَا قَلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

وعلى آخر :

دَلَّ الْبِكَاءُ عَلَى عَيْنِي فَأَرْقَهَا ظَنِّي يُطِيلُ الْبِكَاءَ مِنْ ظِلِّهِ فَرَقَا (٣)
لَوْ مَسَّ غُضُنًا مِنَ الْأَغْصَانِ مَنْجَرِدًا لِأَخْضَرَ فِي كَفِّهِ وَأَسْتَشَعَرَ الْوَرَقَا

وأخبرني أبو جعفر القاري ، قال : أخبرني من قرأ على مروحة

ببيتين للقطامي :

(١) الندامى : جمع الندمان . النخب : الشربة من الخمر وغيرها يشربها الرجل لصحة

حبيه أو عشيره (٢) المذبة : ما يدفع به كالمروحة (٣) الفرق : الفزع

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربمآفات بعض القوم أمرهم مع التأني وكان الحزم لو عجلوا
قال : فحضرني بيتان ، فكتبت على الجانب الآخر :

لا ذا ولا ذاك في الإفراط أحمدُهُ وأحمدُ الأمرِ ما في الفعل يعتدل
إفراطُ ذا في التأني فوتُ حاجته وليس يعدمُ عمرًا دونها العجل
وقرأت على مروحة لبعض الظرفاء :

مُحْتَمِلٌ حَسْبِكَ لِي سَاعَةٌ ذَاكَ إِذَا أَجْهَدَكَ الْحَرُّ
غيرك مني طالبٌ مثل ما تطلبه يا أيها الحرُّ
وكتب بعض الأدباء على مروحة :

إِنَّ رُوحَ الْحَيَاةِ فِي حَرَكَاتِ الْمَرَاوِحِ
كَمْ بَنَاتٍ لَطِيفَةٍ مِنْ ظُبَايَهِ سَوَانِحِ^(١)
حَرَكَتِهَا فَانْفَسْتُ عَنْ خُدُودِ رَوَاشِحِ

وقرأت على قوس جُلاهق مكتوباً بالذهب :

بينما الطيرُ في الهوى يتكفني إذ سَقِينَاهُ جُرْعَةَ الْمَوْتِ صِرْفًا
ونزَعْنَا مِنَ الْقَرِينِ قَرِينًا وجعلنا هناك بالالفِ إلفًا
وكتبتُ على قوسٍ أهديتها بعض إخواني :

لَمَّا رَأَيْتُ الطَّيْرَ عَالِي الْمُرْتَقَى هَيَّأْتُ قَوْسًا يَأْهَاهَا وَبُنْدُقًا^(٢)
ثُمَّ غَدَوْنَا إِذْ غَدَوْنَا حَلَقًا فَلَمْ يَحْمِ حَتَّى هَوَى مُمَزَّقًا

(١) السوانح : جمع السانح : الذي يأتي من جهة اليمين

(٢) البندق : كل ما يرمى به

٥٤ - باب ما يكتب على العبران والضارب والسرنايات

والطبول والمعازف والدفوف والنايات

كتبت قصعة المغنية على عودها :

ما طافَ حبٌّ لِإنسانٍ يَلدُّ به حتى يكون به في الناس مُشْتَهراً
فاخْلَعُ عِذارَكَ فيما تَسْتَلِدُ به واجسُرْ فَإِنَّ أخاللَ اللذاتِ من جَسَرِها
وكتب بخارق على عوده :

كَم لَيْلَةٍ نادَمني ذِكرُهُ يُسْعِدُني المثلثُ والزيرُ^(١)
حتى إذا الليلُ جَلَا نَفْسَهُ على الدجى إبتَسَمَ النورُ
أصبحتُ مُستورا الجيرانه والوصلُ بالهجران مستور

وكتب بعض المغنين على عوده :

سَقَوْنِي وقالوا : لا تَعْنُ ، ولو سَقَوَا جِبَالَ حُنَيْنٍ ما سَقَوْتِي لَغْنَتِي
تَجَنَّتْ على الخوَدُ ذنباً عَلَتَهُ فيما وِيأتِي منها ومِمَّا تَجَنَّتْ

وأهدى بعض الكتاب إلى قينة ، كان يهواها ، عوداً وكتب عليه :

من ذا يبلِغُ نَحْلَةً عن عِبْدِها أَنِّي إِلَيْكَ وإن بَعُدتِ قَرِيبُ
تَسْتَنطِقِينَ بِحُسْنِ صَوْتِكَ أَعْجَمًا يدعو بِذاك صَوَابَهُ فيجِيبُ
فالعودُ يَشْهَدُ والغناءُ بِأنَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ في الأناامِ مُصِيبُ

وقال علي بن الجهم : قرأت على مضراب لقينة :

أَجِيبُكَ حَبِّاً لستُ أُبْلِغُ وصفه

ولا عُسْرَ ما أَصْبَحْتُ أُضْمِرُ في صَدْرِي^(٢)

(١) المثلث : ثالث أوتار العود . والزير : أحد أوتاره ، أى أرفعها صوتاً ، وهو

رابع الأوتار (٢) العسر : الشدة والضيق

وأَكْتَمُ مَا أَلْقَاهُ مِنْكَ تَشْجَعًا
لَعَلَّ إِلَهَ الْخَلْقِ يُدْنِيكَ مِنْ نَحْرِي

وعلى مضراب آخر :

يَا ذَا الَّذِي أَنْكَرَنِي طَرْفُهُ
مَا مَسَّنِي ضَرْبُهُ وَلَكِنِّي

وعلى آخر :

نَضُو هُمُومٍ بُكَاءٍ وَحُقَّ لَهُ
وَطَالَ لَيْلُ الْهَوَى عَلَيْهِ وَمَا
وَكْتَبْتُ كَرَّاعَةً عَلَى طَبْلِهَا :

يَا نَفْسًا لَيْسَ يَنْقُضِي أَمَدَهُ
وَيَا مَحِبًّا جَفَاهُ سَيِّدَهُ

وكتبت أخرى على ناي :

فَكَيْفَ صَبْرِي وَبئْسَ الصَّبْرُ لِي فَرِحُ
وَالطَّرْفُ يُعَشِّقُ مَنْ فِي طَرْفِهِ غُنْجٌ ^{مردا}

وقرأت على معزفة :

إِنْ كُنْتَ تَهْوَى وَتَسْتَطِيلُ
أَعْرَضْتَ عَنِّي وَخُنْتَ عَهْدِي
كَيْفَ احْتِيَالِي وَلَيْسَ يَأْتِي

وعلى آخر :

أَلَدُ عِنْدِي مِنَ الشَّرَابِ
وَلَمْ خَدِّ كُلُّونِ خَمْرٍ
تَقْبِيلُ أَنْيَابِكِ الْعَذَابِ
قَدْ شَفَّهَ كَثْرَةُ الْعِتَابِ

وقرأت على دفّ:

يا بدعاً في بدعٍ جارتُ علي من ملكت^(١)
أرئى لصبّ نفسه ممّا به قد تلفت

وعلى آخر:

ماسرّني أنّ لسانى ولا وأنّ لى ملك بنى هاشم
أنّ فؤادى منك يوماً خلا يُجيبى إلى أوّلاً أوّلاً

وقرأت على طنبور:

يا أوّل الحسن يا من لا نظير له هلت سحائب عيني نعمة الزير
وأى مزنّة غرب لا تسحّ دماً من عاشقٍ عند نغمات الطنابير^(٢)

وعلى طنبور آخر:

بكيت من طرب عند السماع كما يبكى أخو قصص من حسن تذكير
وصاحب العشق يبكى عند شجوته إذا تجاوب صوت أئمّ والزير^(٣)

٥٥ - باب ما يكتب على الأقدام

من مستظرف الكلام

كتب بعض الكتاب على قلم أهدها:

إني لأعجب إذ يزهُو به قلم أن لا يلين فيبدي حوله ورقا

(١) البدع: جمع البدعة: ما أحدث على غير مثال سابق

(٢) المزنّة: المطرّة. الغرب: عرق في العين تجرى منه الدمع

(٣) أئمّ: أغلظ أوتار العود، وأغلظ أصواته

يَا لَيْتِي قَلَمٌ فِي بَطْنِ رَاحَتِهِ
أَلْتَدُّ بَاطِنَ كَفِّهِ إِذَا مَشَقًّا^(١)
وعلى آخر:

إِذَا دَخَلَ الدِّيَّوَانَ أَشْرَقَ نُورُهُ
وَلَمْ يَكْ لِلشَّمْسِ المُضِيئَةِ نُورٌ
فِيَا لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ فِي بَطْنِ كَفِّهِ
لَهُ قَلَمًا إِنْ المَحِبُّ شَكُورٌ

وكتب عمر بن ابراهيم البصرى على قلم أهداه لبعض غلمان ديوان الخراج:

يَا قَرَّ الدِّيَّوَانَ يَا
مَلْبَسَ قَلْبِي سَقَمًا
كَأَنَّمَا فِي كَبِدِي
أَنْتِ تَخُطُّ القَلَمَا
يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مَعَا
جِيدًا وَعَيْنًا وَفَمَا^(٢)

وأخبرني من قرأ على قلم لبعض الكتاب بالديوان:

إِذَا دَخَلَ الدِّيَّوَانَ حَارَتْ عِيُونُنَا
فَيَمْشُقُ وَالتَّشْوِيرُ فِي حَرَكَاتِهِ
وَقَرَأْتُ عَلَى قَلَمٍ:
وَقَلْنَا كَمَا قَالَتْ صَحَابَاتُ يَوْسُفَ
فَيُورِثُنَا مِنْ ذَلِكَ مَا لَيْسَ يُوصَفُ

إِذَا دَخَلَ الدِّيَّوَانَ حَارَتْ عِيُونُنَا
فِيَا نِعْمَتًا إِنْ لَمْ تَصِبْكَ عِيُونُهُمْ
وَعَلَى آخِرٍ:
وَكَادَتْ قُلُوبُ النَّاظِرِينَ تَطِيرُ
لَكَ اللهُ مِنْ تِلْكَ العِيُونِ مُجِيرُ

أَفْدَى البَنَانَ وَأَفْدَى الخَطَّ مِنْ عِلْمٍ
كَأَنَّمَا قَابِلَ القُرطَاسِ إِذْ مَشَقَّتْ^(٣)
وَقَدْ تَطَرَّفَ بِالجِنَاءِ وَالعَنَمِ^(٣)
فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْلَامٍ عَلَى قَلَمٍ

(١) مشق في الكتابة : مدحروفا

(٢) الجيد : العنق

(٣) العنم : شجر له ثمرة حمراء ، يشبه بها البنان المخضوب

٥٦ - باب ما يكتب على الدراهم والدرنانير

التي ضربت للملوك في المقاصير

قال علي بن الجهم: قرأت على دينار في خلافة المتوكل من ضرب الدار:
وَأَصْفَرَ صَاغَتْهُ الْمُلُوكُ تَطْرَبَا بِأَسْمَائِهَا فِيهِ الْمُرُوءَةُ وَالْفَخْرُ
بِاسْمِ أَمِينِ اللَّهِ زِينَتٌ سَطُورُهُ كَمَا زَيْنَ بِالتَّفْصِيلِ فِي نَظْمِهِ الدُّرُّ
هُوَ الْمَلِكُ الْمَأْمُونُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِهِمْ إِنْ أَعْبَ الْقَطْرُ يُسْتَنْزَلُ الْقَطْرُ
لَهُ غُرَّةٌ فَيَنْانِيهِ جَعْفَرِيَّةٌ بِهَا تَضْحَكُ الشَّمْسُ الْمَضِيئَةُ وَالبَدْرُ

قال: ورأيت على دينار من ضرب المتوكل أيضا مكتوبا عليه:
وَأَصْفَرَ مَنْ ضَرَبَ دَارَ الْمُلُوكِ يَلُوحُ عَلَى وَجْهِهِ جَعْفَرُ
وَقَرَأْتُ عَلَى دَرْهَمٍ مِنْ ضَرَبِ الْمُنْتَصِرِ:

دَرْهَمٌ أَيْضٌ مُلِيحٌ الْمَعَانِي بِسَطُورٍ مَبِينَاتٍ حِسَانِ
صَاغَهُ الصَّائِغُ الْمَنْمُقُ بِالْحُسْنِ نِيْلِيهِدِي صَيِّحَةَ الْمِهْرَجَانِ
فِيهِ إِسْمُ الْإِمَامِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ وَوَقَّاهُ نَائِبَاتِ الزَّمَانِ
وَقَرَأْتُ عَلَى دَرْهَمٍ:

أَخِي دَرْهَمِي مَادَامَ، وَالنَّاسُ إِخْوَانِي فَانْغَابَ عَنِّي غَابَ كُلُّ صَدِيقٍ
هَذِهِ جَمَلَةٌ تَمَّا بَلَّغْنَا فِيهَا كِفَايَةَ مَنْ اِكْتَفَى، وَبَيَانَ مَنْ تَبَيَّنَ وَاقْتَفَى،
وَمَا اسْتَوْعَبْنَا كُلَّ مَا انْتَهَى إِلَيْنَا، وَلَوْ قَصَدْنَا إِلَى تَكْثِيرِ مَا اسْتَصْعَبَ عَلَيْنَا،
وَإِنَّمَا قَصَدْنَا التَّخْفِيفَ، لَا التَّأْلِيفَ، وَالِاِقْتِصَارَ، وَالِاخْتِصَارَ، وَلَيْسَ كُلُّ
مَا سَمِعْنَاهُ ذَكَرْنَاهُ، وَلَا كُلُّ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ سَمِعْنَاهُ، وَقَدْ أَدِينَا بِبَعْضِ مَا بَلَّغْنَا،

ووصفنا بعض ما استحسننا ، وخططنا جدا بهزل ، واعوجاجا بقصد ، وجعلنا
كل ذلك في نظام ، وإلى الله نرغب في السلامة والسلام .

والحمد لله بجميل التسديد ، وهو المتفضل بالاعانة والتوفيق ، وإياه

نستعين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كمل الكتاب وتم بقوة الله ومنه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله

على خيرته من خلقه محمد وآله ، وحسبي الله وعليه أتوكل .

فهرس الأعلام

— ١ —

أبو الأحوص ٣٠، ٢٦
 الأحوص بن محمد الأنصارى ٦٠، ٦١،
 ٦٨، ٧٠، ٩٤، ١٣٩، ١٩٥
 الأخطل ٨، ١٣١
 ابن أذينة ٦٩
 أردشير بن بابك ٥
 أزهر السمان ١٢
 اسحاق بن ابراهيم الموصلى ٨٢، ٢٢١،
 ٢٣٧
 اسحاق الراقى ٨٣
 اسحاق بن على الهاشمى ٢٢٦
 اسحاق بن المنذر ١٩٣
 اسحاق بن يحيى (والد مؤلف هذا
 الكتاب) ٢٥، ١٨٤
 أسعد بن عمرو ٦٨
 أسماء ٦٨
 أسماء بن خارجة الفزارى ١٤٩
 أسماء بنت غضيض ٢٢٩
 اسماعيل ٢٢٤
 اسماعيل بن محمد بن راشد بن سعيد ١٩٤
 أبو الأسود الدؤلى ٢٣
 الأصمعى ٣، ٥، ١٣، ١٩، ٥٢، ٥٧،
 ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٨، ١٠٦، ١١١، ١٣٠،
 ابن الأعرابى ١٢، ٥٢
 الأعشى ٧٦
 الأعمور الشنى ٨
 أكرم ابن صيفى ٩، ٢٦، ٣٢، ٤٥
 أمامة ٦٩

أبو أمية جد النبي صلى الله عليه وسلم ١٧
 ابراهيم ١٩٤
 ابراهيم الأزدي ٩١
 ابراهيم بن حسن ١٠٥
 ابراهيم بن العباس ١٤٥
 ابراهيم بن محمد النحوى الواسطى
 (أبو عبد الله) ٤٣، ٥٣، ٥٤، ٨٦،
 ٨٨، ٩٤، ١٤٩، ٢٠٥، ٢٠٨
 ابراهيم بن المهدي ٨، ٣٤، ٦٣
 الأحذب ٢٢١
 أحمد بن الحسين بن المنجم المقرئ ٢٢٥
 أحمد بن عبد الله ٥٠
 أحمد بن عبد الله بن هشيم ١٩٣
 أحمد بن عبيد بن ناصح ٣، ٤، ٩،
 ١١، ١٢، ١٣، ١٦، ٥٢، ٨٩، ١٣٨
 أحمد بن غزال ١٢٢، ١٢٣
 أحمد بن أبى فتن ٩٧
 أحمد بن محمد بن غالب ١٩٣، ١٩٤
 أحمد بن الهتيم المعدل ١٩٣
 أحمد بن يحيى «ثعلب» ٨، ٩، ١١،
 ٢٢، ٢٧، ٣٣، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٠، ٥٥،
 ٦٩، ٨٦، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥، ١٣٦،
 ١٣٩، ١٤٨
 أحمد بن يحيى بن الخطيم ٥٠
 ابن أحرز ١٢٥
 الأحنفت بن قيس ٢٤، ٣٩

الثريا ٦٨

تقيف ٣٨

- ج -

الجاحظ (عمرو بن بحر)

ابن جرmoz ١٠٤

جرير بن الخطمي ٧٠، ٧٨، ٩٥، ١٠٠،

١٠١، ١٢١، ١٢٩، ١٤٠، ١٨٧، ١٨٨،

١٨٩

جرير بن عبد الله البجلي ٢٦، ٦٤

جعفر ٣٧، ٦٤

أبو جعفر ٤، ٩٧

أبو جعفر القاري ٢٣٤، ٢٤٧، ٢٤٨،

الجماش ٩٢

جمال ٦٤، ٦٨

جميل بن عبد الله بن معمر العذري ٥٦،

٥٧، ٦٤، ٦٨، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٨١،

٨٣، ٩٦، ١٠١، ١٣٨، ١٣٩، ١٨٩،

جناح ٢٢٥

- ح -

حاتم طي ٥، ٦٨

الحافظ السيوطي ٢٥

الحباب ٢٢٢

حبيب بن أوس (أبو تمام) ٣٤، ١٠٠،

حبيشة ١٠٩، ١١٠، ١١١،

الحجاج بن يوسف ٤٧

أبو حدرود الأسلمي ١٠٩، ١١٠،

أبو حرب ٢٢١، ٢٢٥،

الحرقة بنت النعمان ١٩

حسان بن ثابت الأنصاري ١٣٤

الحسن البصري ٣٠

حسن بن الحسن بن علي ٢٨، ١٠٥،

أبو أمامة ٢٦

أمرؤ القيس بن حجر ١٠، ١٣٢،

الأميلس ١٩٠

ابن أمينة ٥٠

أنس بن مالك ٢٦، ١٩٦،

الأوزاعي ١٢

أوس بن حجر ٢٧

أيوب السجستاني ٢٩

- ب -

الباغندي ١٤

بثينة ٥٦، ٥٧، ٦٨، ٧٧،

البحترى (الوليد بن عبيد)

بدر ٦٨

البراء بن عازب ٢٥

بشار بن برد العقيلي ٢٢، ٥٠، ٩٦،

١٢٨، ١٨٦، ١٨٧،

بشامة بن عمرو المري ١١

بشر بن أبي خازم الأسدي ٦٨

بشر بن السري ٣١

بشر بن موسى الأسدي ٣

أبو بكر بن أبي الدنيا ٢٦

أبو بكر الصديق ٤١، ١٠٢، ١٨٤

بكر بن عبد الله المزني ٨

بنان ٢٢٠

بنان الشاعرة ٢٢٣

أم البنين ١٨

- ت -

تبارج الكوفية ٢٢٣

أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي)

توبة بن الحمير ٦٨

- ث -

ثابت البناني ٢٦

- د -

دبسية ٢٢٥
دعبل بن علي الخزاعي ٤٥، ١٣٣
دعد ٦٨
أبو دلف العجلي ٢٤٤
ابن الدمينة ٦٩
ابن أبي الدنيا ٨٧
أبو ذهب الجحى ٦٩

- ذ -

أبو ذؤيب الهذلي ٧١، ١٣٧، ١٤٥، ١٥٧
الذفاء ٦٨
ذويت ٢٣٧

- ر -

راهى ٢٢١
رؤبة بن العجاج ٣
ربيعة الرأي ٩
أبو ربيعة العامري الكوفي ١٠٤
أبو الرجال ١٩٦
الرشيد ٢٢٥، ٢٢٦
ابنة الرصافية ٢٢٥
ابن أبي الرعد ٨٧
رفاعة الفقعسى ١٣٨
رقية بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
ذو الرمة ٦٨، ١٨٨
ريسان العذرى ٦٩

- ز -

الزبير بن بكار ٦٣، ٩٤، ١٣٦، ١٤٨
٢٢٤، ١٨٩

أبو الحسن بن الرومى (علي بن العباس
ابن الرومى)

الحسن بن عليل (أبو علي العنزي)

الحسن بن علي ٢٨

الحسن بن قارن ٢٠١/٢٠

الحسن بن وهب ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢٥

٤٣٦، ٢٤٧

الحسين الخليع ١٤٦، ١٥٥

الحسين بن مطير ٥٥، ٦٩

حصن بن ضمضم ١٠٨

حصن بن محارب ١٥٩

الحكم بن معمر الحضري ١٥٩

الحكمي (أبو نواس)

حدونة بنت المهدي ٢٢٥، ٢٣٧

حمزة ٦٨

الحميدى ١٤

- خ -

خاضع ٢٢٧

خالد الأسدي ٣٨

خالد خيلوية ١٦٦

خالد بن صفوان ٢٤، ٣١، ٣٨

خالد بن الوليد ١١٠

الخطفي بن بدر ٩

خلف بن صفوان ١٤

خلوب ٣٦

الخليع (الحسين الخليع)

خليل بن حمد ٢، ١٢، ١٩٣

خنت ٢٢٣

ابن أبي خيشمة - ١٠٢، ١٣٩

الخيزران ٢٢٠

سكينة بنت الحسين ٦٢ ، ٧٧
سلامة القس ٥٤ ، ٦٨
سلم ٢٢٨
سلم بن قتيبة ٤٠
سلمة بن الفضل ١١٠
ابن السلي ٢٢٣
سليمان بن داود ١٣ ، ١٦ ، ١٩
سليمان بن عبد الملك ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢
سليمان بن عياش السعدي ١٣٦
سماك بن حرب ١٥٠
ابن سهل بن سعد (عباس بن سهل)
سهل بن سعيد الساعدي ٢٤
سهل بن نصر ١٩٣
سويد بن أبي كاهل ٦٥
ابن سيرين (محمد بن سيرين)

— ش —

شادن ٢٢٣
أبو الشبل ١٢٢
شليل ٦٨
شريط ٢٤٠
شريك بن عبد الله القاضي ٩١
الشعبي ٢ ، ٧ ، ١٠
شمائل ٢٢٦
شماريخ ٢٣٩
شمسة الطنبورية ٢٢٦
ابن أبي شيبة ١٨٤
أبو الشيص ٦٩ ، ١٣٠ و ١٧٥

— ص —

صالح بن حسان ١٠٥
أبو صخر الهذلي ٦٩
الصخرى ٢٤٠

الزبير بن العوام ١٠٤
زرزور ٢٢٢
زلزل ٢٢٣
زليخة ١٥٤
أبو زهرة ٣٩
الزهري ١٢
زهير بن أبي سلى ٢١ ، ١٤٤
ابن زياد (عميد الله بن زياد)
أبو زيد ٣٣
زير ١٠٥
زين ٢٢٤
زينب ٦٨

— س —

سائب خاثر ٩٢ ، ١٣٦
أبو السائب المخزومي ٨٩
ابن الساحر ٢٣٨
سحيم عبد بن الحساس ٢٣٨
سعاد ١١٢ ، ١٣٤
السعدية ٢٣٨
سعيد بن حميد ٢٠٠ ، ٢٢٦
سعيد بن العاص ١٥ ، ١٠٧
سعيد الفارسي ١٣٦
سعيد بن قيس ٢٣١
سعيد بن لقمان بن عبد الرحمن الأنصاري

١٩٣

سعيد المساحق ٢٣ ، ٣٣
سعيد بن المسيب ٩١
سعيد المقبري ١٩٢
سفيان ١٤
سفيان الثوري ٩٤
أبوسفيان ٩٤
ابن السكيت (يعقوب بن اسحاق)

أبو العباس بن الفضل الربيعي ٦٧
العباس بن الفضل بن الربيع ٢٤٦
أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد)
عباس النديم ٢٣٨
عبد الحميد الملقب ٩٧، ٢٣٥
عبد الله بن أبي بكر ١٠٢، ١٨٤
عبد القيس ٢٢، ٣٦
أبو عبد الله إبراهيم بن محمد النحوي
الواسطي (نفتويه)
عبد الله بن ادريس ١٨٤
عبد الله بن بكر السهمي ٤٠
عبد الله بن أبي بكر الصديق ١٨٤
عبد الله بن حسن بن الحسن ١٠٥
عبد الله بن الحسن بن علي ١٩
عبد الله بن سميط بن مجلان ٣٩
عبد الله بن شبيب ٩٠، ٩١
عبد الله بن صالح ٣١
عبد الله بن طاهر ١٧
عبد الله بن عباس ٢، ٤، ٩٣، ٩٦،
٩٨، ١٠٥، ١٩٤
عبد الله بن عبد الرحمن القس ٥٣
عبد بن عبد الله بن طاهر ٣٣، ١٧٩
عبد الله بن علقمة ١٠٩
عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
عبد الله بن المبارك ٣١
أبو عبد الله بن مسرف ١٥٠
عبد الله بن مسعود ٢٦، ٣٠
عبد الله بن مسلم بن جندب ٩٤
عبد الله الواسطي (أبو عبد الله إبراهيم
ابن محمد)
عبد المطلب ١١
عبد الملك بن مروان ٤٠، ٤٤، ٤٧،
٥٣، ٥٦، ٧٧، ٨٣

صعصعة بن صفوان ٩٣
الصمة بن عبد الله القشيري ٦٩

— ض —

ضب بن الفرافصة ١٠٧

— ط —

طاهر ٢٣٩

ابن الطيرية ٦٩

طرفة ٣٠

الطرماح ٢٢

أبو الطيب الوشاء ١، ٩، ٥٠، ٥٥،
٥٦، ٦٠، ١١٤، ١١٥، ١٤٧، ١٩١،
٢٤٨، ٢٥٥

— ظ —

ظلم ٢٤٠

— ع —

عائشة ١٨٤

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

١٠٣، ١٠٢

العاجي ٢٢٧

عارم ٢٢٥

ابن عاصم ٢٢٦

عامر بن صعصعة ١٢٣

ابن عباس (عبد الله بن عباس)

أبو العباس (أحمد بن يحيى ثعلب)

العباس بن الأحنف ٤٩، ٦٢، ٦٣،

٦٩، ١٧٨، ١٨٦، ٢٤٠

عباس بن سهل بن سعد الساعدي ٥٧

أبو العباس الشيباني ١٧

العلاء بن أسلم ٣
علل ٢٢٢ بن علي أديم ٦٨
علي بن ثابت الكاتب ٤٥
علي بن الجهم ٦٧ ، ١٢٦ ، ١٩١ ، ١٩٩
٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣
أبو علي الحسن بن عليل العنزي ٢٩ ،
١٨٩ ، ٩٤
علي بن أبي طالب ١٩ ، ٣٢ ، ٣٩ ،
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٨٤
علي بن العباس بن الرومي ٦٦ ، ٩٢ ،
١٣٤
علي بن عمرو الأنصاري ١٠٤
علي بن عيسى بن عبد الله الهاشمي ٢٤٤
علي بن عيسى بن يزداد ٧٧ ، ٢٣
علي بن هشام ٤٢ ، ٤٤
عليه بنت المهدي ١٣٧ ، ٢٤٥
عمارة بن عقيل ٤
ابن عمر ٣٨
عمر بن إبراهيم المصري ٢٥٢
عمر بن الخطاب ٤ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٤ ،
٣٢ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ١٠٣ ، ١٨٤
عمر بن أبي ربيعة ٣٤ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٧١ ،
١٤٥ ، ١٩٧ ، ٧٧
عمر بن شبة ١٣٠
عمر بن عبد العزيز ١٣ ، ١٤ ، ٢١
عمر بن لجأ ٩٥
عمر بن هبيرة ٣٩
عمرو ٦٨
عمرو بن بحر (الجاحظ) ٢٧ ، ٧٩ ،
٨٠ ، ٩٧ ، ٢٢٣ ، ٢٤٠
عمرو بن العاص ٢٠ ، ٤٠
عمرو بن عجلان ٦٨ ، ٦٩
أبو عمرو العوفي ٢٠

عبيد بن شريك ١٩٢
عبيد الله بن زياد ٤٠
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠ ، ٤٩ ،
١٤٥ ، ١٥٢
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن
مسعود ١٣٩
عبيد الله بن قيس الرقيات ٦٨ ، ١٣٦
عبيد الماجن ٢٤٣
أبو عبيدة ٣٢٠
العتابي ٣٦ ، ٤٠
أبو العتاهية ٦ ، ٧ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٤٢ ،
٦٩ ، ٨٧
عتبة ٦٩
عتبة بن هبيرة الأسدي ١٦
العتبي ٤ ، ٧٨
أبن أبي عتيق ٥٧ ، ٧٢ ، ٩٢ ، ١٣٦
عثمان بن عطاء بن مسلم ٣١
عثمان بن عفان ١٠٧ ، ١٠٨
ابن عجلان ١٩٢
عدى بن حاتم ٤٦
عدى بن زيد العبادي ١٦
العرجي ٦٥
عزوة بن أزينة الليثي ٦٢
عزوة بن حزام العذري ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
٧١ ، ٧٢ ، ١١١
عزوة بن الزبير ٩٦
عزوة بن الورد ١٤١
عزيب ٢١٩
عزة كثير ٦٨ ، ١٣٨
عطاء بن مسلم ٣١
العطوي ١٢٨ و ١٩٠
عفراء بنت عقال ٦٨ ، ٧٢ ، ١١١
عكرمة ١٩٤

قيسحة ٤٧ ، ٦٨ ، ٢٢١

قصعة ٢٤٩

القطامي ١٣١ ، ٧٦ ، ١٣٧ ، و ١٩٠ ، ٢٤٧

قيس بن الحدادية الخزاعي ٤٦

قيس بن ذريح ٦٨ ، ٨١

ابن قيس الرقيات ٩٢

قيس بن الملوح (مجنون بن عامر) ٦٠ ،

٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠

قيصر ١٠

- ك -

كثير عزة ٢٧ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ،

٧٧ ، ٩٢ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٧٥

أبو كثير الهذلي ٦٩

كثيرة ٦٨

كسرى ١٠

كعب الأحبار ٢٩

كعب بن زهير ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ،

ابن الكلبي ٥٠

الكهيت بن زيد ٨٦

- ل -

لاهي ٢٢٥

أبو لؤلؤة ١٠٣

لبنى ٦٨ ، ٢٣٨

لذة ٦٨

لقمان ٧

لمم ٢٢٨

ليلي الأخيلية ٦٨

ليلي بنت صيفي ٦٨

ليلي العامرية ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤

- م -

ماجن ٢١٩

عمرو بن قنان ٧١

عمرو بن مرة الجهني ٢٠

عميرة ٦٨

عنان ٢٢٩

عيسى بن جعفر بن المنصور ٢٢٥

عيسى بن مريم ٧

أبو العيناء ٢٧ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٧

ابن عيينة ٣١

- غ -

الغمر بن ضرار ٦٨

- ف -

فاطمة بنت حسن بن علي ١٠٥

فاطمة بنت محمد بن عمران ٢٤٠

فاطمة بنت المنذر ٦٨

فاون ٦٨

الفتح ٦٧

أبنة الفرافصة بن الأحوص السكلي

(نائلة)

الفرزق ٧٨ ، ٩٩ ، ١٣٣ ، ١٨٨

أبو الفضل الربيعي ١٠٤

الفضل بن الربيع ٢٢٥

فضل الشاعرة ٦٨ ، ١٢١

الفضل بن عياض ١٨

الفضل بن غسان البصري ٣١

الفقيمي ٤٥

فوز ٦٩

- ق -

قائد ٢٣٨

قابوس ٦٨

قاسم الزبيدي ٩٦

محمد بن عبد الله بن ظاهر ٥ ، ٣٥ ،
١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٩
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦ ،
٧ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ،
٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ،
٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٧٨ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ،
١٠٠ ، ١-٣ ، ١٢٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٨٤ ،
١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٥٤
محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
محمد بن عبد الله بن مسلم بن جندب ٩٤
محمد بن عبد الملك الزيات ٢٠١ ، ٢١٧ ،
محمد بن أبي العتاهية ٦
محمد بن علي بن الحسين ٣٩
محمد بن عمرو بن مسعدة ٢١٩
محمد بن الفرات ١٩٣
محمد بن المأمون ٢٢٢
محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ١١٠
محمد بن نصر الخارثي ٣١
محمد بن واسع ٣١
محمد بن يحيى ٩١
محمد بن يزيد (المبرد) ٣ ، ١٨ ، ٢٢ ،
٢٧ ، ١٣٨
أبو محمد الزبيدي ٩ ، ١٦
محمد بن يونس القيسي ١٩٦
محمود الوراق ١٤ ، ١٨ ، ٥٦ ، ٥٩ ،
١٣٧ .
بخارق ٦٦ ، ٢٤٩
ابن بخارق ٦٦
المخيل السعدي ٦٨ ، ١٣٠
المداثي ١١٠
المدة البكرية ١٠٤
ابن مرجانة ٩١
مرقش الأصغر ٦٨

المارقي ٢٢٢ ، ٢٣٦
ماری مریم ٢٢٧
المازني ٢٤٠
مالك بن أنس ٩١
مالك بن عمرو الغساني ١١٢
المهاانية ٢٢٦ ، ٢٣٩
مؤلف ٢٤٠
المؤمل بن أميل ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٢٨
المأمون ٤٤ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣
المماوردی ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨
ماوية ٦٨
المبرد (محمد بن يزيد)
المتوكل (الخليفة) ٦٧ ، ٧٩ ، ٢٣٠ ،
٢٥٣
المتوكل الكناني ٢١
المتلس ١٤٤
متميم ٣٣٦
المثنى بن خارجه ٤٣
مجاهد ٣٨
مجاهد ١٥ ، ٣٠
مجنون بن عامر (قيس بن الموح)
محمد بن ابراهيم القاري ٤
محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ٧٩ ،
٨٠ ، ٨٢
محمد بن ابراهيم الحمداني ٤٥ ، ١٩٩
محمد بن اسحاق ١١٠ ، ١٨٤
محمد بن جعفر بن الزبير ٨٥
محمد بن الجهم ٤٢
محمد بن حرب ٣٧
محمد بن حميد الخراساني ١١٠
محمد بن خلف ١٥٧
محمد بن سيرين (ابن سيرين) ٥٢

المهلب بن أبي صفرة ٤ ، ٤١ ، ٤٦ ،
المهلبى ١٨
موسى ١٥٣
موسى بن اسماعيل المنقرى ١٣٠
موسى الهادى ٢٣٠
ابن ميادة ٦٩
الميلاء ٦٨
مية ٦٨ ، ٨٤

ن

نائلة بنت الفرافصة ١٠٧ ، ١٠٨
النابعة الذبياني ٢٣
ناعم ٢١٦
نافع بن خليفة ١٤٤
نشوان ٢٢٣ ، ٢٤٤
نصيب ٦٨ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٧٦
النطاف ٢٢٩
نعم ٦٨
النعمان بن بشير الأنصارى ١١٢
النعمان بن المنذر ١٩
القر بن تولى ٦٨ ، ١٥٨
النهدى ٧٠ ، ٧١
أبو نواس (الحكيم) ٣٢ ، ٩٦ ،
١٢٣ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ٢٢٩

- ه -

هاتف ٢٢٧
أبو هريرة ٧ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ١٩٢ ،
١٩٣
الهز نادى ٦٠
هشام ٦٠
هشام بن حسان ٨٢
هشام بن عبد الملك ١٣٨

مرقش الأكبر ٦٨ ، ٧١
مروان بن أبي حفصة ٧٠ ، ١٩١
ابن أبي مريم ٩٢
مسعر بن كدام الهلالى ١٥
أبو مسلم الكلابى ١٨٩
مسلم بن الوليد ٩١
مسلمة بن عبد الملك ٣٩
مشتاق ٢٢٦
مطرف بن الشيخير ٣٣

المطيع بن إياس ١٨ ، ٢٤

معاذ ٣٠

معان ٢١٦

معاوية بن أبي سفيان ٢٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ،

٤٧ ، ١٠٩

معاوية بن قررة ٣٠

المعتصم ٦٧

سمر ١٠٥ ، ١٠٦

معزرة ١٩٤

المغيرة بن أبي ضمام البكرى ١٠٤

المغيرة بن أبي عقيل ١٠٤

المقعق الكندى ٣٣

مكاتم ٢١٩

ملك ٩٧ ، ٢٢٦

أبو المليح ١٨٤

ابن أبي مليكة ١٨٤

المنتصر ٢٥٣

المنصور ٢٩٠ ، ٤

ابن المنكدر ١٤

منهله ٦٨

منية ٦٨

ابنة المهدي (عليّة بنت المهدي)

مهدي بن الملوخ الكلابى ١٨٩

المهذب ٦٨

- ي -

- يحيى بن أكثم ١٦
يحيى بن أيوب ١٩٢
يحيى بن خالد البرمكي ٣٦
يحيى بن أبي كثير ١٢
يحيى بن ماسويه ٦٧
يحيى بن محمد المسلمي ٢٤٤
يزيد بن بيان ١٩٦
يزيد بن جبل ٤٤
يزيد بن عبد الملك ٥٤
يعقوب بن اسحاق (ابن السكيت) ٥١، ٢٧
أبو يعقوب الحريري ٤٥
يعقوب بن عقبة بن المغيرة الثقفي ١١٠
يعقوب بن يزيد التمار ٤٣
يعلى بن منبه ١٤
يوسف ١٥٤
يوسف الأعور ٢٧
يونس ١٢
يونس بن عبيد ١٨

الهلالي ٢٨

- هند ٦٨، ٦٩، ٧٠
هند ابنة الفرافصة ١٠٧
الهيثم بن أسعد النخعي ٩
الهيثم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
الهيثم بن عدى ٨٢، ١١٣، ١٥٣

- و -

- أبو وائل الأضاحي ٨٩
وائل بن الأسقع ١٤٨
واجد الكوفية ٢٢٦
واصل مولى بن عينة ٣١
أبو وجزة السعدي ٦٩
الوضاح بن ثابت الكاتب ١٩٩
وضاح اليمن ٦٨
الوليد ٣٠
الوليد بن عبيد البحرى ٦٨

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
١٢ - باب ما جاء في قبح خلف المواعيد	٤٣	نصدير :	١
١٣ - الحث على كتمان السر	٤٦	الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية	ب
١٤ - سنن الظرف	٥١		
١٥ - من مات من شدة الفقد	٨٢	على عهد المؤلف	ع
١٦ - من وصف الحب	٨٦	موضوعات الكتاب	ف
١٧ - ما في معرفة الهوى	٨٨	نسخ الكتاب	ق
١٨ - ما سئل عنه أهل الصدق	٨٩	آثارنا في الكتاب	
١٩ - ما جاء فيمن تعفف في محبته	٩٩	ما صار إليه الكتاب	
الجزء الثاني من كتاب الموشى	١١٥	رجاء	
مقدمة الجزء الثاني	١١٦	التعريف بالمؤلف :	ر
٢٠ - باب صفة ذم القيان	١١٦	نسبه	
٢١ - ما جاء في مصارمة ذوى الغدر	١٤٤	مولده	س
٢٢ - النهى عن الهوى	١٥١	عصره	
٢٣ - ذكر زى الظرفاء في اللباس	١٦٠	علمه	ش
٢٤ - زى الظراف في التكك	١٦١	شعره	
والنعال والخفاف		مصنفاته	ت
٢٥ - زيهم المخصوص في الخواتيم	١٦٢	وفاته	ث
والفصوص		خطبة الكتاب	١
٢٦ - زيهم في التعطر والطيب	١٦٢	مطلب في الحسد	٢
٢٧ - في متظرفات النساء	١٦٣	١ - باب البيان عن حدود الأدب	٦
٢٨ - زيهن المخالف لزي الرجال	١٦٤	٢ - النهى عن عمازحة الأخلاء	١٣
٢٩ - ذكر زى الظرفاء في الطعام	١٦٧	٣ - الأمر باختيار الأخوان	١٥
٣٠ - ذكر زيهم في الشراب	١٧١	٤ - الحث على صحبة الأخوان	٢٠
٣١ - ذكر الاشياء التي يتظير الظرفاء	١٧٢	٥ - صفة المتحايين في الله عز وجل	٢٥
من اهدائها		٦ - البشاشة بالأخوان	٢٨
٣٢ - ما قيل في صفة الورد	١٧٨	٧ - اتفاق القلوب	٣٠
٣٣ - ذكر التفاح	١٨١	٨ - النهى عن استعمال الإفراط	٢٢
٣٤ - ما جاء في السواك	١٨٤	في حب الصديق	
٣٥ - صفة ذوى التظرف	١٩٢	٩ - الامر باغباب زيارة الاحباب	٢٤
		١٠ - شرائع المروة وصفتها	٢٧
		١١ - ما جاء من فضل الصدق	٤١

الصفحة	الموضوع	الرقم	الموضوع
١٩٩	٣٦- باب ما اختير من الفاظ الادباء	٢٣٠	٤٥- باب ما وجد على الستور والوسائد
	في المكاتبات	٢٣٢	٤٦- د ما وجد على المناص والحجل
٢٠٣	٣٧- د ما ضمنوه كتبهم من الاشعار	٢٢٤	٤٧- د ما يكتب على المجاس
٢١٠	٣٨- وما ضمنوه كتبهم من السلام		والابواب
٢١١	٣٩- باب ما كتبوه على العنوانات	٢٣٦	٤٨- د ما وجد للمتطرفات والظراف
٢١٣	٤٠- د ما يكتب على الفصوص	٢٣٧	٤٩- د ما يكتب بالحناء في الوطأة
٢١٤	وما ينقشه أهل الخزم على خواتيمهم		والوشاح
٢١٤	وفي ضرب آخر	٢٣٩	٥٠- د ما يكتب على الجبين والخذ
٢١٥	وما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم	٢٤١	٥١- د ما يفلج به التفاح
٢١٦	وفي ضرب آخر	٢٤٣	٥٢- د ما يكتب على القناني والكاسات
٢١٦	وفي ضرب منه آخر	٢٤٦	٥٣- د ما يكتب على أواني الفضة
٢١٧	٤١- باب ما وجد على التفاح		والذهب
٢١٩	٤٢- د ما وجد على ذيول الاقصة	٢٤٩	٥٤- د ما يكتب على العيذان
	والاعلام		والمضارب
٢٢٢	٤٣- د ما وجد على الكرازن	٢٥١	٥٥- د ما يكتب على الأقلام
	والعصائب	٢٥٣	٥٦- د ما يكتب على الدراهم والدنانير
٢٢٦	٤٤- د ما وجد على الزنانير	٢٥٥	فهرس الأعلام

تصويب ما في الكتاب من أخطاء

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة	الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
السرّ	السرّ	٨	٤٨	عما	عن ما	١٦	١
شجاعته	شجاعة	٢٠	٤٨	الحق	الح	٢١	١
الرّميت	لرّميت	٤	٤٩	وقلما	وقل ما	٢	٢
صادفته	صادفته	١٦	٥٦	لانمرضن	لانمرضن	٦	٢
بيننا انا	بيننا	٢١	٦٢	تقطبة	تقطبة	١٣	٣
وكفأ	وكفأ	١	٧٢	منطوى	منطوى	٢١	٤
شهدتني	ش رتني	٧	٧٥	الذائلة	الفائة	٢١	٥
التطوع	التطاع	١٠	٧٥	وليس	وليس	١٢	٦
بضم الدال	بضم النون	٢١	٧٥	أنصت	نصت	٩	٨
تقطف	تقطف	٦	٧٨	أو نقصه	ونقصه	١٤	٨
على	عل	٤	٧٩	شذاته	شذاته	٢٠	٨
ذا الخلق	ذالخلق	١٩	٧٩	تعدّ	تعدّ	٢	٩
غطة	غطة	١٤	٨١	لحميه	لحميه	١٣	٩
من	من	١	٨٧	تبيّننا	تبيّننا	٤	١١
رأيت	رأيت	١٣	٨٧	عمرو	عمروا	١٦	١١
يخبركم	يخبركم	٥	٩١	أوغره	وغره	١٩	١٤
مصيب	مصيب	٥	٩١	كدام	كرام	١	١٥
بشاب	بشاب	٢	٩٣	ونفّس	ونفّس	١٠	١٥
ولى الله أرغب	والى أرغب	١٣	٩٣	أكّم	أكّم	٣	١٦
جاني مثله	جاني غير مثله	١٨	٩٣	اليزيدي	اليزيدي	١٧	١٦
باننا	بائن	١	١٠٣	تقيّاً	تقيّاً	١٨	١٧
عائكة	عائكة	١١	١٠٣	عقا	عقا	٢٠	١٨
التي	الدى	١٢	١٠٤	الخطي	الخطي	٧	٢١
ومحمدا	ومحمد	١٦	١٠٥	آباه	آباه	٦	٢١
بذبة	بذبة	١	١٠٨	أعربياً	أعربياً	١٨	٢٩
تقوى	تقومن	١١	١٠٨	وثبتت	وثبتت	٦	٣٠
العليين	العليا	٢	١٠٩	التقوا	التقوا	١	٣١
فهاهى ذى	فهاهى	٢	١١٢	معدنا	معدنا	١٠	٣٣
الاماء	الاماء	١٠	١١٧	جنح	جنح	٢٢	٣٣
المعاش	المعاش	٤	١٢٣	محمد	محمد	٨	٣٥
دونها	درنها	٥	١٢٣	ومديل	ومديل	١١	٣٥
لهم	لهم	١٥	١٢٤	قربا	قربا	٤	٣٦
يعرف	أعرف	٥	١٢٥	مليّاً	مليّاً	١٤	٤٠
فأطلق	فأطلق	٢	١٢٦	النبي	النبي	٥	٤٣
معجل	مجل	٥	١٢٦	أؤمن	أؤمن	٥	٤٣
الرقران	الرقران	٢٠	١٢٧	لكي لا	لكي لا	١٤	٤٣
مقل	مقل	٤	١٣٠	تقارفه	تقارفه	٣	٤٥
أخبركم	أخبركم	٥	١٣٠	للسرّ	للسرّ	٧	٤٨

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣٥	١٣	بالتيوب	بالتيوب	١٨٢	١١	تأكل تفاحه	تأكل تفاحه
١٤٣	٣	بلياقته	بلياقته	١٨٢	١٢	فالتمر والتفاح	فالتمر والتفاح
١٤٣	٩	غله	غله	١٨٦	١٠	جوار	جوارى
١٤٤	٨	الا - أسماء	ألا يا - أسماء	١٨٧	٤	بنعمته	بنعمته
١٤٦	٦	اختيار	اختيار	١٨٨	٧	الفر	الفر
١٤٦	٨	لنقصوا	لنقصوا	١٨٨	١٠	جوى	جوى
١٤٦	١٤	قبل - دها أناذ	قبل - وهأنذ	١٨٨	١٢	برد تحذر	برد تحذر
١٤٨	١٢	نصيب	نصيب	١٩١	٢	واعتمروا	واعتمروا
١٥٧	٣	ليلى	ليلى	١٩١	٣	فأخفي	فأخفي
١٥٨	٢	فاعي	فاعي	١٩٧	٤	ومداراته	ومداراته
١٥٩	٦	يعجز	يعجز	١٩٨	٢٠	والذلة	والذلة
١٦١	١٩	للتخين	للتخين	١٩٩	٦	خفوتنا	خفوتنا
١٦٣	٢	يستعملونه	يستعملونه	٢٠٠	١١	حد	حد
١٦٥	٩	بالأبريسم	بالأبريسم	٢٠٠	١٩	يترى	يترى
١٦٦	٣	الظرف	الظرف	٢٠١	٩	وتعل ما	وتعل ما
١٦٦	٢٠	أرنبيه	أرنبيه	٢٠١	١٢	منه	منه
١٦٧	٧	يهديها	يهديها	٢٠١	١٢	عنى	عنى
١٦٧	١٧	١٩	٢١	٢٠٢	١٨	يتوقع كتاب جوار	يتوقع كتاب جوار
١٦٩	٥	والأريبان	والأريبان (٢) ثم	٢٠٢	٢١	التلد	التلد
١٧٠	٨	عن ما	تصحح الأرقام التالية	٢٠٣	٩	عزيمته	عزيمته
١٧٠	١٦	الطيبار	عما	٢٠٤	٦	مكتته	مكتته
١٧١	١	تينتك	البيطار	٢٠٦	١٦	كالجمان	كالجمان
١٧١	٦	العوام	وتينتك	٢٠٧	١	وميته	وميته
١٧٢	١٣	البطار	العوام	٢٠٨	٥	فأحيا	فأحيا
١٧٣	٧	إسمه	البيطار	٢٠٩	١٢	الحسين	الحسين
١٧٦	٥	بل أنما متيمان	إسمه	٢١٤	٦	تولاهم	تولاهم
١٧٨	٣	يشبهه	بل أنما متيمان	٢١٥	٦	يكشف	يكشف
١٧٨	١١	ابن	يشبهه	٢١٩	١٢	قيص	قيص
١٧٨	١٣	وزنتيه	بن	٢١٩	١٥	متى	متى
١٧٨	١٤	بالمطيب	وزنتيه	٢٢٤	٧	هيات اذاك	هيات اذاك
١٧٩	٨	ممن	بالمطيب	٢٣٣	١٠	وحر	وحر
١٧٩	١٢	يحنه	ممن	٢٣٣	١٠	أمر	أمر
			تجنه	٢٣٤	٥	المجالس	المجالس

يطلب الكتاب من :

- مكتبة المثنى ببغداد .
- المكتب التجاري (زهير بعلبكي) بيروت .
- دار القفطه العربية بدمشق .
- دار الكتاب . بالدار البيضاء - مراكش .
- مكتبة النهضة السودانية بالخرطوم .
- الثقافة بمكة المكرمة .